ظلمات أبي رية

أمام أضواء السنة المحمدية

ويليه

[illegible]

تأليف

محمد عبد الرزاق حمزة

[illegible]

ظلمات أبي رية

أمام أضواء السنة المحمدية

تأليف
محمد عبد الرزاق حمزة
مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة
والمدرس بالحرم المكي الشريف

القاهرة
١٣٧٨

المطبعة السلفية - ومكتبتها
٢١ شارع الفتح بالروضة تليفون ٨٩٨٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على محمد نبيّ الرحمة ، وهادى الانسانية ، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا لنا سنته ، بعد أن حفظ بهم كتابه ، وعلى من تبعهم باحسان إلى يوم الدين

وبعد فقد وصلتْ اليّ نسخة من كتاب ألفه الشيخ محمود أبو رية ، وتعرض فيه لجهود أربعة عشر قرناً بذله أعلام المسلمين ، لتحرّى سنة سيد المرسلين ، وصيانتها من عبث العابثين ، وأهواء المغرضين . فمررت بفصوله وأبوابه وأنا عَلَى فراش المرض فى مستشفى الطائف بعيدا عن المَراجع ، وكنتُ كلما وقفت فيه عَلَى ظلم للحق ، وهضم لأعظم مجهود علمى فى الاسلام ، وانحراف عن جادة الصواب ، ازددت يقيناً بوجوب التنبيه على ذلك ، الى أن خار الله لى كتابة هذا الكتاب ليكون قربة لى عنده سبحانه ، ودفاعا منى عن سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه

أعطانا الأستاذ نموذجاً فى (التعريف بكتابه) بما سينطوى عليه من الشك والتشكيك فى علم الحديث وتحقير جهود أهله فيه ، فقال عنه فى ص ٤ :

إن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم . وطريقة هذه الفئة التى اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل الخ

ولنا أن نسأل الأستاذ عن هؤلاء العلماء الذين لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية ، هل يريد بهم الجعد بْن درهم والجهم بن صفوان وواصل بن عطاء والنظّام والقاضى عبد الجبار والزمخشرى والرازى وأضرابهم ؟

ونسأله أيضا عن الذين يسمون رجال الحديث – على حد تعبير الأستاذ – والذين ترك العلماء والأدباء أمر الحديث لهم يدرسونه على طريقتهم التى قامت على قواعد جامدة لاتتغير

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٨٣

ولا تتبدل ، هل منهم فى نظر الأستاذ أكابر التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وسعيد ابن المسيب وابن جبير والشعبى ، ومن بعدهم كالزهرى وشيوخه وعروة بن الزبير وتلاميذه كمالك وسفيان بن عيينة والثورى والليث بن سعد ، وتلاميذهم كالشافعى وأحمد بن حنبل ، ومن بعدهم كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى فمن بعدهم

هل هؤلاء الاعلام أيها الأستاذ غير علماء ، وطريقتهم جامدة ولا تتغير ولا تتبدل ؟ وإذا كان هؤلاء وأمثالهم ليسوا من العلماء عند الاستاذ وجامدون لا يعرفون التجديد ولا مسايرة الزمن ومراعاة مقتضى الحال ، فليدلنا الأستاذ مشكورا عن المجددين الذين يرضاهم ، ويأسف على مجانبتهم لدراسة الحديث وتجديده وتهذيبه

أما مجانبة الأدباء لدراسة الحديث فقد نتفق مع الأستاذ فى ذلك إذا كان يريد بالأدباء أمثال ابن المقفع وبشار بن برد وحماد عجرد والجاحظ وعبد الحميد الكاتب وجرير والفرزدق والبحترى وأبى تمام والزمخشرى والحريرى

هؤلاء الذين اجتمع جماعة من أئمتهم فقال أحدهم : علام اجتمعتم ؟ فقال ثان منهم : لنقذف المحصنات ! وقال ثالث : وهل فى الدنيا محصنة ؟

فأمثال هؤلاء صان الله حديث نبيه عنهم وعن دراستهم له ، وماذا يعجبهم فى الحديث مما يخف على قلوبهم ؟ !

ثم ألم يشتغل بالحديث من الأدباء من هم خير من أولئك وأقوم سبيلا وأزكى دينا ، ألم يكن ابن جرير محدثا وأديبا ، بَلْهَ ابن قتيبة وابن الأعرابى وأبا عبيد وأمثالهم

لقد لخص ابن الأثير كتابه غريب الحديث من خمسة وعشرين كتابا فى غريب الحديث لأعلام من المؤلفين كلهم أئمة فى الأدب واللغة والحديث والفقه ، وقد أبلوا فى ذلك بلاء حسنا

فضلا عن شراح الحديث كالبغوى والخطابى والحافظ العسقلانى ، بل الأئمة الفقهاء المحدثين كمالك والشافعى وأحمد وخيار أصحابهم كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه الأئمة

شمس الدين بن القيم وشمس الدين الذهبى وابن عبد الهادى وابن مفلح . وقبلهم ابن قدامة صاحب المغنى وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وعبد الغنى المقدسى ، وقبلهم إمام الأئمة ابن خزيمة وتلميذه الامام الفيلسوف المحدّث ابن حبّان وغيرهم كثير من نجوم الهدى وشموس الرشاد وبدور العلم

فهل لم يكن هؤلاء علماء ولا أدباء لأنهم اشتغلوا بالحديث ، وإنما العلماء والأدباء عند أبى رية هم الجهمية والمتكلمون وأمثال عبد الحسين الرافضى والطاعنون على أهل الحديث والصحابة كأبى هريرة ومعاوية والمفرقين بين الصحابة إلى بكرية وعمرية وعثمانية وعلوية ، كأنما دين الإسلام ثوب مهلهل خيط من رقع متباينة ، وفرق متناجزة متعادية

والذين عرفوا حقيقته هم أمثال جولدزيهر اليهودى المستشرق الطاعن على نبى الاسلام بأنه مصروع مهستر بوق لحكاية سخافات العهد القديم الخ ما قاءه فى كتابه العقائد الاسلامية ، وكتابه الآخر مذاهب المسلمين فى التفسير .

وقد تعجل أبو رية شيئا من شكوكه (فى ص ٥) حيث تساءل « هل أمر النبى ﷺ بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه ، أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دوّنه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه » وتساءل : « هل ماروى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبى ـ لفظا ومعنى ـ أو كان مخالفا له ؟ وما هى العوامل التى تدسست اليه من نزعات أعدائه ، والمؤثرات التى أصابته من أغراض أوليائه ، حتى شيب بما ليس منه ، وتسرب اليه ما هو غريب عنه » ؟ « وماذا كان موقف علماء الأمة منه ؟ وما مبلغ ثقتهم به ومدى اختلافهم فيه ، بعد أن عراه ما عراه وتأثر به ! وما إلى ذلك من الأمور المهمة التى يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث فى الدين الاسلامى قبل النظر فيه »

وسأؤخر مناقشة هذه الشكوك ، وترياق هذه السموم ، حتى يجىء موضع بسطها ، وحينئذ سنقول له : إن الاسلام والباحث فيه فى غنى عن آراء اليهودى المستشرق جولد تزيهير وما قاله عن نبى الاسلام ، فضلا عن قوله فى حديث نبى الاسلام وحملته . ونعجل

له مقدما بأن عدالة أهل الحديث بتعديل النبي ﷺ لهم بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه كيد الكائدين وانتحال المبطلين » ، ونذكر له مَثَل من أعرض عن سنة النبي ﷺ أو كاد لها من حديث أبي موسى الأشعرى مرفوعا الى النبي قال « مَثَل ما بعثني الله به كَمَثَل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طيبة أنبتت العشب والكلأ ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فشرب الناس والأنعام وسقوا منها زروعهم ، وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت به زرعا ، فذلك مثل من نفعه الله بما جئت به ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا » اهـ

وهؤلاء القيعان التى لا تمسك ماء ولاتنبت زرعا الذين لم يرفعوا بما جاء به النبي ﷺ رأسا هم الذين ألهتهم بطونهم وفروجهم عن التوجه لما جاء به النبي ﷺ ، أو صدفتهم الأهواء والبدع عن الاشتغال بما جاء به النبي صلوات الله عليه واتبعوا أهواءهم التى سموها « معقولات » ، وقالوا عن أحاديث النبي ﷺ إنها أحاديث آحاد ظنية لا تفيد اليقين كما تفيده أهواؤهم ، ومنهم من انتصب لمداوة السنن والتشكيك فيها كالخوارج والروافض والجهمية وعلماء الكلام المبتدَع المحدَث الذين قال الشافعى فيهم : رأيى فى أهل الكلام أن يضربو بالجريد والنعال ويطاف بهم فى الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك ما جاء عن الله ورسوله الى الهوى والبدع

جاء رجل من الخوارج الى عمران بن حصين الصحابي الجليل يشككه فى العمل بالحديث النبوى ، فقال له عمران بن حصين : أرنى فى القرآن كيفية الصلاة وآدابها وشروطها وأوقاتها . أرنى فيه كيفية الزكاة وأنواعها ومقاديرها . أرنى فيه مناسك الحج والعمرة وأحكامها

فأجابه وكان منصفا ، ولم يكن جهله جهلا مركَّبا : شفيتنى شفاك الله

إن هذا الخارجى أعقل وأورع من كثير ممن يشكون ويشككون فى سنة النبي ﷺ ولزومها لمن يريد أن يعمل بالقرآن كما عمل به النبي ﷺ وأصحابه وخيار سلف

هذه الأمة ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة

أما هؤلاء المرتابون فى دينهم ، التاركون للسنة والجماعة ، فقد سمعنا عنهم غرائب وأوابد كقول بعضهم : آخذ صلاتى من القرآن فأسجد مرة واحدة وأركع بعد السجود ، ولا أتشهد ، ولا أتقيد بعدد من الركعات ، ولا بأوقات للصلاة الى آخر ما سمع عنهم من هزء وسخف

يقول أبو رية (ص ٦) فى أسباب تأليفه لكتابه إنه عندما درس الحديث وجد فى معانى كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح ولا يثبته علم صحيح ، وأنه وجد مثل ذلك فى كثير من الأحاديث التى شُحنت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها

والحمد لله الذى جعله يصب غضبه وحقده عَلَى كثير من الأحاديث التى شحنت بها كتب التفسير والتاريخ ، فليست كتب التفسير والتاريخ هى كتب الأحاديث ، بل الأحاديث حيث هى فى دواوين السُّنة المشهورة كأمهات الكتب التى تخصصت لتدوين أحاديثه صلوات الله عليه

وإذا كان فى غرائب الأحاديث وشواذّها وموضوعها ما لا يوافق العقل ولا يثبته العلم — كما فى كثير من كتب التفسير — فلا يضر ذلك صحيح الأحاديث ، وما ثبت منها عند أهله الذين وقفوا حياتهم عليه

يقول : إن مما يثير عجبه أنه كان اذا قرأ كلمة لأحد أجلاف العرب يهتز لبلاغتها . . وإذا قرأ بعض ماينسب إلى النبي ﷺ لا يجد هذه الأريحية ولا ذلك الاهتزاز

ونحمد الله أن بعض الأحاديث هو الذى لم يهز أريحية الاستاذ ولم ير فيه ما يعجبه من البلاغة والفصاحة ، ولكن ذلك فى الغرائب والضعاف والمناكير

أما الصحيح فان عليه ولله الحمد أنوار النبوّة وبلاغة سيد من نطق بالضاد ، والحَكَمُ العدلُ فى ذلك ذوق العلماء الراسخين من الأئمة الفضلاء والأدباء المتمكنين ، لا ذوق أبى رية وأمثاله

وليعلم الأستاذ أبو رية أن فى المستمعين لأغانى أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وليلى مراد وعبد الحليم حافظ من يأخذهم الطرب عند سماع الأغانى ، ولكنهم يضيقون صدرا بسماع القرآن والحديث ، وربما ضرب النوم على آذانهم عند سماع القرآن والحديث

وليس ذلك بعيب فى القرآن والحديث أو لأنه لا بلاغة أو فصاحة فيهما ، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب ، والجُعَل كما قيل تؤذيه أو تقتله الرائحة الزكية ، وتلذ له الروائح الكريهة ويعيش فيها

ونقول للأستاذ : ان الرسول بعثه الله معلما ومربيا ومزكيا للأبيض والأحمر والأسود فلا ضير إذا تنزّل فى كلامه الى بعض طبقات من يعيش معلما لهم ولم يتكلف ما يتكلف الشعراء والمتقعرون من أنواع الخيالات والاستعارات ومحسنات البديع . بل إنه كان يتحرى فى بعض الأحوال أن يخاطب أبناء القبائل بالألفاظ الشاذة من لهجاتهم

ويقول الأستاذ (فى ص ٧) : إنه بعد طول البحث وطول السير والكد انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ! إذ وجد أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا ، حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق الرسول به . قال : ووجدت أن الصحيح — على اصطلاحهم — إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة . وتبين له أن ما يسمى فى اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته فى نظر رواته ، لا أنه صحيح فى ذاته . قال : ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته ﷺ إلا شعاع ضئيل الخ . فيقال للأستاذ : « ما أنت بالحكم التُرْضَى حكومته » ويقال له : لكل علم وفن علماؤه وفرسانه ونقاده

فغضّ الطرفَ إنك من نمير فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

إن أئمة الدين والفقه ونجوم الهداية والتقوى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم قد تلقوا ما صحّ عن النبى ﷺ بالقبول ، وبنوا عليه دينهم وأحكامهم وفقههم . وقديما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وقيل : ومن يكُ ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزُّلالا

و : قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

والذى يمارى فى علوم ليست من اختصاصه

كناطح صخرة يوما ليوهنها ولم يهنها وأوهى قرنَه الوَعِلُ

نظر أبو رية الى الحديث بمنظار أسود ، منظار الجهمية والخوارج والرافضة ، فقال : إنه لا نرى فى أكثره شعاع النبوة ، وأنه مغسول من البلاغة والفصاحة ، إلى آخر ما رمى به الحديث . وقولنا له : إن كل إناء ينضح بما فيه ، وعين السخط تبدى المساويا

وقد نظر سلف الأمة وأئمتها فى خير القرون إلى الحديث بعين البصيرة والإنصاف فرأوه ناصعا وعلى الصحيح منه أنوار النبوة وأضواء الهداية

وقوله (فى ص ٧) إنه وجد الصحيح من الحديث على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة الخ ، وأن الصحيح انما كانت صحته فى نظر رواته لا أنه صحيح فى نفسه . .

هذا الحكم الجائر على الحديث الصحيح ، وأنه معان مما فهمه بعض الرواة ، حكم متهور جاهل بطرق الحديث ومتونه ، وخلاف ما أجمعت عليه الأمة من تلقى أحاديث الصحيحين بالقبول ، وعلماء الحديث الذين تلقوا حديثه ﷺ بالقبول والعمل أصح قولا وأهدى سبيلا

وقوله (ص ٧) : انه قد بان له أن النبى ﷺ لم يجعل لحديثه كتّابا يكتبونه عندما كان ينطق به كما جعل للقرآن الحكيم ، وتركه يذهب بغير قيد الى أذهان السامعين ، تُخضعه الذاكرة لحكمها القاهر ، الذى لا يستطيع إنسان مهما كان أن ينكره أو ينازع فيه من سهو أو غلط أو نسيان . ثم علق على ذلك بالحاشية أن الأنبياء والرسل يعتريهم من النسيان

والخطأ ما يعترى كل انسان لأنهم بشر، إلا فيما يبلغونه عن الله ، وفى هذه الحالة فقط يبين الله لهم الحق، فما بالك بغيرهم !

ثم قال: وبذلك تفكك نظم ألفاظه، وتمزق سياق معانيه. ثم ذكر حديث مسلم «لا تكتبوا عنى سوى القرآن، فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه»

ونقول: إذا كان الرسول أمر بالتبليغ عنه فقال فى حجة الوداع «هل بلّغت؟ قالوا نعم. قال: ليبلغ الشاهد الغائب» وقال «نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع» وقال الله تعالى لزوجات نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ وحدث عنه الصحابة بعضهم بعضا وحدثوا عنه من بعدهم من التابعين هم وزوجاته الطاهرات، كل حدث بما سمع من النبى ﷺ من غير تحرج من خطأ أو نسيان، وصحابة النبى ﷺ هم الذين اختارهم الله لصحبة النبى ﷺ وتحمل دين الله تعالى عنه من القرآن والحديث وتبليغهما لسائر الناس عامة، ولو رأى النبى ﷺ أو لو علم الله تعالى ضرورة كتابة الحديث وتدوينه فى زمنه ﷺ كالقرآن لما سكت النبى ﷺ عن ذلك ولا أهمله الله تعالى الذى بعث رسوله فى الاميين يتلو عليهم آيات الله تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال

والتشكك فى الحديث لأنه لم يكتب فى زمانه، وتجويز الخطأ والنسيان وتبديل اللفظ النبوى بمعانى فهمها الرواة ورووها بالمعنى مردود هذا الشك والتشكيك بما أثنى الله تعالى على هذه الأمة بقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

وأى منكر أنكر من تحريف دين الله بتبديل أحاديث النبى ﷺ بالمعنى والنسيان والخطأ وغسلها من الفصاحة والبلاغة كما زعم هذا الأستاذ أبو رية

ولقد انتصب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بأحسان لحفظ دين الله

فى كتابه وسنة نبيه ﷺ تحقيقا لوعد الله تعالى بحفظ كتابه وما بينته سنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ والذكر هو القرآن وما بينه من حديث.
وقديما قال زنادقة الرافضة وغلاتهم: إن القرآن لم يحفظ كما أنزل. لأنه لم ينص على خلافة على رضى الله عنه، واتهموا الصحابة بكتمان ما هو نص فى على مداهنة لأبى بكر وعمر وعثمان، فضاعت نصوص القرآن بزعمهم

واليوم يجىء أبو رية فيزعم للسلمين أن أقوال النبى ﷺ وأحاديثه بسبب عدم كتابة الصحابة لها وما بدله الرواة بمعانيه التى فهموها أو لم يفهموها من الأحاديث، مع ما يعتريهم من الخطأ والنسيان وهما لم يسلم منهما أحد حتى الأنبياء والمرسلون

فإذا انضم الى مزاعم غلاة الرافضة فى القرآن رأى أبو رية فى الحديث انفتح باب التحلل من الدين، والالحاد فيه على مصراعيه، أمام الفجار والفساق والملاحدة، ولم يبق لله حجة على خلقه فى زعم هؤلاء

بل لم يبق لقول الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ أىّ طعم أو معنى أو مغزى

وكذلك قول الله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾، فأين هى الحجة على الناس إذا ضاع القرآن بزعم غلاة الرافضة، وضاعت السنة بخطأ الرواة ونسيانهم وتصرفهم فى الحديث برواية معناه وتضييعهم لنصوص كلامه ﷺ بزعم أبى رية

فاهنئوا أيها الملاحدة والفجار والفساق بما أتحفكم به غلاة الرافضة وأبو رية

حديث

«من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»

يذكر أبو رية (فى ص ٩) أنه عُنى بالبحث عن هذا الحديث حتى وصل بعـد.

طول السعى الى أن كلمة (متعمدا) لم تأت فى روايات كبار الصحابة ، قال : ويبدو أن هذه الكلمة قد تسللت الى هذا الحديث من سبيل (الإدراج) لكى يتكىء الرواة فيما يروونه عن غيرهم من جهة الخطأ والوهم أو الغلط أو سوء الفهم ، ليدرءوا عن أنفسهم إثم الكذب ، ولا يكون عليهم فى الرواية أى حرج . أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوّغ بها الذين يضعون الأحاديث عن غير عمد عملهم ، ليسندوا بها أقوالهم ، وليثق الناس فيهم (كالقُصّاص وغيرهم) . اهـ كلامه

فكلمة « متعمدا » على تحقيق الأستاذ أبى رية إما مدرجة فى الحديث أو موضوعة مكذوبة ، وليست من كلام النبى ﷺ ، كما انتهت اليه عناية هذا الاستاذ وطول بحثه

فيقال له : من هم كبار الصحابة الذين خلت رواياتهم لهذا الحديث من كلمة متعمدا حتى يرد برواياتهم رواية من روى « متعمدا » . والحديث قد ذكر العلماء تواتره بهذه اللفظة ، والحديث لا يكون حديثا نبويا إلا إذا رواه عنه صحابى ، فلا يكون ترك من ترك هذه الرواية حجة على من حفظها ورواها

والتعمد شرط لعقوبة من ارتكب محظورا أى محظورا ، ألم يقل الله فيما علّم المؤمنين أن يدعوا به ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الحديث نص على رفع المؤاخذة عن الناسى والمخطىء

ألم يقل الله سبحانه ﴿ ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا أليما ﴾ فجعل هذا الوعيد الشديد الذى تقشعرّ له الجلود والأبدان على قاتل المؤمن « متعمدا »

الاستاذ أبو رية يأبى رحمة الله للناسى والمخطىء ، ويريد أن يسوّى بينهما وبين المتعمد فى الوعيد وتبوُّء مقعد النار

ولعل الخوارج الذين يكفّرون بالذنوب لا يسوّون بين الناسى والمخطىء وبين المتعمد

رواية الحديث بالمعنى

وقال أبو رية (فى ص ٨) : « ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا للناس من أحاديث النبى ﷺ ووجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق النبى به استباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، ثم سار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم فيتلقى المتأخر عن المتقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم يؤديه الى غيره بما استطاع أن يمسكه ذهنه منه » . . ثم استشهد على ذلك بقول وكيع : اذا لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس . ويقول الثورى : إن قلت إنى أحدّثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، فانما هو المعنى

قال هذا الأستاذ : وقد ظلت الألفاظ تختلف والمعانى تتغير بتغير الرواة ، وفيهم كما قال السيوطى الأعاجم والمولدون وغيرهم ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست خالصة . ورمى البخارى بأنه كان يروى على المعنى . ثم ذكر أن رواية الحديث بالمعنى ضرر كبير فى الدين واللغة والأدب . وذكر أنهم أباحوا لأنفسهم أخذ الحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختل نظمه بالتقديم والتأخير ، أن يأخذوا ببعض الحديث ويَدَعون بعضا

أقول : أى عداء للاسلام أكثر من هذه العداوة ؟ الصحابة وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق به النبى ﷺ واستباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، وسار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم ، وعلى رأيه الألفاظ تختلف ، والمعانى تتغير بتغير الرواة ، وفيهم على رأيه الأعاجم والمولدون ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست بخالصة ، والبخارى على جلالة قدره يروى بالمعنى ، ورواية الحديث بالمعنى عنده ضرر كبير فى الدين واللغة والأدب لما يصيبه من اللحن والخطأ واختلال نظامه بالتقديم والتأخير ، فأى تحلل من الاسلام الذى بينه رسول الله لدين الله وكتابه فوق هذا التحلل ؟ !

أحسن الله عزاء المسلمين فى سنة نبيهم ﷺ التى هى بيان لكتاب الله بعد شكوك أبى رية فى أمانة الصحابة والتابعين وسائر الرواة واختلافهم فى ألفاظ الحديث وتغيير المعانى بتغيير الألفاظ وما عراه من اللحن والخطأ والتقديم والتأخير والاختصار فى نظر التشكيك. وأى إساءة ظن وسوء رأى بسلف الأمة من الصحابة والتابعين الذين أثنى الله عليهم فى كتابه بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أكبر من هذا الظن السيء الذى ظنه هذا المتشكك بل المشكك فى سنة النبى ﷺ بهذه السموم التى نفثها من صدره على الصحابة وخيار الأمة من رواة سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه

صحابة النبى ﷺ الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رُحماء بينهم تراهم رُكّعا سُجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مَثَلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سُوقه يُعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار ﴾

من هم العجم من الرواة الذين أفسدت عجمتهم حديث رسول الله ﷺ باللحن والخطأ والاختصار والتقديم والتأخير ، أهم نافع مولى ابن عمر ؟ أم عكرمة مولى ابن عباس ؟ أم ابن سيرين والحسن البصرى وأمثالهم ممن لا تقل عربيتهم عن قرنائهم من العرب ؟ فهذا نافع مولى ابن عمر كان فرس رهان مع سالم وبلال وغيرهما من أبناء عبد الله بن عمر . وهذا عكرمة مولى ابن عباس وناشر علم مولاه أكثر من أبناء ابن عباس أنفسهم العرب الهاشميين

والبخارى الإمام الجليل لم يسلم من لمز أبى رية بأنه يروى بالمعنى ، فيكون على رأيه عرضة للحن والخطأ والتقديم والتأخير عند أبى رية لأنه أعجمى ولا يقدر أن يقيم اللفظ النبوى بزعمه ، وأين البخارى من الصحابة الذين رماهم أبو رية بأنهم عجزوا عن أداء اللفظ النبوى على وجهه فرووه بالمعنى المعرض للحن والخطأ والحذف والاختصار ؟

وإذا كان هذا رأى أبى رية فى خير القرون بشهادة النبى ﷺ فمن الناس بعدهم عنده ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم فى سلف خير أمة أخرجت للناس ، وضياع لما تكفل الله بحفظه من دينه وكتابه وبيانه الذى أرسل به رسوله

ماذا يقول أبو رية فى قوله تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فهل ضاع هذا البيان وعصفت به العجمة واللحن والخطأ ورواية المعنى ؟ ويقول الله سبحانه ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ فأين الحكمة المعطوفة على الكتاب ؟ هل نسفتها رواية المعنى والعجمة واللحن والخطأ التى سلطها أبو رية للشك فى الحديث النبوى ؟

جمع القرآن وتدوينه

ذكر أبو رية جمع القرآن وتدوينه (فى ص ١٠) حتى جاء متواترا ، ثم قال : ولو أن الحديث قد دون فى عصر النبى كما دون القرآن ، واتخذ له من وسائل التحرى والدقة ما اتخذ للقرآن لجاء كله متواترا كذلك ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد الذى لم يستطع أحد – على مر العصور – تلافيه

ثم ذكر أن تدوين الحديث لم يقع إلا فى القرن الثانى بعد وفاة النبى ﷺ بأكثر من مائة سنة . قال : ولم يكن ذلك بدافع من الرواة وانما كان بوازع من الولاة ، وأنه قد بدا أول ما بدا غير كامل ، ثم تقلب فى أطوار مختلفة ، حتى خرج فى صورته الأخيرة حوالى منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى

ثم قال (فى ص ١١) : فالمتكلمون وعلماء الأصول لما كان الخبر عندهم ينقسم الى متواتر وآحاد . . . قال : والآحاد لا يعطى إلا الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا ورأوا – يعنى المتكلمين والأصوليين – أن ما يأتى من طريق الآحاد الذى هو ظنى الدلالة ولا يجوز البناء فى العقائد على الظن ، فقد ردّوا كل حديث لا يتفق مع ما ذهبوا اليه من أصول ، وما وضعوه من قواعد . ومما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الآحاد

لا يؤخذ بها فى العقائد مهما قويت أسانيدها وتعددت طرقها

ويقال لهذا المتهجم على الحديث بهذه المجبات الجاهلة :

إن تواتر القرآن لفظه ومعناه حتى حركات ألفاظه وإعجازه للانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أمر اختص به القرآن دون سائر الوحى الإلهى من التوراة والانجيل والزبور والحديث النبوى ، ليجعله الله حجة على خلقه الى يوم القيامة

أما الوحى الآخر من الكتب السماوية السابقة والحديث النبوى فقد راعت فيها الحكمة الربانية التنزل عن الجلال الالهى والإعجاز الذى اختص به القرآن الى مدارك البشر مختلفى المراتب فى الفهم والإدراك ، فالعيب على الحديث النبوى والتشكيك فيه ـ بأنه لم يتواتر أو روى بعضه بالمعنى ـ جهلٌ بالحكمة الربانية فى تنويع وحيه حسب حاجة الناس اليه ، فمرة بالتواتر والإعجاز الإلهى ومرة بالتنزل الى أفهام الناس على اختلاف طبقاتهم فى الفهم ، فلو كان الحديث فى درجة القرآن تواترا وإعجازا وعلوا لما انتفع به إلا القليل الأقل من الناس ، ولاحتاج الى بيان آخر أنزل منه حتى يخالط عقول الأسود والأحمر والأبيض من الناس

وذهب أبو رية وراء المتكلمين والأصوليين الى أن الأحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وأن المتكلمين يردّون من الأحاديث ما يخالف الذى ذهبوا اليه من الأصول والقواعد

ونسأله : من هم المتكلمون بأن الأحاديث لا تفيد إلا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، والذين يردون الأحاديث المخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أهم الجهمية والخوارج والمعتزلة الذين وضعوا لأنفسهم أهواء وبدعا سموها أصولا وقواعد ردّوا بها الأحاديث الصحيحة وحرفوا القرآن لأجلها ؟

خذ مثلا حديث جرير بن عبد الله البجلى مرفوعا « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليس دونه سحاب لا تضامون ـ أو لا تضارون ـ فى رؤيته »

ردّه الجهمية والخوارج والمعتزلة بأهوائهم وبدعهم التى سموها أصولا عقلية وقواعد منطقية بزعمهم أنه يقتضى التشبيه والتجسيم والجهة والمواجهة

ولما أيد السلف هذا الحديث بقول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ حرّفوا الآية بتأويل أنها منتظرة ثواب ربها !

مثل آخر : حديث أبى هريرة وغيره مرفوعا « ينزل الله الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من داع فأستجيب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد

وردّه الجهمية والمعتزلة وأمثالهم بشبهات جهلية سموها أصولا عقلية بأنه يستلزم الحركة والانتقال وهما من صفات الاجسام

فاذا أورد عليهم من القرآن قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو تأتيهم الملائكة أو يأتى بعض آيات ربك ﴾ الخ حرفوها بما يوافق أهواءهم وبدعهم التى وصفوا الله فيها بأوصاف المعدوم والمستحيل وأنه لا فوق العالم ولا داخله ولا ولا ولا التى لا تنطبق الا على العدم والمستحيل

ثم يقال لأبى رية : من هم المتكلمون الذين ردّوا الأحاديث المخالفة لاصولهم وقواعدهم ؟ أهم الصحابة وخيار التابعين وأجلة الأئمة مالك والشافعى وأحمد وأبو حنيفة والثورى وابن عيينة وابن المبارك وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أئمة الهدى وشموس الهداية ؟

وأنزل قليلا الى من بعدهم : فهل ردّها أبو الحسن الاشعرى فى كتابه الإبانة فى أصول الديانة وهو آخر كتبه ، والاشعرى علم شهير من أعلام علماء الكلام ويقتدى به ويعظمه جماعة الاشاعرة . وخذ من مشاهيرهم القاضى أبا بكر الباقلانى ، فهل ردّ هذه الأحاديث فى كتابه التمهيد وقد طبع حديثا كاملا ؟

يا أبا رية ، إن المتكلمين الذين ردّوا الحديث الصحيح المخالف لقواعدهم وأصولهم

بزعم أنه حديث آحاد ظنى هم الجهمية والمعتزلة والذين قال قائلهم فى خاتمة مطافه :

لعمرى لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال الآخر : لقد تأملت الطرق الكلامية فلم أرها تشفى عليلا ، أو تروى غليلا . ورأيت أحسن الطرق طريق القرآن ، اقرأ فى الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وأقرأ فى التنزيه ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ، ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾

وأما الأصول التى يرد أهلها الحديث الصحيح بدعوى أنه حديث آحاد وظنى فهى مثل محصل الرازى الذى قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :

محصَّل فى أصول الدين حاصله ... من بعد تحصيله علم بلا دين

وقال فيه « كأنما هو من وحى الشياطين »

أما أمثال الرسالة للامام الشافعى والموافقات للامام الشاطبى ونحوهما فلا ترد الحديث الصحيح فضلا عما جرى عليه خيار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة ، فالحديث الصحيح حجة عندهم فى الأصول والفروع على حد سواء فى الإيمان والعقائد والاعمال الصالحة

ولم توجد التفرقة بين الأصول والفروع فى الاحتجاج بالحديث الصحيح بدعوى أنه حديث آحاد وظنى إلا عندما نبت فى المسلمين أهل البدع والأهواء والكلام المبتدع الذى قال الشافعى فى أهله « رأيى فى أهل الكلام أن يضربوا بالحديد والنعال ويطاف بهم فى الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة إلى البدع ، واتخذ غير سبيل المؤمنين »

ان الاحتجاج بالحديث الصحيح وتصديق رواية العدل الثقة أثبته الكتاب الكريم والسنة النبوية المتواترة واتفقت عليه فطر الخلائق وعقولهم فى كل زمان ومكان فقد قال الله تعالى ﴿ وأشهدوا شاهدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل

وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكِّر إحداهما الاخرى ﴾ فقبل شهادة رجلين مرضيين من الشهداء أو رجل وامرأتين ولم يردّ شهادتهم بدعوى أنها شهادة آحاد ظنية ولا بد من التواتر

وقال تعالى فى شهادة الرجعة والطلاق ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ ولم يقل شهادة تواتر ـ وقال تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أو (فتثبتوا) فأمر بالتبين والتثبت فى خبر الفاسق فيفيد قبول خبر العدل الرضى بلا شرط تواتر

وفى السنة النبوية الكثير الطيب من قبول خبر العدل الثقة ، فهذه كتب رسول الله ﷺ الى الملوك فى سائر الاقطار ، إلى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وأمراء نجد وقَطَر وغيرها ، ما كان يقوم بها إلا أفراد من الرسل . ولم يقل لهم أحد من الملوك : أنتم آحاد لا يستفاد من خبركم اليقين

هاهم أهل قباء فى العصر النبوى أتاهم آت وهم يصلون الى بيت المقدس فقال : أشهد لقد صليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا وهم ركوع من التوجه إلى بيت المقدس إلى التوجه إلى الكعبة المشرفة ، ولم يقولوا لهذا الآتى إن خبرك خبر آحاد لا يفيد اليقين ، وانما يفيد الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً

لقد كذب وأخطأ خطأ فاحشا من قال : إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا ، فخبر الآحاد قد يقترن به من القرائن ما يجعله كالشمس الطالعة صدقا ويقينا

إذا سمعت طارقا ببابك وجاءك الخادم يقول : إن الامير أو رسوله بالباب يريد مقابلتك ، وكان التأثر باديا فى كلامه وعلى وجهه ، أليس من الحماقة أن تقول له : إن خبرك خبر آحاد وهو لا يفيد اليقين ، وانما هو ظن لا يغنى من الحق شيئ ؟

إن معاملات الناس فى دينهم ودنياهم ومعايشهم قائمة كلها على قبول خبر العدل الرضا ، فهذا المؤذن يقبل الناس دلالة أذانه على دخول الوقت ، فيصلون ويمسكون

ويفطرون بأذانه إذا كان معروفا عندهم بالعدالة والرضا ، ولا يقولون له : إن نداءك نداء آحاد لا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يغنى من الحق شيئا

يجيء خادمك فيقول : إن ثمن الشاى أو السكر أو اللحم أو الخضر قد زاد عما أخذت له من نقود وأحتاج الى زيادة قدرها كذا وكذا ، وهو عدل رضا عندك ، فهل تعطيه ما أخبرك به أم تقول له : إن خبرك خبر آحاد ولا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يغنى من الحق شيئا ؟

إن أمارات الصدق وسمات الصادقين وعلامات الكذب والكاذبين أمرٌ بيّن فى فِطَر الناس وعقولهم وتمييزهمْ ، وهو سبيل الانتفاع بصدق الصادقين وتجنب الكذب والكاذبين

وهؤلاء أنبياء الله ورسله فى أدوار بعثهم ، وبجانبهم المتنبئون والكهنة والسحرة ، والناس تميز سبيل الأنبياء والصادقين والرسل والناصحين ، وتحذر طرق الكذبة من المتنبئين والكهان والسحرة ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ، ﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ ، ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ ، ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت فى الدنيا بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآياتنا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾

وقوله (آخر ص ١٠) : « إن تدوين الحديث لم يكن بدافع من الرواة ، وإنما كان بوازع من الولاة » فأى عيب على الحديث فى ذلك ؟ وأبو رية يعنى بالولاة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وهو نفسه كان من كبار العلماء والرواة ، ولحديثه مسند مطبوع فى الهند ، ولو تفرغ لذلك لكان هو المباشر لتدوين الحديث قبل الذين ندبهم لهذا الخير العظيم

والقرآن نفسه جمع فى صحف بمشورة من زيد بن ثابت على أبى بكر لما استحرَّ القتل بالقراء فى قتال أهل الردّة باليمامة ، وكتبت مصاحف الأمصار فى خلافة عثمان عندما اختلف الناس فى غزوة أذربيجان وصار كل واحد يصحح قراءته التى تلقاها عن بعض الصحابة وينكر قراءة الآخرين ، فذهب بعضهم الى عثمان رضى الله عنه فقال له : أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا فى كتاب ربهم كما اختلف من قبلهم ، فكتب مصاحف الأمصار على العرضة الأخيرة ، وأمر بحرق سواها . فاذا أشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله ـ وهو الملحق بالخلفاء الراشدين علما ودينا وورعا ونصحا للأمة ـ على قاضى المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بتدوين ما بلغه من أحاديث النبى ﷺ فامتثل ، فأى عيب يلحق الحديث أو رجال السلف من ذلك ؟ وهل يرى أبو رية فى عمل عثمان بالمصاحف ما يؤاخذه به كما يحاول أن يؤاخذ عمر بن عبد العزيز على عمله فى تدوين السنة ؟

وقوله (فى ص ١٢) : وان هؤلاء الأئمة الكبار قد كانوا لقربهم من الصحابة وكبار التابعين أوسع علما وأعمق فقها من أصحاب كتب السنة الذين لم تشتهر كتبهم إلا بعد انقضاء القرون الأولى التى هى خير القرون بنص الحديث

ويقال له : هؤلاء الأئمة الكبار ألم يكونوا من أئمة الحديث ؟ أليس مالك والشافعى وأحمد والثورى وابن عيينة وابن المبارك وأضرابهم أئمة فى الحديث كما هم أئمة فى الفقه ؟ أليستِ أحاديثهم هى المروية فى كتب السنة الشهيرة التى عابها أبو رية بأنها لم تشتهر إلا بعد القرون الفاضلة ، مع أن مافيها من أحاديث هى بعينها أحاديث خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم : لم يخترعها أصحاب هذه الكتب ، وإنما تلقوها عن الطبقة التى قبلهم ، ودونوها بعد الجهد المشكور فى الرحلة والرواية . وتمييز الرواة صادقهم من كاذبهم

فهمزه لهم ولمزه بأن كتبهم لم تشتهر إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة كذب وظلم وبهتان ، فليس فى كتبهم إلا رواية خير القرون

وقد أعجب أبو رية بكتابه ـ إعجاب بعض الطير بابنه ـ إذ قال (ص ١٣) : ولما كان هذا البحث لم يُعنَ به أحد ، وكانت دراسته واجبة قبل النظر فى كتب الحديث والتفسير والتاريخ والفقه والأصول والنحو وكل ما يتصل بالدين الاسلامى ، وكان يجب أن يفرَد بالتأليف منذ ألف سنة عندما ظهرت كتب الحديث المعروفة . . . حتى توضع هذه الكتب فى مكانها الصحيح من الدين ، ويعرف الناس حقيقة ما روى فيها من أحاديث ليكونوا منها فى أمرهم على يقين ، من أجل ذلك رأيت من الخير أن أسوّى منه كتابا مبوّبا جامعا أذيعه فى الناس حتى يكونوا على بينة من الحديث النبوى يدرسونه على نور العلم ويفهمونه بمنطق العقل

ثم قال (ص ١٤) : وأرجو وقد حسرت النقاب عن وجه الحق فى أمر الحديث المحمدى ـ الذى جعلوه الأصل الثانى من الأدلة الشرعية بعد السنة العملية ، واتخذوا منه أسانيد لتأييد الفرق الاسلامية ودلائل عَلَى الخرافات والأوهام ، وقالوا بزعمهم إنها دينية ـ وكشفت القناع عما خفى على الناس من أمره ، وعرضت صورة صادقة من تاريخه ، أرجو أن أكون قد وفقت الى اصابة الغرض الأول ـ الدفاع عن السنة القولية وحياطتها مما يشوبها

الى أن قال (ص ١٥) : وإذا كان هذا الكتاب سيغير ولا ريب آراء كثير من المسلمين فيما ورثوه من عقائد وما درسوه من أحكام ، فانه سيفقهم إن شاء الله على حقائق كثيرة تزيدهم تبصرة وعلما بدينهم ، ويحل لهم مشاكل متعددة مما تضيق به صدورهم ، ويدفع عنهم شبهات مما يتكىء عليها المخالفون والصادون عن دينهم ، وبذلك يستقيم النظر إلى معرفة أصول الدين ، ويعتدل الرأى فى أغراضه من المسلمين وغير المسلمين » وذكر (ص ١٥) أنه يتوجه بعمله هذا ـ بعد الله ـ إلى المثقفين من المسلمين خاصة ، وإلى المهتمين بالدراسات الدينية عامة ، لأنهم الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره

أقول : سأصبر على هذا الغرور والتهويل ، حتى أرى نورَ العلم ومنطق العقل الذى سيقدمه أبو رية فى كتابه الذى عجز المسلمون من ألف سنة مضت عن الإتيان بمثله ! والذى سيقلب العقائد والآراء والأفكار ـ كما زعم ـ رأسا على عقب ، والذى توجه به إلى الله والى المثقفين من المسلمين وغير المسلمين الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره.

سأصبر على هذا كله ، وليس الخبر كالعيان ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان

ولو أنه قد تيسر له ما كتبه المسلمون فى خدمة الدين والحديث من كتب الجرح والتعديل ومن كتب علل الحديث وشواذه وبيان المنكر من السليم لما ادّعى أن كتابه لم يكتب مثله من ألف سنة مضت ! وظنى أنه نظر فى شىء من كتب الحديث نظر العوام الذين لا يفقهون منه إلا أمانى ، فساءت نظرته الى ما نظر منه

النهى عن كتابة الحديث

نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه — عمل الصحابة بذلك

قال (ص ٢٣) : « كان رسول الله صلوات الله عليه — كما قلنا — مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله ، ولكن أقواله فى هذا البيان أو فى غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن »

هذا البيان لكتاب الله والتفسير له من فعل النبى ﷺ وقوله قد حفظت أحاديثه عن النبى ﷺ كما حفظ القرآن ، ولا يضيرها أنها لم تدوّن فى زمنه ﷺ شأن سائر العلوم — الفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة ومفردات اللغة — ويظهر أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، فأخذ من عدم التدوين النهى عن كتابة الحديث .

وكتابة الحديث وجوازها بل واستحبابها والترغيب فيها دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وخيارها إلى يوم القيامة

فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقال ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فبين للناس بيانه الذى يبقى لهم ما بقى الكتاب الذى تعهد الله بحفظه . وقال لنساء نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فآيات الله كتابه ، والحكمة بيان النبى ﷺ لكتاب بأقواله وأفعاله ، فهل بين النبى ﷺ كتابه بالحكمة التى بعثه بها مع الكتاب لتحفظ وتبقى ما بقى الكتاب حفظا وكتابة ؟ أم بينها ونهى عنها لتنسى وتترك ويستبدل بها الناس أهواءهم وبدعهم وما يشتهون ؟

وسنة النبى ﷺ المتواترة من الكتابة للملوك : قيصر وكسرى والنجاشى والمقوقس وأمراء نجد وقطر وغيرهم ، فكتب اليهم يبلغهم رسالته من الكتاب والحكمة ، فهل كتب لهؤلاء ونهى عن كتابة حديثه لمن يأتى بعده إلى يوم القيامة ؟ لماذا ينهى عن ذلك ؟

أليس هو مبعوثا لهم كما هو مبعوث الى من كتب لهم ؟ أم يريد لهم أن لا يعرفوا هديه وحكمته ويستعيضوا عنها بأهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم ؟

وفى حديث حجة الوداع بعرفات الذى حضره ما ينيف على مائة ألف حينما سألهم ﷺ : هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد . ورفع اصبعه إلى السماء وحطها اليهم ليبلغ الشاهد الغائب . أليس التبليغ يكون باللفظ وبالكتابة ، أم يباح لفظا ويحظر كتابة ؟

وفى الحديث « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » يحظر هذا التبليغ بالكتابة ، أم يؤمر به بما يستطيع السامع المبلَّغ لفظا وكتابة ؟

وحديث أبى شاه اليمانى لما طلب من النبى ﷺ كتابة خطبته يوم فتح مكة فقال « اكتبوا لأبى شاه » أكان خاصا بأبى شاه ومن أمرهم بالكتابة فلا يجوز لغيرهم أن يكتب أو يكتب له ؟ !

ثم عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من خيار الأمة إلى يوم القيامة فى كتابة حديث رسول الله ﷺ أكان هدى أو ضلالة حتى يأتى أبو رية وأمثاله فى القرن الرابع عشر يبدعة النهى عن كتابة الحديث النبوى بشواذ ظنوها أدلة على ذلك ، وما هى إلا شبهات لا تخدش وجه الكتاب والسنة والإجماع والعمل المتوارث من خير القرون إلى يوم القيامة وسبيل المؤمنين وصراطه المستقيم

شبهات من ظن النهى عن كتابة الحديث

(١) حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه » رواه مسلم وأحمد والدارمى والترمذى والنسائى عنه

فيقال (أولا) لمن احتج به : كيف تحتج بحديث نهى النبى ﷺ عن كتابته وأمر بمحوه ؟ فالحديث المنهى عن كتابته المأمور بمحوه كيف يكون حجة ودليلا ؟ ألا يقال فيه

ما قيل فى حجج المتكلمين قديما :

حجج كالزجاج تهافتن فكلهن كاسر مكسور

والحديث له وجه صحيح سنذكره قريبا إن شاء الله تعالى

(ثانيا) الذين رووه أحمد ومسلم والدارمى والترمذى والنسائى لماذا كتبوه هو وغيره؟ هل هم لم يفهموه ، أم فهموه وخالفوه فينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وحاشاهم من ذلك : من عدم فهمه ، أو من مخالفته

(ثالثا) الإجماع منعقد على جواز كتابة حديث النبى ﷺ من عهد خير القرون إلى يوم القيامة ، فما يخالفه إما غير صحيح ، أو منسوخ ، أو معارض بما هو أقوى منه ، والعمل للأقوى

الحديث صحيح ، ووجهه — كما قال العلماء — خوفه ﷺ فى بداية الأمر أن يختلط القرآن بغيره ، الى أن يتمرنوا بأسلوب القرآن ويتمرسوا ببلاغته وتوجد لهم ملكة تميز نظم القرآن وإعجازه من نظم كلام البشر ، وهى حكمة صحيحة ووجه معقول ، يدركها من نظر فى أسباب ورود القراءات الشاذة وتدوين ما سمع من الصحابة على وجه التفسير على أنه قرآن قرؤه على هذا الوجه كما قرؤا القرآن المتواتر ، وفيه كتبت كتب الشواذ من القراءات كالأربع فوق العشر والقراءات الشاذة لابن خالوية ، ولقد أحسن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الراشدين حينما كتب المصاحف الأئمـــة وبعث بها إلى الأمصار : الكوفة والبصرة والشام وأمر بحرق ما عداها ، ومع هذا بقيت شواذ القراءات فى روايات الناس وفى كتب الشواذ والتفاسير

وقوله (ص ٢٧) : إنه سبب لا يقتنع به عاقل عالم ولا يقبله محقق دارس اللهم إذا جعلنا الأحاديث من جنس القرآن فى البلاغة وأن أسلوبها فى الاعجاز من أسلوبه الخ

ونقول له : هو سبب معقول عقله الأئمة والعلماء ، ولا يضيرنا أنك لا تعقله ، وليس كل الناس يعقل إعجاز القرآن ويفرق بين بلاغته وبلاغة سائر الكلام ، والناس طبقات فى المدارك ، وفيهم الأعجمى والمولد ومن فسدت لغتهم بالاختلاط بالأعاجم

رأت امرأة زوجها من الصحابة خارجا من عند أمته المملوكة له ، فظنت أنه واقعها ، فأنكر ذلك ، فقالت لا أصدق حتى تقرأ قرآنا إن كنت لست جنبا منها ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

فقالت : صدق الله وآمنت بأنك لم تمس الجارية . وأمثال هذه المرأة التى لم تفرق بين الشعر والقرآن كثير وكثير جدا

هؤلاء الذين رووا عن ابن عباس قول الله ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ فى موسم الحج ، فرووا قوله « فى موسم الحج » على أنه قراءة لابن عباس ، وظاهر أنها تفسير منه فهؤلاء لم يكونوا مفرقين بين القرآن المعجز المتواتر وبين ما قاله ابن عباس على وجه التفسير فرووه على أنه قراءة له . والذين سمعوا من ابن مسعود ﴿ وامرأته قائمة ﴾ وهو قاعد ، فرووها عنه قراءة له — والذين سمعوا منه أو من غيره ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ﴾ متواليات ، فرووها قراءة . والذين سمعوا من حفصة وغيرها ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ وصلاة العصر ، فرووها قراءة . هذا وأمثاله كثير فى كتب القراءات الشاذة والتفسير وغيرهما لم تمنع بلاغة القرآن وإعجازه أمثال هؤلاء أن يغلطوا فيما سمعوا من الصحابة على وجه التفسير أن يرووه قراءة ، ولولا مصاحف عثمان وانتشار أئمة القراء ومشاهير الحفظة لاختلط على كثير من الناس بل على أكثرهم ماقيل تفسيراً وروى غلطا أنه قراءة

فاذا خاف النبى ﷺ على هؤلاء وأمثالهم فى بداية العهد أن يختلط عليهم القرآن بما

كتبوه من حديثه فنهاهم عن كتابة الحديث مؤقتا حتى يتمرسوا بأساليب القرآن ويتذوقوا بلاغته وإعجازه ألا يكون ذلك من نصحه ﷺ لأمته ؟

وقول أبى رية (ص ٢٥) إن أحاديث النهى عن كتابة الحديث أصح وأقوى ، جهالة منه وتهور ، فكيف يجعل ما انفرد به مسلم أصح وأقوى مما اتفق عليه فى الصحيحين البخارى ومسلم وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى

وقوله (ص ٢٥) : لنا أن نستدل على كون النهى هو المتأخر بأمرين : أحدهما استدلال من روى عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهى عنها وذلك بعد وفاة النبى ﷺ ، وثانيهما عدم تدوين الصحابه الحديث ونشره ، ولو دونوه ونشروه لتواتر ما دونوه

والجواب عن الأول أن الأحاديث المنسوخة رواها رواتها وعملوا بها بعد النبى ﷺ حينما لم يعلموا بالنسخ ولهم العذر فى ذلك ، فهذا تطبيق ابن مسعود يديه بين ركبتيه وقت الركوع ، ووقوفه بين اثنين هو إمامهما فى الصلاة بلا تقدم عليهما ، وعمله بذلك بعد وفاة النبى ﷺ لعدم علمه بنسخ ذلك ، ومتعة النساء ـ أى الزواج المؤقت ـ يقول بها ابن عباس بعد موت النبى ﷺ وقد أخبره ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه بتحريم النبى ﷺ لها فى غزوة خيبر ، وكذلك قوله بحل الحمر الانسية للأكل مع رواية غيره كعلى ابن أبى طالب نهى النبى ﷺ عنها ، وتحريم كثير من أهل العلم من الصحابة وغيرهم للانتباذ فى آنية الجر والدباء والمزفت للنهى عن ذلك أولا ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ « انتبذوا فى كل شىء ولا تشربوا مسكرا » ، والامثلة فى ذلك كثيرة جدا . فرواية بعض الصحابة لأحاديث النهى عن كتابة الحديث بعد وفاته ليس دليلا على عدم نسخها ، فالمنسوخات كلها رويت بعد وفاته لعدم علم رواتها بنسخها

وقوله « ثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره الخ » دليل على أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، وإن بلغ به إعجابه بكتابه إلى حد الدعوى بأنه لم يؤلف

مثله من ألف سنة ، فالصحابة لم يدونوا الحديث ، ولا الفقه ، ولا الأصول ، ولا النحو ، ولا البلاغة ، ولا مفردات اللغة ، ولا التاريخ ، فهل يدل عدم تدوينهم لهــذه العلوم الاسلامية على النهى من كتابتها ، وبالتالى تحريم تدوينها ؟!

الصحابة رضى الله عنهم من الأميين الذين بعث فيهم رسول الله ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وقد تحملوا دين الله عن رسوله ﷺ فى الكتاب والسنة بقلوب واعية وحفظ عديم النظير ، حتى القرآن لو لم يبلغوه حفظا لما حفظته كتابة بعضهم الخالية من النقط والشكل وألفات المد مثل ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ قرئت فتثبتوا بالثاء من الثبات ، وقرئت فتبينوا بالياء من البيان ، ولولا الحفظ كيف كنا نميز قراءة ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾ أى من الزلل ، من قراءة « فأزالهما » من الإزالة ، كيف تتميز القراءتان من رسم (فأزلهما) ؟ وهكذا قراءة ﴿ إلا لله يقص الحق ﴾ من القصص وقراءتها « إلا لله يقضى الحق » من القضاء وقد رسمت « يقص » وقراءة ﴿ وكأين من نبى قتل ﴾ قرئت « قُتل » بالبناء للمجهول و « قاتل » بالبناء للفاعل

وهكذا حفظ الله القرآن والحديث النبوى بحفظ الصحابة لهما لا بالكتابة ، والقرآن لو لم يكتب قط لكان تسلسل تلقيه وتلقينه من حفظ الحفاظ من العهد النبوى إلى الآن هو المظهر الأعلى لما تولاه الله من حفظه إلى يوم القيامة . وهذه مزية امتازت بها شريعة الاسلام على جميع الشرائع ، ومن يجهل ذلك فهو أجهل الجهلاء

ولما زالت الأمية عن هذه الأمة المعصومة عن الخطأ دونوا القرآن لفظه وقراءاته ، ودونوا الحديث والفقه الخ

فالشك فى الحديث أنه لم يدوّنه الصحابة شك عدو فى الدين وفى حفظ الله له حجةً على خلقه إلى يوم القيامة : كتاب الله المجيد ، وسنة نبيه ﷺ وعمل السلف الصالح فى خير القرون بذلك

بقية أدلة النهى عن كتابة الحديث

(٢) قصة عائشة (ص ٢٣) فى جمع أبى بكر لخمسمائة حديث ثم حرقها الخ رواها الحاكم وجمع الجوامع للسيوطى وتقييد العلم للخطيب البغدادى وتذكرة الحفاظ للذهبى

والجواب: عجبا لمحقق القرن الرابع عشر أن يتشكك فى أحاديث الصحيحين والسنن والمسند لأنها دونت على خلاف نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه، ويخرق إجماع الأمة على قبولها، ثم يجىء إلى أثر يرويه الحاكم والخطيب البغدادى والسيوطى فى جمع جوامعه وهى مملوءة بالموضوعات والضعاف والمناكير. حسبك أن الحاكم قال فيه الذهبى: إن ربع مستدركه موضوعات ومكذوبات، وربعه صحيح على شرطيهما، وربعه صحيح ليس على شرطيهما، وربعه حسن أو ضعيف. وقد ألف الذهبى المستدرك على المستدرك ناقض فيه الحاكم فى الكثير الأكثر مما زعم صحته، ولذلك دأب العلماء بعد الذهبى على تصحيح أغلاط الحاكم وأوهامه بما قاله الذهبى على مستدركه. وأما السيوطى فلم يتقيد بالصحيح فى كتبه، فهو حاطب ليل جمع الأفاعى والحطب، على أنه حطب قد ينفع

ثم هؤلاء الذين رووا هذا الأثر الصديقى كيف ساغ لهم خلافه فكتبوا الكتب الطوال والقصار والبسائط والمختصرات فى علم الحديث، خصوصا الخطيب البغدادى والسيوطى. فلو صح عندهم هذا الأثر ما ساغ لهم مخالفته

وهذا محققنا أبو رية كيف ساغ له الاستدلال بشىء وضع كتابه للتشكيك فيه وصحح نهى النبى ﷺ وعمل أصحابه بنهيه عن كتابته ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة تردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ والآية فى وعيد اليهود، ولكن من عمل بمثل عمل اليهود مما نعاه الله عليهم فله نصيب من وعيدهم

وقد قال سفيان بن عيينة أو الثورى: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن

فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى

ثم أليس فى قصة أبى بكر — إن صحت — احترام الحديث والعمل به؟ فقد حرق ما جمع منه خوفا من أن يكون وثق بغير ثقة، إذن فالثقة هو موضع القبول بخلاف غير الثقة. ألم تقل القصة عنه إنه حرق ما جمع حتى لا يشك الناس فيما لم يجمع مما لم يبلغه؟ فقد احترم ما لم يجمع مما لم يبلغه فحرق ما جمع حفظا لما لم يجمع، فهو قد احترم الحديث ما جمع منه وما لم يجمع، وعلم أن دين الله محفوظ فى الصدور، وستدونه الأمة متى تيسر لها التدوين. فأبو بكر لم يقل أحرقت ما جمعت لأنه لا فائدة فيه، ولا لأن النبى ﷺ قد نهى عن كتابته، ولكنه أحرق ما جمع — إن صحت الرواية بذلك — لأنه خاف من إعراض الناس عما لم يجمع بسبب ما جمع، وخاف من دخيل فيما جمع، فهو على كل حال يحترم حديث رسول الله ويرى لزومه للدين، ما جمع منه وما لم يجمع

وليس يرى ما يراه محقق القرن الرابع عشر أبو رية فى ظُلُماته أن الحديث ليس من الدين ولا حاجة للدين به وأنه منهى عن كتابته الخ

(٣) قصة عمر (ص ٢٤) التى رواها ابن عبد البر والبيهقى فى المدخل عن عروة — يعنى ابن الزبير — أن عمر أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله أو استشارهم فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال: إنى كنت أريد أن أكتب السنن، وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشى أبدا، أو لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا. وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب إلى الأمصار: من كان عنده شىء فليمحه. اهـ

والجواب أن هذه القصة لو كانت صحيحة لما ساغ لراويها ابن عبد البر والبيهقى وهما من علماء الحديث وممن دوّن فيه الدواوين النافعة الممتعة كالتمهيد شرح الموطأ لابن عبد البر والاستيعاب فى أسماء الأصحاب له والعلم وفضله له كالسنن الكبرى للحافظ البيهقى ومعرفة

السنن له والمدخل اليها له

بلْه سائر أئمة الحديث من عهد مالك في موطئه ومن بعده من تابعي التابعين فمن بعدهم إلى زمن ابن حزم وابن عبد البر وقبلهم البيهقي وابن جرير وغيرهم ، كل هؤلاء كتبوا الحديث ودوّنوه وانتفع بدواوينهم خيار الأمة وأهل السنة والجماعة ، عدا من طبع الله على قلوبهم من الجهمية والرافضة وشرار أهل الكلام من المعتزلة وأشباههم ومن غرق في أهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم

(ثانيا) راوي القصة عروة بن الزبير من أوساط التابعين ، وأنى له في إدراك عمر ، وهو لم يدرك الرواية عن أبيه الذي بعد عمر ببضع عشرة سنة

ويحيى بن جعدة كذلك لم يدرك عمر

(ثالثا) إن صحت هذه القصة عن عمر كانت من اجتهاداته الكثيرة التي قد نخالفه فيها مع احترامنا لجلالة قدره وسابقته في الاسلام وعز الاسلام على يديه بعد إسلامه وفي خلافته ونصحه لصحبة الرسول ووزارته لأبي بكر وقيامه بأمر الاسلام أيام خلافته خير قيام ، ومع هذا كله وفوق هذا كله يسوغ لنا أن نخالف بعض اجتهاداته إلى ما هو أقوى منها في السنة الصحيحة أو النص الصريح ، من ذلك : (١) في مرض الوفاة النبوية طلب ﷺ كتابا يكتبه لأمته لا يضلون بعده ، فقال عمر : حسبنا كتاب الله ، وجوز أن يكون ذلك من أثر الحمى ، وقال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب . ونحن نوافق عمر أن كتاب الله فيه الهدى والكفاية ، وليس في ترك الكتاب رزية ولا كل الرزية كما قال ابن عباس ، وإنما فات من ذلك وصية كان ﷺ يريد تأكيدها ، فلم يضع بترك كتابته ﷺ الكتاب شيء من الدين ، وإنما كان بيانا وتأكيدا لما سبق له بيانه وتأكيده . (٢) نهي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أيام خلافته لمتعة الحج وقرانه بالعمرة اجتهادا منه رضي الله عنه لاكثار زوّار بيت الله بحج مفرد وعمرة مفردة بسفر آخر ، وقد صحت السنة الصحيحة الصريحة مع نص القرآن

بمشروعية التمتع والقران ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ في حجة الوداع منهم المتمتع ومنهم القارن ومنهم المفرد ، كل هذا بعلمه واقراره ، بل أوجب على من لم يسق الهدى أن يفسخ الحج إلى العمرة . وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله ﷺ وجاء القرآن بالتمتع ولم يجيء نسخ لذلك ، فقال رجل برأيه ما شاء ، يعني عمر أو معاوية ، وانعقد الاجماع بعد عمر ومعاوية بمشروعية التمتع والقران وخالفوا عمر لاتباع النص من القرآن والسنة الصريحة وعذروا عمر في اجتهاده ، وعرفوا أن فضله الكثير يغمر هذه الاجتهادات ويغطيها ، مع خلافهم لكثير من اجتهاده متى صح النص بخلاف اجتهاده ، ولسنا في حاجة إلى تعديد ما خالف اجتهاده لنص من النصوص واتباع الناس للنص وخلافهم لاجتهاده مع الاحترام له والتبجيل

(رابعا) نحن نوافق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ـ ان صحت عنه هذه القصة ـ في أن نعرض عما يشغل عن كتاب الله ، فضلا عما يستبدل بكتاب الله ويستعاض به عن كتاب الله

أما ما يبين كتاب الله ويحث عليه ويفسره فهو الركن الثاني من دين الاسلام ، وفي الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا : كتاب الله ، وسنتي »

(٤) قصة القاسم بن محمد (ص ٢٤) ومنعه عبد الله بن العلاء أن يكتب عنه حديثا ، وقول القاسم : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشدَ الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ، مثناة كمثناة أهل الكتاب اهـ ، رواها ابن سعد

والجواب كما تقدم أنها لو صحت لما خالفها الناس جميعا من عهد عمر إلى يوم القيامة ، وكيف جاز لراويها ابن سعد أن يخالفها ، وقد كتب طبقاته في عدة مجلدات ، وكان يقرؤها الامام أحمد كراسة كراسة . ومن قبله كان سائر الناس من الصحابة والتابعين وتابعيهم يروونها الى يوم القيامة

وأين للقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أن يدرك عمر بن الخطاب ، وقد كان

طفلا صغيرا فى خلافة على بن أبى طالب حينما حرق المصريون أباه لاتهامه بقتل عثمان مع قاتليه ، فضمت عائشة القاسم الى كفالتها حينئذ ، ولعله لم يكن وُلد ولا كان موجوداً أيام عمر

والعجب من محقق القرن الرابع عشر الذى زعم أنه وضع كتابه الذى لم يوضع مثله وكان يجب أن يوضع من ألف سنة ، العجب منه أن يشكك فى صحيح الأحاديث وعمل خير القرون فمن بعدهم ممن اقتفى آثارهم بهذه المنقطعات والميتات المنكرة الشاذة التى هى كالدم ، ولحم الخنزير ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وأكيلة السبع ، بجانب الكثير الطيب من مؤلفات أئمة الاسلام فى المسانيد والصحاح والسنن

(٥) وذكر (فى ص ٢٤) قصة دخول زيد بن ثابت على معاوية وقول زيد : إن رسول الله أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه ، فمحا معاوية ما كتبه عن زيد بن ثابت

ذكر أبو رية هذه القصة بلا زمام ولا خطام ، بل سيبها كالسوائب التى سيَّبها المشركون لأصنامهم ، فبالله عليك هل يبطل عمل خيار الناس من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة بأمثال هذه السوائب التى لا زمام لها ولا خطام ؟ أما كان يجب على المستدل بشىء أن يذكر من رواه ومن صححه ومن احتج به ومن عمل به ؟

فاذا كان أبو رية لم يعزُ قصة زيد مع معاوية الى شىء من كتب الرواية ، ولو التى تروى الغرائب والمنكرات والشواذ ، فنحن فى حل من الإعراض عنها واطراحها ، وقد ذكرها ابن عبد البر ، وفى سندها طعن وانقطاع

(٦) وذكر (فى ص ٢٤) خطبة على — يعنى ابن أبى طالب — وقوله : أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فانما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم . اه

ذكرها بلا زمام ولا خطام ، بَحِيرة من البحائر وسائبة من السوائب ، لم يعزُها حتى ولو لرواة الأكاذيب والموضوعات ، فكيف نترك لأجلها — وهذا حالها — كتابَ الله

وسنة نبيه وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى يوم القيامة ؟ أبمثل هذه الموقوذة نترك عمل مالك والثورى وابن عيينة ، ومن بعدهم الشافعى وأحمد والبخارى ومسلم وأصحاب السنن والصحاح والمسانيد وغيرها ؟

وراوى القصة عن على — على ما ذكره المشكك فى السنة — هو جابر بن عبد الله بن يسار ، ولا يحضرنى الآن من هو جابر بن عبد الله بن يسار هذا ، ولعل اسمه محرف عن جابر بن عبد الله بن جابر العقيلى روى عن بشر بن معاذ أنه صلى مع النبى ﷺ ، قال الحافظ الذهبى فى الميزان : وهذا كذب ، وبشر لاوجود له فيما أحسب . ويحتمل أن يكون جابرا آخر وهو جابر الجعفى ذاك التالف الهالك المؤمن برجعة على وأنه فوق السحاب ، فان يكن هو الجعفى فلا غرابة فيمن يقبل فى أبى هريرة طعن عبد الحسين النجفى الرافضى أن يقبل فى هدم سنة رسول الله ﷺ رواية هذا الهالك الساقط جابر الجعفى المؤمن بالرجعة ، فلعل هذا العمل مما لم يهتد اليه المسلمون فى ١٤ قرنا واهتدى اليه محققنا فى القرن الرابع عشر . وإن يكن غير جابر بن عبد الله العقيلى وغير جابر الجعفى فنكرة من النكرات لا يؤبه له

(٧) قصة ابن مسعود (ص ٢٤) أنه أتى بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال : أذكر الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمنى به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها ، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

وهذه كسوابقها مفلوته بلا رباط ، لا تستحق مجهود الجرى ورائها

ثم فى لفظ القصة « صحيفة فيها حديث » ولم يذكر فى القصة حديث مَن ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ فيستحق هذا الغضب عليه من ابن مسعود ، كلا ثم ألف كلا . ابن مسعود الذى يولم وليمة عندما أفتى بفتوى فذكر له حديث يؤيد فتواه ففرح فرحا عظيما ، والفتوى فى امرأة مات عنها زوجها قبل الدخول بها ولم يسم لها صداقا فقال : لها

صداق مثلها ولها الميراث وعليها العدة ، فذكر له أن رسول الله ﷺ حكم لبروع بنت واشق بمثل ذلك ، ففرح ابن مسعود بذلك فرحا شديداً ، وأولم وليمة لذلك . هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مع حديثه حبا وفرحا واحتراما . وأما اذا كان فى هذه الصحيفة خرافة من خرافات أهل الكتاب فحق لابن مسعود أن يغضب هذا الغضب وان يتتبعها إلى دير هند ليحرقها . ويشهد لهذا اعتباره بما أهلك أهل الكتاب من قبلنا من نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . يعنى واتباعهم ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وكذلك ما قال الله فيهم ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ﴾

وحاشا للمسلمين خصوصاً أئمة الحديث والكتاب والسنة أن يكونوا كذلك عند ابن مسعود أو غيره من الصحابة

وقوله (ص ٢٥) : وهناك غير ذلك أخبار كثيرة يرجع إليها فى كتابى جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وتقييد العلم للبغدادى وغيرها

وجوابه أنه لو وجد فى الكتابين أمثل مما ذكره من الأمثال للمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وأكيلة السبع التى مرت عليك ميتات غير مذكاة ، لما تأخر عن شحن كتابه بجثثها ورممها ، ولما ضنّ بجيفها على قارئى كتابه . وقد ناقشناه فى جميعها وبينا أنه لا يستدل بها إلا عدوّ لدين الاسلام مجتهد فى هدم ثانى أصوله أو مَن اتبع غير سبيل المؤمنين فى العمل بحديث نبيه ﷺ وحفظه وتدوينه

وقوله (ص ٢٥) : ولئن كان هناك بعض أحاديث رويت فى الرخصة بكتابة الحديث فان أحاديث النهى أصح وأقوى منها الخ ، فقد أجبناه على ذلك وبينا كذبه وجهله فى ذلك وأن جواز كتابة الحديث النبوى والترغيب فى ذلك جاء به الكتاب والسنة الصحيحة وعمل المسلمين من لدن الصحابة إلى قيام الساعة . فارجع إلى ذلك إن شئت

قوله (ص ٢٧) فى تهوين أمر الحديث والعمل به : ثم ما جرى عليه علماء الأمصار

فى القرن الأول والثانى من اكتفاء الواحد منهم كأبى حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وان قل ، وعدم تعنيه فى جمع غيره اليه ليفهم دينه ويبين أحكامه ــ قوى عندك ذلك الترجيح (يعنى النهى عن كتابة الحديث على جواز كتابته)

ونقول لذلك الشاكّ المشكك فى الحديث النبوى : إن الواجب على كل مسلم أن يعمل بما بلغه من دين الله ــ كتابه وسنة نبيه ﷺ ــ لقول الله تعالى ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ فمتى لم يبلغه شىء من كتاب الله أو سنة نبيه فهو معذور فى عدم العمل بما لم يبلغه من ذلك

وأما اتهامه علماء الأمصار بعدم تعنيهم فى جمع غير ما بلغهم فتهمة باطلة لهؤلاء العلماء ، وكيف ساغ له أن يرميهم بما هم برآء منه من عدم الجدّ والاجتهاد فى تحصيل دينهم وهم لم يبلغوا درجة الإمامة فى الدين إلا بالجد والاجتهاد والإخلاص للدين ، أصوله وفروعه ، كتابه وسنة نبيه

والتمثيل بأبى حنيفة لقلة الرواية وعدم التعنّى فى تحصيلها له محل آخر نناقشه فيه ، وليس إقلال أبى حنيفة من الحديث بحجة على إكثار أقرانه من جمع الحديث والاجتهاد فى تحصيله ، فليس أبو حنيفة بحجة على الزهرى وتلاميذه مالك وابن عيينة والأوزاعى والثورى وأضرابهم ، ولا من بعدهم كابن المبارك والشافعى وعبد الرحمن بن مهدى ، ومن بعدهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وهلم جرّا

وقوله ص ٢٧ « بل تجد الفقهاء ... لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به . فهذه كتب الفقه فى المذاهب المتبعة ولا سيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية فيها مئات المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها ، ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين »

وجوابه : أن الفقهاء ليس من وظيفتهم تحرير الصحيح ، وإنما ذلك عمل أهل الحديث وأما عدم الاجتماع على العمل به ووجود مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق

على صحتها ولم يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين ، فجوابه أن هؤلاء المخالفين للأحاديث المتفق على صحتها من الفقهاء إن كانوا مقلدين فلا حساب لهم ، وقد تقدم عن ابن عبد البر إجماع العلماء على أن المقلد ليس بعالم

وإن كانوا من الأئمة فلا يظن بإمام من أئمة المسلمين له قدم صدق فى الأمة أن يخالف حديثا صحيحاً بغير عذر من الأعذار التى ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته القيمة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) فذكر عشرة أعذار لما وجد من بعض الأئمة من مخالفة لحديث صحيح ، منها عدم بلوغه إياه والله يقول فى القرآن ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾

ومنها أن يتعارض بما هو أصح عنده منه كظاهر آية أو حديث يبلغه يراه أصح من الآخر أو يظنه منسوخا ، وإن كان غيره لايرى رأيه . وفى الحديث « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » — والمؤاخذة مرفوعة عن الناسى والمخطىء بدلالة القرآن والحديث ، قال الله تعالى تعليما لرسوله والمؤمنين ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى حديث مسلم « قال الله : قد فعلت » يعنى أنه سبحانه رفع المؤاخذة عن الناسى والمخطىء . وأفاد حديث عبد الله بن عمرو أجر المخطىء المجتهد فى طلب الحق على قدر وسعه ، فسقط قوله : ولم يعدَّ أحد منهم — أى بعد مخالفته للأحاديث — مخالفا لأصول الدين . لأن الأئمة الذين وجد منهم مخالفة ما للحديث لهم من الأعذار ما بينه شيخ الاسلام فى كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)

وقوله (ص ٢٧) : « وقد أورد ابن القيم فى اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملا بالقياس أو لغير ذلك »

وجوابه أن ما أورده ابن القيم فى ذلك إنما هو شكوى من تعصب المقلدين الذين هم بشهادة ابن عبد البر ليسوا من أهل العلم ، فلا يكون عملهم حجة على الاسلام وعلمائه ولا على الحديث وأهله ، ومتى كان عمل التعصب والجهل والتقليد حجة فى الدين ؟

روى الشافعى حديثاً ، فقيل له : أتأخذ بهذا ؟ فامتقع له وقال : أترانى خارجاً من

كنيسة ؟ ترانى فى وسطى زنار ؟ — أمارة الكفار — أروى حديثا عن رسول الله ﷺ ولا آخذ به ؟ ! وحكى الاجماع على أنه من تبينت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه فاسق ، حكاها عنه البيهقى فى (المدخل الى معرفة السنن)

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى شرح حديث ابن عمر « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فى باب قوله تعالى ﴿ فإن تابو وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ من كتاب الايمان فى أول صحيحه ، قال الحافظ : وفيه — أى فى حديث ابن عمر — دليل على أن السنة قد تخفى على أكابر الصحابة ، أى كما خفى حديث ابن عمر هذا على أبى بكر وعمر الذى فيه أن مانع الزكاة يقاتل كما يقاتل تارك شهادة الاسلام . قال : ويطلع عليها آحادهم — أى كابن عمر — قال ابن حجر : فلا عبرة بالآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها

الصحابة ورواية الحديث

قال (ص ٢٩) : رغبتهم عن روايته ، نهيهم عنها ، تشديدهم فى قبول الأخبار ، نهى عمر لأبى هريرة وكعب عن رواية الحديث

ثم قال (ص ٢٩) : « إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت فى نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته قد استمعوا الى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته — كما علمت مما مر بك »

قلت : لم يرد حديث صحيح فى النهى عن كتابة حديثه ﷺ إلا حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وأحمد وغيرهما ، وتقدم الجواب عنه وأنه كان فى حالة خاصة هى خوف اختلاط الحديث بالقرآن فى أول الأمر ، فلما تبين الأمر واتضح الطريق أباح ﷺ لهم الكتابة وصحت الأحاديث بذلك وتواترت السنة به فضلا عن أمر القرآن بذكر ما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة التى هى سنته ﷺ ، وكتابة الرسول إلى الملوك والأقيال

والأمراء يبلغهم دينه ، وأما الآثار عن الصحابة بامتناع نهيه فليست وثيقة ولا مترادفة كما زعم ، بل هي ميتات منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وأكيلة السباع والذئاب ومن البحائر والسوائب التي لا زمام ولا خطام لها ولا ظهر يركب ولا لبن يشرب ، كما مر عليك ذلك فيما مضى والعهد بذلك قريب ، وحسبك أنها عن أمثال جابر الجعفي المؤمن برجعة علي إلى الدنيا وارتفاعه فوق السحاب إن لم تكن عن موهوم ، ثم عن عروة بن الزبير الذي لم يلق عمر ، وعن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ، ومن هو الأسود بن هلال ؟

قال (ص ٢٩) : فإنا نجد هؤلاء الصحابة لم يقف بهم الأمر عند ذلك ، وإنما كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون عنها ، وأنهم كانوا يتشددون في قبول الأخبار تشديداً قويا

وسترى أن ما استدل به من ضوالّ الآثار الشاردة التي ضاعت عن أربابها في فيافي القفار ومهالك الصحارى

وقال (ص ٢٩) : « روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال : ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه »

والجواب : (١) إن راوي هذا الأثر قد بين انقصام ظهره بأنه من مراسيل ابن أبي مليكة الذي لم يدرك أبا بكر ولا رآه بعينه ، ومثل هذا الأثر الساقط كيف تقوم به حجة على إبطال عمل خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم ثم إلى يوم القيامة في رواية حديث رسول الله ﷺ والتحدث به ، وكيف ترد به الأحاديث الصحيحة بل المتواترة في أمره ﷺ بالتبليغ عنه ، قال ذلك في حجة الوداع في ملأ يزيد على مائة ألف ، وقاله في مناسبات كثيرة ، ولا زال الصحابة يحدثون عن رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته حتى دونت دواوين السنة من عهد التابعين وتابعيهم

ويظهر أن محقق القرن الرابع عشر أبا رية لا يميز المرسل والمنقطع من المتصل والمسند ، أو لا مانع عنده في تفكيره ومنطقه أن ينسف الجبل بهباءة يحملها الريح

(٢) وهل لم يهده عقله المعجب به إلى أن هذا الأثر لو صح لما خالفه راويه الذهبي ، بل الأمة كلها من عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، فهل ضل جميع المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى القرن الرابع عشر حتى اهتدى أبو رية إلى هذا الاكتشاف ، أم هي الدسيسة الرافضية التي حكمت بضلال الصحابة والتابعين وتابعيهم إلا نفرا من الروافض والزنادقة والملاحدة !

وقال (ص ٢٩) : « وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق ، عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعتبة بن عامر فقال : ما هذه الأحاديث التي أفشيتم (!!) عن رسول الله في الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : أقيموا عندي ، لا والله لا تفارقوني ما عشت ، فنحن أعلم ، نأخذ ونرد عليكم . فما فارقوه حتى مات »

قال : « وفي رواية ابن حزم في (الأحكام) أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث »

وهذه عجيبة أخرى من تفكير محقق القرن الرابع عشر أن ينسف عمل سلف الأمة وخيارها من صدر الإسلام إلى الآن بمنكر من منكرات تاريخ ابن عساكر في القرن السادس أو السابع . إن بين ابن عساكر وبين عبد الرحمن بن عوف مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي وتهلك فيها نفاثات الطائرات ، فأين سند ابن عساكر إلى عبد الرحمن بن عوف الذي تريد أن تهدم به دواوين السنة من مسانيد وصحاح وسنن ، وتهدم به عمل الأمة الإسلامية من عهد نبيها إلى قيام الساعة ؟

لقد كان السيوطي حاطب ليل في جانب أئمة الحديث وأعلامه ، لكنه أعقل وأعرف بهذا الشأن من محقق القرن الرابع عشر ، فذكر في أول جامعه أن علامة

الضعف تشمل ما ينقله من تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب وكامل ابن عدى وضعفاء العقيلى الخ ، فلم يعول عَلَى ما فى هذه الكتب وأمثالها اذ هى كتب الغرائب والمناكير ، وأين هى من كتب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأين الثرى من الثريا ، وأين البعر من اللآلىء والجواهر ؟

لو كان لأبى رية علم أو عقل لما استدل على إبطال السنة بهذه الجيف التى وقع عليها ، بل لو كان له فهم لعلم بطلان القصة من متنها فضلا عن سندها ، اذ كيف يغضب عمر على أربعة من الصحابة فقط هم عبد الله بن حذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وعقبة بن عامر ، ويترك سواهم مئات ومئات من الصحابة فيهم عبد الله ابنه ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك وغيرهم ، فلم يضق عمر ذرعا إلا بهؤلاء الأربعة ويرضى عن مئات من الصحابة سواهم

ولو كان أبو رية يفهم صناعة القول لأدرك بطلان القصة من قولها « فجمعهم من الآفاق » فأى أفق كان فيه أبى ذر وأبو الدرداء وعقبة بن عامر وعبد الله بن حذيفة ؟ إنهم لم يكونوا الا بالمدينة . ولو صدقنا القصة وتشككنا فيما رواه هؤلاء الأربعة وأهملنا روايتهم لبقى لنا من السنة المحمدية وحديث رسول الله ﷺ الكثير الطيب الذى يرين منه فؤاد أبى رية !

وكيف ساغ لابن عساكر أن يكتب تاريخه الكبير فى ثمانين جزءاً ، ولابن حزم أن يكتب كتبه المتعة فى السنة وفقهها كالايصال الذى قيل فيه إنه ٥٠ مجلدا والمحلى المطبوع والفِصَل وغيرها من نفائس مؤلفاته ، كيف ساغ لهؤلاء وغيرهم أن يكتبوا كتبهم ويدوّنوا دواوينهم لو صح هذا الأثر ؟

لعل أبا رية لا يتورع عن تفسيقهم لمخالفتهم فى نظره هذه الجيف التى وقع عليها . وظنها بجهله أنها تهدم عمل الأمة فى حفظ سنة نبيها !

قال (فى أول ص ٣٠) : « وروى ابن عساكر عن السائب بن يزيد قال : سمعت

عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس (أى بلاده) . وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة . وكذلك فعل معهما عثمان بن عفان »

والجواب أنها كسابقتها مما لا يحتج به إلا جاهل بكتب الحديث ، ولا يميز بين ما هو حجة وما ليس منها بحجة . ولقد صدق ولىّ الله الدهلوى إذ قال ما معناه : إن الحجة فى الحديث الصحيحان وكتب السنن المشهورة ، وما وراء ذلك فشبه المبتدعين من الروافض والجهمية والخوارج . وظاهر القصة يدل عَلَى أنها من وضع الروافض الذين يريدون وسم عمر بكراهته حديث رسول الله ﷺ ثم شهادة الأثر نفسه على تناقضه ، فتهديد عمر لأبى هريرة بنفيه إلى أرض دوس بلاده ، ألأنها لا تستحق نصح عمر وحمايته لها من أحاديث أبى هريرة إن كانت غير صحيحة ، وغير الصحيح تحمى منه أرض دوس كما يحمى منه غيرها . ولو كانت أحاديث أبى هريرة غير صحيحة عند عمر لنكل به بقطع لسانه لا بنفيه إلى أرض قومه أو غيرها

أما كعب فما كانت له أحاديث إلا عن إسرائيلياته ، وهو ليس من حملة الحديث النبوى ولا هو أهل ذلك ، والقصة تدل على غيظ راويها من أبى هريرة حتى قرنه بكعب الأحبار فى رواية الحديث

(٤) قال (ص ٣٠) : « وروى ابن سعد عن محمود بن عبيد (صوابه ابن لبيد[١]) قال : سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يحل لأحد يروى حديثا لم يسمع به فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عمر ، فانى لم يمنعنى أن أحدّث عن رسول الله أن لا أكون أوعى أصحابه ، إلا أنى سمعته يقول « من قال علىّ ما لم اقل فقد تبوّأ مقعده من النار »

والكلام على هذه كالكلام على سابقاتها من جهة سقم سندها وإعراض أصحاب الدواوين الشهيرة عنها ، وطبقات ابن سعد ليست من دواوين السنة ، وإنما هى تاريخ

(١) وقد صحح أبو رية خطأ تلك الصفحة ولم يصحح هذا الخطأ فيها لأنه لا يعرفه

لطبقات الرواة ، ولا حجة لما فيها من الأحاديث

ومن جهة المتن فانا نوافق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على شكه فيما لم يعرف فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر حتى يتثبت من صحته ، فقد نجمت فى زمنه بدع التشيع والخوارج

قال ابن سيرين : كانوا قبل الفتنة لا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : هاتوا سندكم ، والمراد بالفتنة البغى على عثمان رضى الله عنه لظهور التشيع والخروج حينئذ

(٥) قال (ص ٣٠) : « وفى جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر عن الشعبى عن قرظة بن كعب (فذكر قصة خروجهم إلى العراق ووداع عمر لهم وقوله لهم : إنكم لتأتون بلدة لأهلها دوى كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم) . وفى رواية أخرى : إنكم تأتون أهل قرية لها دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث لتشغلوهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله »

والجواب أن القصة كسوابقها من الميتات التى لم يذكها سند صحيح ولا عمل مقبول ، ولو صحت لما خالفها ناقلها حافظ المغرب ابن عبد البر ، وحافظ المغرب ابن عبد البر استحق هذا اللقب ــ الذى اعترف به محققنا ــ بحفظه لما استحق به أن يسمى حافظ المغرب ، فكيف ساغ له أن يحفظ ما نهى عنه عمر ، بل كيف ساغ له أن يروى نهى عمر ثم يخالفه ؟

لعل أبا رية لا يعرف أن سبب ضلال الخوارج والرافضة والجهمية هو اعراضهم عن سنة رسول الله ﷺ بدعواهم الاكتفاء بالقرآن وحده

لما خرجت الخوارج على على بن أبى طالب رضى الله وأرسل إليهم ابن عمه الحبر عبد الله بن عباس قال له على رضى الله عنه : لا تناظرهم بالقرآن ــ يعنى لأنهم يؤوّلونه على غير وجهه ــ ما لم يبين بسنة رسول الله ﷺ ، ولكن ناظرهم بسنة أبى بكر وعمر . يعنى التى يعترفون بها . فناظرهم فرجع منهم الى الحق من هداه الله تعالى إليه

(٦) قال (ص ٣٠ ــ ٣١) : « ولا غرابة أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية » ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخارى « هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده . فقال عمر : إن النبى غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله »

وجوابه أن السنة العملية التى يقبلها الأستاذ تصير قولية عندما يرويها راويها ، فلا فرق بينها وبين ما يشكك به من أقوال رسول الله ﷺ

والعجب من هذا الذى عاب على الفقهاء عملهم ببعض الحديث وترك بعضه أن يترك من حديث ابن عباس قوله : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب

(٧) قال (ص ٣١) : « وروى ابن سعد فى الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبى وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فما سمعته يحدثنا عن النبى حديثا حتى رجع ، وسئل عن شئ فاستعجم وقال : إنى أخاف أن أحدثكم واحدا فتزيدوا عليه المائة . قال : وسعد هذا من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة »

والجواب : أين السند ، ومن صححه ، ومن احتج به ؟ وليس كتاب الطبقات لابن سعد سوى كتاب تاريخ فى طبقات الرواة ، وليس بديوان من دواوين السنة التى نعمل بما صح فيها بدون بحث وتمحيص

ومع التسليم بفرض صحة هذا الأثر فان من يحمل علما إنما يحمله ليفيد به الناس ، وقد حدّث غيره ممن هم أكبر منه صحبة ومن سادات المبشرين بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسواهم كثير ، فحدثوا بما رأوا وما سمعوا ، ولم يخافوا ما خافه سعد لو صح هذا عنه ، رضى الله عنهم أجمعين

(٨) قال (ص ٣١) : « وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفتُ إلى ابن مسعود سنة ، فما سمعته يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله ، إلا أنه حدث ذات

يوم بحديث تجرى على لسانه قال رسول الله فعلاه الكرب حتى رأيت العرق ينحدر على جبينه ثم قال : إن شاء الله ، إما فوق ذاك أو قريب فى ذاك أو دون ذاك »

والجواب : صحح نقلك وإلا فارمه » . وعلى فرض الصحة فأى بأس أن لا يسمع عمرو بن ميمون من ابن مسعود ويسمع غيره ؟ وأحاديث ابن مسعود فى الصحاح والسنن والمسانيد شهيرة أثبتها من هم مثل عمرو بن ميمون أو أجل ، والمثبت مقدم على النافى ، ومن سمع حجة على من لم يسمع

(٩) ونقل (فى ص ٣١) قصة علقمة بن قيس وارتعاده عندما حدّث حديثا رواه ابن سعد . والجواب تقدم عن أمثال هذه القصص مراراً وتكرارا فلا حاجة للإملال به

وعلقمة يرتعد لتحديثه ، فله ورعه ورقة قلبه ، وغيره قام بما أوجب الله ورسوله من تبليغ دين الله حتى لا يضيع كما ضاع دين أهل الكتاب الذين نسوا حظا مما ذكروا به

(١٠) ومثله (فى ٣١) عدم تحديث والد ميمون الكردى مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومخافة أبى قتادة أن يزل لسانه بشىء لم يقله رسول الله

وجوابه سبق مثله مراراً ، ومن هو والد ميمون الكردى ؟ وأحاديث أبى قتادة تفيض بها الصحاح والسنن والمسانيد ، فإذا لم يسمع عبد الرحمن بن كعب منها شيئاً فقد سمعها الجم الغفير من خيار الرواة وثقاتهم

(١١) ذكر (فى ص ٣١ - ٣٢) عن كتاب دفع شبهة التشبيه لابن الجوزى قصة سماع الزبير لحديث رجل سمعه يحدث عن رسول الله ، وتغليط الزبير لهذا الرجل أن الحديث كان عن أهل الكتاب فغلط الرجل وجعله عن رسول الله ﷺ وأن هذا وأشباهه مما منعا الزبير من التحديث عن رسول الله

والجواب : ما سقطت السماء على الأرض اذا غلط غالط فى حديث حكاه النبى ﷺ عن بنى اسرائيل فحدث به الغالط عن النبى ﷺ ، فهل معنى هذا أن كل الرواة

غالطون ، وليس فيهم من حدث حقا ، ومن صدق ولم يغلط ؟ وهل من لوازم ذلك أن كل دواوين السنة وصحاحها وسننها تكون عند الأستاذ محل شك وتشكيك ؟

فى كتب العلل كالعلل لابن المدينى شيخ البخارى ، والعلل لابن أبى حاتم عن أبيه وأبى زرعة ، والعلل للدارقطنى وأمثالها يقولون عن حديث إن رفعه خطأ والصواب موقوف ، أو إن نسبته للنبى ﷺ غلط وهو أشبه بالإسرائيليات ، ومع هذا فهناك الصحاح المشهورة التى لا يتطرق اليها احتمال الوهم أو الغلط . فأئمة الحديث صححوا الصحيح ، ونبهوا على الخطأ والضعيف والمعلول ، ومن له ممارسة بكتب القوم يعرف ذلك ولا يشكك فى الصحيح لوجود غلط غالط ، أو وهم واهم ، لا سيما وأن الصحيح والغلط والوهم قد دخل كل منه فى المكان اللائق به من قبل أن يخلق الله أبا رية ، ومن قبل أن يشغل أبو رية حياته فيما لا طائل تحته ولا قيمة له

٢ و (فى ص ٣٢) قصة صحبة السائب بن يزيد لعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبد الله (صوابه عبيد) وسعد بن أبى وقاص والمقدا بن الأسود ، فلم يسمع الواحد منهم يحدث عن رسول الله ، رواها البخارى والدارقطنى

وجوابه كسوابقه : لم يسمع السائب ، وسمع من هو خير منه . وأحاديث هؤلاء وأمثالهم مملوءة بها كتب الاسلام ودواوين السنة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ

(١٣) وقصة دجين (فى ص ٣٢) عن أسلم مولى عمر أنه لم يحدث عن عمر تخوفه أن يزيد أو ينقص ، لأن رسول الله قال « من كذب على فهو فى النار » رواه أحمد وأبو يعلى . اهـ

وجوابه : من هو دجين هذا ؟ وأحاديث أسلم عن عمر وغيره تملأ الموطأ والصحاح والسنن ، فاذا جاء دجين عن أسلم بما يخالف الإجماع والمعروف كان أسلم مما يقال فيه إنه غلط عليه إن لم يكن كذب

(١٤) وقصة عمران بن حصين (ص ٣٢) فى امتناعه عن الحديث خوفا أن يغلط كما

غلط غيره من الصحابة أو يخطىء كما يخطئون ، لا أنهم كانوا يتعمدون . اهـ

لا زمام ولا خطام ، سائبة لا تقوم بها حجة . وأحاديث عمران بن حصين الثابتة تملأ دواوين السنة ، وحاشا لعمران بن حصين أن يسيء الظن بإخوانه من الصحابة ، وقد تكفل الله بحفظ دينه بوجود من يبين غلط الغالطين وأوهام الواهمين

(١٥) وحديث ابن ماجه (ص ٣٢) عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن زيد بن أرقم قوله : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله شديد

والجواب : إن زيد بن أرقم إذا أبى أن يحدث عن رسول الله لكبره ونسيانه فذلك من تقواه واحتياطه كاحتياط أمثاله ، وقد حدث هو نفسه فى شبابه وإبان حفظه كما حدث عنه غيره ما حفظوه ، فجزاهم الله عن السنة المحمدية أفضل الجزاء

(١٦) وقول ابن قتيبة (ص ٣٢) : كان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبى بكر والزبير وأبى عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . اهـ

وجوابه : إن ابن قتيبة يعلم كما يعلم غيره من أهل العلم أن هؤلاء المقلين من رواية الحديث النبوى بجانبهم الكثير الأكثر من المكثرين من الرواية ، وفيهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومنهم العبادلة عبد الله بن عمرو وعبد الله ابن عباس وأنس وأبو هريرة وسواهم كثير وكثير جدا رضى الله عن هؤلاء وهؤلاء

وإقلال هؤلاء ليس بحجة على إكثار غيرهم ، ﴿ والله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾

وإذا لم يوجد فى البخارى ومسلم حديث واحد لأبى عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة لأنه اشتغل بقيادة الجيوش الإسلامية فى فتح الشام ومات قديما فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قبل سنة عشرين من الهجرة فأى عيب على الصحيحين ، وأى

عيب على خلوّ الصحيحين من حديث أبى عبيدة ، وفيهما من حديث الأكابر أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأنس وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وأبى هريرة رضوان الله عليهم وجزاهم الله عن شريعة الاسلام خيراً

إن المشككين فى سنة رسول الله ﷺ كأبى رية مثلهم كمثل الغريق الذى يتعلق بما لا ينجيه ، وكالذى يريد اطفاء الشمس بنفخة من شدقيه . و :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

تشديد الصحابة فى قبول الأخبار

قال (ص ٣٣) : « كان الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم - كما علمت - يتقون كثرة الأحاديث عن النبى ، بل كانوا يرغبون عن روايته ، إذ كانوا يعلمون أن النبى قد نهى عن كتابة حديثه ، وأنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أن يؤدوا كل ما سمعوه عن النبى ﷺ عَلَى وجهه الصحيح ، لأن الذاكرة لا يمكن أن تضبط كل ما تسمع » الخ

وجوابه أن ذلك كذب على الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم ، ودعوى لم يدعمها دليل ، فهى ساقطة على رأس مدعيها . ودعوى رغبتهم عن رواية حديثه ﷺ مثلها فى السقوط والتهوّر الذى يكذبه الواقع ، فأحاديث الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم تعبق بأريجها كتب السنة والحديث ، لا ينكرها إلا مباهت . وكذلك دعواه علمهم بنهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه ، وما كان النهى إلا مؤقتا لعلة زال حكمها بزوالها كما تقدم

واتهامهم أنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أداء ما سمعوه منه على وجهه الصحيح سوء ظن بخيار خلق الله الذين اختارهم الله لتحمل دينه عن نبيه ﷺ . فوالله لولا حفظهم المنقطع النظير لما وصل الينا دين الله فى كتابه وسنة نبيه ﷺ على هذا الوجه المعجز

الخارق الذى لا نظير له ولا مثيل ، والدعوى عليهم بعدم ائتمان من سمع منهم أو حدث أن يزيد أو ينقص أو يبدل أو يحرف أو يغلط دعوى خبيثة نبتت فى رءوس الرافضة الذين اضطغنوا العداوة والبغضاء لجماهير الصحابة وصفوتهم واتهموهم بتبديل الدين والقرآن محاباة لأبى بكر وعمر وعثمان

ورواية المعنى التى يشكك هذا الشكيك بسببها فى سنة رسول الله ﷺ التى حفظها الله لحفظ القرآن وبيانه إن كانت جاءت نادراً لبعضهم فقد تكفل الله بحفظ دينه ، وهيأ من حفظ لفظ رسول الله ﷺ على وجهه كما قاله ، ولم نسمع من هذا المشكك إلا تشكيكا مبهما لا قيمة له ، وإذا لم يحفظ الله بيان نبيه لكتابه فما فائدة حفظ كتابه إذا لم يحفظ بيانه ؟

وسوء الظن بأصحاب رسول الله ﷺ أنهم أفسدوا سنته وحديثه بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وبرواية المعنى دسيسة خبيثة من أعداء الاسلام ، رافضة وجهمية وخوارج ، ومثلها طعن أعداء الاسلام فى القرآن بسبب نزوله على سبعة أحرف وتنوع قراءاته المتواترة ، ودعوى الروافض على الصحابة تواطؤهم مع أبى بكر وعمر وعثمان على حذف نصوص الخلافة وحصرها بزعمهم فى على

فاذا اجتمعت هذه الشكوك فى قلب إنسان مع شكوك أبى رية فى أمانة الصحابة فى حفظ حديث رسول الله ﷺ وتغييره بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ورواية المعنى فماذا يبقى بعد ذلك من الإسلام اللهم إلا الأهواء والبدع ودين الصابئة والمجوس وفلسفة اليونان والفرس والهند

ودعواه (ص ٣٣) أن أبا بكر كان لا يقبل من أحد حديثا إلا بشهادة من غيره على أنه سمعه من الرسول ﷺ دعوى كاذبة لم يُقم عليها دليلا ، فان احتج بقصة الجدة فهى حادثة جزئية لا تدل على هذا الحصر الذى ادعاه فى عمل أبى بكر أنه كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة غيره معه

وقوله : قال الذهبى فى ترجمته ـ يعنى أبا بكر ـ إنه أول من احتاط فى قبول الأخبار

هى حسنة كريمة لأبى بكر رضوان الله تعالى عليه ، والاحتياط فى قبول الأخبار غير رفضها والتشكك فيها كما فعل محقق القرن الرابع عشر

قال (ص ٣٣ ـ ٣٤) : « روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئا . ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فانفذه لها أبو بكر » . اهـ

والقصة فيها قبول أبى بكر لحديث عن رسول الله ﷺ ليس فى القرآن ، بل فيه حكم زائد على ما فى القرآن . وتأكيده بشهادة محمد بن مسلمة مع المغيرة بن شعبة احتياط مقبول فى حكم زائد على ما فى القرآن ، ولعل ذلك منه لأنه حكم مالى بتوريث من ليس له نصيب من الميراث فى كتاب الله ، فأشبه ما أوجب من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ممن نرضى من الشهداء فى المعاملات المالية

وما ذكر (ص ٣٤) أن عمر كان أشد احتياطا وتثبتا ـ يعنى من أبى بكر ـ ونقله عن ابن قتيبة أن عمر كان شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، ونقله عن الذهبى فى الطبقات أنه ربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب ، وذكر قصة أبى موسى فى استئذانه على عمر ثلاثا ورجوعه لما لم يؤذن له ، واحتجاج أبى موسى بالحديث فى ذلك وطلب عمر منه من يشهد معه وسؤال أبى موسى من الصحابة من يشهد معه وقول أبىّ بن كعب : والله لا يقوم معك الا أصغر القوم ، وقول أبى سعيد فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى ﷺ قال ذلك

والعجب العجيب أن يستدل هذا الشكيك بهذا على أن الشك والتشكيك فى الصحيح من سنة رسول الله وأحاديثه ، وكيف لم يفهم هذا الشكيك قول الذهبى « ربما كان يتوقف فى خبر الواحد إذا ارتاب » ، فهل هذا الأستاذ أعجمى اللسان أو النزعة حتى لم يفهم لفظة « ربما » التى يعبر بها عن القليل النادر ولفظة « اذا ارتاب »

(ثانيا) فى قصة أبى موسى لم يكذّبه ، وإنما أراد أن يتأكد براو آخر دفعا للوهم والنسيان ، وقبل شهادة أصغر القوم أبى سعيد الخدرى . وقول أبيّ بن كعب سيد القراء « لا يقوم معك إلا أصغرنا » دليل على صدق الصحابة وقبول أخبارهم صغاراً كانوا أو كباراً ، ولم يتردد فى ذلك عمر

وأغفل للشكاك من القصة قول عمر « ألهانى الصفق فى الأسواق » يعنى اشتغاله بالتجارة عن رواية أمثال هذا الحديث الذى حفظه أصغر الصحابة ، أغفل الشكيك هذا الاعتذار من عمر ، لأنه شجا فى حلقه

قال (ص ٣٤) : فانظر كيف تشدّد عمر فى أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدّر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث فى غير ذلك من أصول الدين أو فروعه . اهـ

ونقول له : انظر كيف قبل عمر الحديث من أصغر القوم – أبى سعيد الخدرى – واعتذر عما فاته من أمثال هذا الحديث بقوله « ألهانى الصفق فى الأسواق » يعنى الاشتغال بالتجارة ، فان هذا إقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وهو عكس ما أضاع أبو رية حياته فى زعمه وادعائه لتشكيك أمة محمد ﷺ فى هذا التراث العظيم من سنة نبيها وتشريعه وهدايته وتوجيهاته

وقوله فى هذا الحديث « ليس فيه حلال ولا حرام » غلط فظيع ، فأحكام الإذن والاستئذان من أمور الحلال والحرام ، وقد عنى بها القرآن فضلا عن الحديث ، كما فى سورة النور ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها – وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ وأفاد حديث أبى موسى أن عدم رد السلام ثلاثا بمنزلة ارجعوا ، فهو بيان لأنواع عدم الإذن

وفى الموطأ أن ابن عمر رأى سعد بن أبى وقاص يمسح على خفيه فى الوضوء ، فتوقف ابن عمر فى ذلك ، فقال له سعد : إذا رجعت إلى المدينة فسل أباك ، فسأل أباه فقال له أبوه : إذا حدثك سعد بحديث فلا تسأل عنه غيره . فى هذا قبول عمر لحديث

سعد ، وإقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وأمره لابنه أن يكتفى بحديث الثقة العدل – كسعد وأمثاله – وهو الذى جرى عليه أئمة الحديث وأعلام المسلمين ، وهو عكس ما يزعمه أبو رية ويريد مخادعة المسلمين به

وفى صحيح البخارى أن عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد شعرا فى المسجد فلحظ اليه عمر بعينه ، فقال حسان : كنت فيه مع من هو خير منك – يعنى رسول الله ﷺ – ثم ناشد حسان أبا هريرة : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول هاجهم – يعنى المشركين – وروح القدس معك ، اللهم أيده بروح القدس ؟ فسكت عمر

وأمثال هذا كثير وكثير فى السنة المحمدية الطاهرة ، وفى قبول عمر لرواية الصادقين والعمل بذلك . وقد كتب ولى الله الدهلوى رسالة سماها (مذهب عمر) فيها الكثير الطيب من عمل عمر بالحديث النبوى ، واحترام رواته ، وقبول أخبار الثقات منهم

ثم يقال لهذا الشكيك : كيف ساغ لك الاحتجاج بحديث أبى سعيد الخدرى برواية البخارى وهو من الكتب التى تشكك أنت فى صحتها وتحمل معاولك لهدمها ؟!

وقوله (ص ٣٤ – ٣٥) : « وقد استند إلى هذه القصة من يقولون إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره كما فى الشهادة الخ »

والجواب : مَن هم هؤلاء الذين قالوا إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ؟ أهم هيّ بن بيّ أم أهل الشكوك مثلك ؟ وقد سقنا لك شواهد عن عمر فى قبوله خبر الثقة كيفما كان . ولا دليل فى القصة لمن قال إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره ، فالقصة حادثة جزئية لا دليل فيها على العموم ، وجاء عن عمر أمثلة كثيرة لقبول خبر العدل ، وسيرته قاض عدل بذلك

وقد قدمنا فى أول الكتاب دلالة الكتاب المجيد والسنّة المتواترة وعمل الناس فى كل زمان ومكان بقبول خبر الثقة ، واطراح وساوس الخوف من خطئه ونسيانه ، لأن ذلك

أمر نادر ، ولا تقوم به أمور المجتمع كله ، ولا يعول على هذا الوسواس إلا ممسوس العقل سقيم الوجدان

وضربنا لهذا الرجل مثلا بخادمه اذا أخبره باستئذان مستأذن على بابه أيردُّ قبوله أم يأمره بالاذن للمستأذن ؟ ولو فتحنا باب الشك فى خبر الثقة بوسواس جواز الخطأ والنسيان عليه لفسدت مصالح الناس وتعطلت أعمالهم، فضلا عن مخالفة ذلك للكتاب والسنة ودين الاسلام الذى هو دين الفطرة والمعقول

الكذب على رسول الله ﷺ

اجتهد أبو رية (ص ٣٦ – ٣٧) فى البحث فى حديث « من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وخرج من بحثه إلى أن كلة « متعمدا » ليست من كلام النبى ﷺ وأنها إما مدرجة فى الحديث من بعض الرواة ، أو موضوعة على النبى ﷺ أى مكذوبة عليه ، قال : ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة من غير عمد كما كان يفعل هؤلاء الصالحون من المؤمنين ويقولون « نحن نكذب له لا عليه » ، أو يتكىء عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكيلا يكون عليهم حرج فى ذلك ، لأن المخطىء غير مأثوم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء الرواة قاعدتهم المشهورة « انما الكذب على من تعمده » اهـ

والجواب : سواء صحت كلة متعمداً عن النبى ﷺ كما رواها انس خادم النبى ﷺ وأبو هريرة حافظ هذه الأمة لحديث نبيها أو لم تصح ، وكانت مدرجة أو موضوعة كما زعم محقق القرن الرابع عشر ، فان الإجماع الذى نقله الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بشرح البخارى أن المخطىء غير مأثوم ، ونقل أبو رية عن ابن حجر هذا الاجماع فى كتابه (ص ٣٩) ودليل هذا الاجماع ما أثنى الله على رسوله والمؤمنين وما علمهم إياه ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى حديث مسلم « قال الله قد فعلت » ، فالخطأ والنسيان قد رفع الله عنا المؤاخذة بهما بنص القرآن وصحيح الحديث ، وما أظنه يخالف فى ذلك أحد حتى الخوارج ، سوى محقق القرن الرابع عشر أبى رية الذى ضيق رحمة الله على خلقه ، وأبى إلا

مؤاخذة المخطىء والناسى ، على خلاف الكتاب والسنة والاجماع

ولو آخذنا هذ الرجل بما ذهب إليه من مؤاخذة الناسى والمخطىء غير المتعمد لكان لنا أن نقول : هو فى قعر جهنم ، وفى الدرك الأسفل منها ، لكذبه على الله سبحانه فى تحريف آية من كتاب الله تعالى (ص ١٦ س ١٧) هى قول الله تعالى ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ﴾ فذكرها غلطا هكذا « قد خلت سنن من قبلكم الخ » فقدم وأخر وحرف لفظ القرآن غلطا منه ، فأيهما أعظم جرما : تغيير لفظ كتاب الله ، أو الخطأ فى حديث رسول الله ﷺ ؟

وكذلك كذبه على الله (فى ص ٣٦ س ٩) بأنه – يعنى الله سبحانه على ما تفيده عبارته – « رسول دين عام وصاحب رسول شريعة للناس كافة »

فاذا اعتذر هو أو من يعتذر عنه بأن هذه والتى قبلها غلط مطبعى ، قلنا وأين كنت عن تصحيحها قبل الطبع وأنت المباشر له بنفسك المرة بعد المرة فى المطبعة وفى البيت يا من لا يقبل عذر الناسى والمخطىء اللذين عذرهما الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه وبالإجماع الذى اعترفت به نقلا عن الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ وأمير المؤمنين فى الحديث بشهادتك

أم أنه يدعى لنفسه العصمة عن الخطأ والنسيان ، وهذه الدعوى لا نسمع من أحد ولا فى مستشفى المجاذيب ؟ !

الكذب على النبى قبل وفاته

والكذب عليه بعد وفاته صلوات الله عليه

وقد وقع الكذب على الله ورسوله ﷺ فى حياته من المنافقين ، قال الله تعالى ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ ، وقال سبحانه ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾

والكذب عليه بعد وفاته كثير وواقع من الكاذبين عليه من الوضاعين وجهلة العبّاد وغيرهم ، ولكن ذلك لا يدل على ما يرمى اليه أبو رية من الشك فيما رواه الثقات العدول الأمناء على دينه وحديثه من أمهات المؤمنين وكرام الصحابة وخيار التابعين وتابعيهم إلى قيام الساعة

ووجود كذب وكاذبين فى الناس لا يرفع الصدق عن عموم الناس ، فلو تشكك متشكك فى خبر عدل صادق ثقة من أجل وجود كاذب ، لكان أحمق مباهتا خارجا عن فطر الناس وعقولهم

وقد اعتمد أبو رية (ص ٤٣) على مقدمة صحيح مسلم فيما نقل من كذب بعض الناس على رسول الله ﷺ ، فاذا كان مسلم ومثله البخارى وغيرهما من أئمة الحديث حجة عند أبى رية وعمدة فى النقل — وهذا هو المطلوب — سقطت شكوكه وتشكيكاته على السنة ، وإن لم يكونوا حجة فكيف ساغ له الاستدلال بما فى مقدمة صحيح مسلم ليهدم به الثابت من أحاديث النبى ﷺ عند ثقات الأمة من أصحاب النبى ﷺ وخيار التابعين وأئمة الحديث النبوى حفظا ونقدا وتمحيصا ؟ !

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وراويتهم عن التابعين

ذكر (فى ص ٤٧) عن ابن القيم سماع ابن عباس لعشرين حديثا من النبى ﷺ ، وعن ابن معين والقطان وأبى داود أنها تسعة أحاديث ، وعن الآمدى فى أحكامه حصرها فى أربعة

ثم ذكر أن أحمد روى لابن عباس ١٩٩٦ حديثا ، يعنى أنها عدا ما سمعه ، وقد سمعها من غيره من الصحابة عن النبى ﷺ ، يعنى فتكون موضع شك عند أبى رية

ونقول لأبى رية الذى أقحم نفسه على هذه الأمور من غير أبوابها : إن الذين روى عنهم ابن عباس حديث النبى ﷺ ووثق بهم — وهم أهل أن يوثق بهم — مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وأمهات المؤمنين كعائشة وخالته ميمونة بنت الحارث وأم سلمة وحفصة ، وغيرهم من أكابر الصحابة مثل قوله : حدثنى رجال مرضيون ، وأرضاهم عندى عمر بن الخطاب ، أن النبى ﷺ كان ينهى عن الصلاة — يعنى النافلة — بعد العصر ، فمن لم يسعه ما وسع حبر الأمة المدعو له بالحكمة والفقه فى الدين فلا وسّع الله عليه

وقد نقل أبو رية عن الدكتور أحمد أمين فى فجر الاسلام عدّه لابن عباس فى الطبقة الأولى فى العلم ، وفى صحيح البخارى أن عمر كان يعد ابن عباس فى حاشيته ويدخله مع أكابر الصحابة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وغيره ، فاذا وثق ابن عباس بأكابر الصحابة والخلفاء الراشدين فروى عنهم أحاديث رسول الله ﷺ ووثق بهم وأرسلها عنهم ، ولو سمى لسمى أكابر الثقات ، فأى بأس وعيب على الإمام أحمد أن يروى عنه فى مسنده ١٩٩٦ حديثا لم يسمع إلا بعضها مشافهة من النبى ﷺ وسمعها من أكابر الصحابة وأمهات المؤمنين . انطح رأسك يا أبا رية فى جبال الدنيا ، فستعيا وينكسر رأسك ، وسنة رسول الله ﷺ لا ضير عليها من ظلمات شكوكك ومضحكات خزعبلاتك

وقوله (ص ٤٨) : « وأما التابعون فقد كان من عاداتهم إرسال الأخبار » واستدل بما روى الأعمش قال : قلت لابراهيم النَّخَعى إذا حدثتنى فأسنِدْ ، فقال : اذا قلت لك حدثنى فلان عن عبد الله فهو الذى حدثنى ، وإذا قلت لك حدثنى عبد الله فقد حدثنى جماعة عنه

فحكمه على التابعين أنه كان من عادتهم إرسال الأخبار ، وقوله فى حاشية الصفحة ٤٨ : وكان التابعون يتبعون فى ذلك سبيل الصحابة فيما يروون من الأحاديث التى لم يسمعوها من النبى ﷺ وإنما تلقوها من اخوانهم ، فانهم كانوا لا يذكرون أسماء من تلقوا عنهم ، كل هذا جهل وظلم للصحابة والتابعين وافتراء على الأحاديث المسندة المشهورة والمستفيضة فى دواوين السنة كالبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى . وذكرُه ابراهيم النخعى كدليل على اتهام التابعين بما اتهمهم به من حكمه الجائر الظالم ، وقد ذكر

الأئمة : عن ابراهيم النخعى أنه كثير الارسال ، فمن كان هكذا كيف يكون عمله وصمة لسائر التابعين سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، والشعبى ، والزهرى ، وغير هؤلاء الأئمة

وقول أبى رية (ص ٤٩) : وقد روى التابعون عن تابعى التابعين . ومثل برواية الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذهما ، فأىّ عيب على الزهرى ويحيى ابن سعيد الأنصارى إذا رأيا عند مالك حديثا عن أحد شيوخه ــ نافع مولى ابن عمر أو سالم بن عبد الله بن عمر ــ فروياه عنه حفظا للعلم وثقة بتلميذهما إمام أهل التثبت والصدق والعدالة مالك بن أنس جامع علم أهل المدينة ومدوّنه فى موطئه

وقوله (ص ٤٨ ــ ٤٩) : على أن الصحابة فى روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين لم يكونوا ــ كما أبنّا ــ يذكرون أن أحاديثهم قد جاءت من سبيل الرواية عن غيرهم ، بل يروون ما يروون فى المناسبات التى تستدعى ذكر الحديث مهما طال الزمن من غير عزو إلى من سمعوا منهم ثقة بهم إلى أن وقعت الفتنة ، ومن ثم قالوا : سموا لنا رجالكم . ثم نقل (ص ٤٩) عن ابن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم . قال : والفتنة قد ذر قرنها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه . هـ

والعجب من محققنا يسوق الكلام على عواهنه فيهدم آخره أوله ولا يفطن لذلك ، أو هى شهوة الطعن على حديث رسول الله ﷺ ولو بالهذيان والكلام المتناقض

فتراه فى أول كلامه يتهم الصحابة بروايتهم عن إخوانهم من الصحابة والتابعين بدون ذكر من رووا عنهم ــ أى من الصحابة والتابعين من غير عزو إلى من رووا عنهم ــ ثقة بهم ، ثم نقل عن ابن سيرين أنهم ــ يعنى الصحابة ــ لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، والفتنة ذرّ قرنها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه

إذن كانت ثقتهم بمن يحدثونهم فى زمن أبى بكر وعمر قبل الفتنة ، وكان ذلك أزهر

عصور الاسلام ، حتى فسره بعضهم « الصراط المستقيم » الذى نسأل الله الهداية إليه فى فاتحة الكتاب سبع عشرة مرة على الأقل فى كل يوم ، فسروه بأنه سنة أبى بكر وعمر ، فكان العصر عصر صدق وأمانة وعدالة ، ومن أخطأ منهم ردوه عن خطئه بشهادة الله لهم فى قوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ والآية وإن كانت فى الأمة الاسلامية جميعها فالصحابة خصوصا أهل عصر أبى بكر وعمر فى الذروة العليا منها

ومتى كان التابعون يحدّثون الصحابة أيام أبى بكر وعمر ؟ ومن هو ذلك التابعى الذى حدث الصحابة قبل الفتنة أى قبل زمان عثمان أو قبل سنة ٢٤ هـ وأكبرهم كسعيد ابن المسيب ولد فى آخر خلافة عمر ، فكيف كان هو أو من هم أصغر منه أئمة حديث الصحابة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأمهات المؤمنين

يظهر أن أبا رية لا يعرف ما يجرى به قلمه من التهافت والتناقض للهوى والعمى ، وشهوة الشك فى أحاديث رسول الله ﷺ ، فكتب ما يضحك العقلاء أو يبكيهم عليه

قال (فى نهاية ص ٥٠ فى آخر الحاشية) عن حديث فى فضل عائشة : رواه أبو نعيم من جهة أحد بن خيل !!

قلت : والذى له اشتغال بعلم الحديث وبكتب رجاله يستغرب هذا الاسم ، أحد بن خيل ، فهو محرف إما من محقق القرن الرابع عشر أو من جامعى حروف الكتاب ، ومهما يكن من أمر فان المشكك فى سنن رسول الله وحديثه قد ضيق رحمة الله عن المخطىء ، فيكون هو أول من تضيق عنه رحمة الله بما كسبت يداه ، وبتعصبه وهواه

وقال فى (ص ٥١) : « رواه الشيخان عن عامر بن مسروق » وهذا من جهله بأوليات أسماء الرجال وجهله بأشهر الأسانيد وأوضحها ، وصواب السند : عامر ، وهو ابن شراحيل الشعبى الإمام العلم ، عن مسروق ، وهو ابن الأجدع الهمْدانى من مشاهير التابعين

نقد الصحابة بعضهم لبعض (ص ٤٩ — ٥٤)

أكثر الشكيك الشكك فى أحاديث النبى ﷺ من ذكر إنكار أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لرد بعض أحاديث الصحابة لظنها أنها مخالفة للقرآن، وقد أجاب العلماء عن ذلك فبينوا صحة الأحاديث وخالفوا أم المؤمنين فى ظنها معارضة القرآن لهذه الأحاديث التى ردتها

(١) من ذلك حديث عمر وابنه وغيرهما فى الصحيح من نداء النبى ﷺ لقتلى بدر وقوله لهم « يافلان وفلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا » فقال له عمر : يارسول الله كيف تنادى قوما قد جيفوا — أى صاروا جيفا — فقال ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون » ردته عائشة لظنها أنه يخالف قوله تعالى ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾، ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾

وأجاب العلماء بأنه لا معارضة بين الحديث وما ذكرت من القرآن فالقرآن يسلى النبى ﷺ لحزنه على عدم سماع الكفار لدعوته، ويبين له أنهم موتى القلوب صم الآذان عمى الأبصار ﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ فلا تعارض بين ذلك وبين حديث قتلى بدر أهل القليب، وقد قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا توبيخ النبى ﷺ . ومثل ذلك حديث الميت « حتى إذا تولوا عنه وإنه ليسمع قرع نعالهم » وغيره كثير

(٢) ومثله ردها لحديث عمر وابنه « إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه » لظنها معارضته لقول الله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وأجاب العلماء بعدم المعارضة، إما لأنه ربما يكون أوصى بالبكاء عليه فيعذب بوزره هو، أو يكون قد قصر فى حياته فى عدم نهى أهله عن البكاء على الأموات فيعذب بعدم عمله لقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ ويكون بكاء أهله عليه الذى قصر فى نهيهم عن مثله فى حياته سببا لمؤاخذته فى تقصيره فى تعليم أهله . وأجاب شيخ الاسلام ابن تيمية بأن العذاب هو الألم لما وقع فيه أهله من مخالفة الشرع، وليس عقوبته على ذنب غيره

الذى نفته آية ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾، وأيا ما كان الأمر فليس بين ماردّت أم المؤمنين وبين الآية تعارض كما ظنت

لقد سمعت حديث رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب هلك » فظنته معارضا لقول الله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ فبين لها النبى ﷺ أن ذلك العرض، وأما من نوقش الحساب فقد هلك . وقالت للنبى ﷺ : يرجع أزواجك بحج وعمرة وأرجع بحج فقط، لأنها حاضت قبل أن تتم عمرتها، فقال لها النبى ﷺ « يكفيك طوافك وسعيك عن حجك وعمرتك » فلم تقتنع، فأرسل معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم تطييبا لخاطرها

وقال الله لها ولأزواج نبيه ﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ وقال النبى ﷺ لهن فى حجة الوداع « هذه ثم لزوم الحصر » — يعنى لزوم البيت بعده ﷺ، ولكنها تأولت الحديث تأويلا خطأ وخرجت إلى الكوفة لأجل قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه . ولما عقر جملها فى وقعة الجمل التى سميت باسم جملها ذكرها على بخطئها فبكت حتى بلت خمارها وندمت وتابت إلى الله تعالى، ولها من الحسنات وصحبة نبيه ﷺ ما يغمر ذلك كله

وهكذا رضى الله عن أم المؤمنين عائشة وسائر الأمهات الطاهرات وعموم أصحاب النبى ﷺ ومن تبعهم باحسان إلى يوم القيامة، نعترف بفضلهم ونترضى ونترحم عليهم ولا نعتقد العصمة فى أحد — أيا كان — بعد رسول الله ﷺ، ولهم حسنات تمحو وتفيض على ما صدر منهم من خطأ متأول، وكثير من مفتريات الشيعة عليهم زور وبهتان

ومسألة رؤية النبى ﷺ لربه ليلة المعراج يثبتها الحبر ابن عباس وتنفيها أم المؤمنين عائشة، وفى حديث أبى ذر عند مسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال ﷺ « رأيت نورا » وفى لفظ « نورٌ أنّى أراه » وجمع العلماء بين ما ذهب اليه ابن عباس فى إثبات رؤيته ﷺ لله ليلة المعراج وما ذهبت اليه عائشة رضى الله عنها من نفى ذلك بأن مراد ابن عباس رؤيته ﷺ بقلبه، ولا ينافى ما نفته عائشة من رؤيته ﷺ لله ببصره، ويتأيد بلفظ

حديث أبي ذر « رأيت نوراً » يعني رأى من حجب أنوار الله تعالى التي جاءت في حديث أبي موسى مرفوعا « إن لله سبعين حجابا من نار أو نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه » ، فلا فائدة من التهويل بانكار عائشة لما ذهب اليه غيرها من إثبات الرؤية ليلة المعراج

وما قال المشكك في آخر حاشية ص ٥١ أثراً أو قائلا « وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي » شنشنة نعرفها من أخزم في سدى كتابه ولحمته من الشك في الأحاديث النبوية والحكم عليها حكما جائراً ظالماً أنها لا تفيد اليقين ، إنما تفيد بزعمه الظن ، والله حسيبه على ما افتراه عليها من هذا الباطل ، فاذا لم تفد أحاديثه ﷺ اليقين فمن أين يستفاد اليقين ؟ أمن هوس المتكلمين وترّهات الجهمية وضلالات الروافض ؟ فاللهم عفوا وغفراً ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

وخاتمة السوء التي ختم بها باب نقد الصحابة بعضهم بعضاً إذ نقل عن الدكتور أحمد أمين (ص ٥٢ ـ ٥٣) ما نقله أحمد أمين عن الزيدي الرافضي الطاعن على أصحاب رسول الله الجاحد لما شهد لهم به الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذه الرسالة المنسوبة لبعض الزيدية لعلها المسماة الكافية في النهي عن تولي معاوية للذي يسمى ابن عقيل الحضرمي ـ وما هو بزيدي ولكنه رافضي قطير ـ إذ يقول : إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً بل ويلعن بعضهم بعضاً ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي . وهذا معاوية وعمرو ابن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف . وكذلك روى عن عمر أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه ، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ . وكان التابعون يسلكون

بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا ، وإنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك ، والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذممناه ومن أحسن حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فمعاصينا أخف لأننا أعذر » اه

أقول : ـ لقد قذرت قلمي وآذيت بصري بقراءة ونقل هذه القاذورات لترى القيح الذي خرج من قلب هذا الرافضي ـ ابن عقيل أو غيره ـ في بعض أصحاب رسول الله وشرب أبي رية في كتابه من هذا القيح والصديد ، لأن قلبه مؤوف بهذا البغض والقيح والصديد لأصحاب رسول الله ﷺ ، فكيف من بعدهم من خيار الأمة وحملة العلم النبوي من التابعين وتابعيهم باحسان

أين غاب عن أبي رية قول الله تعالى ﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فهل هذا النص القرآني باطل ، أم منسوخ ، أم جاء في غير محله اللائق به ؟ وقول الله سبحانه ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ فأين هذا من الذين اضطغنوا الغل لهؤلاء الكرام الأخيار ،

وشحنوا قلوبهم به ؟ وقوله عز وجل ﴿ والذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ وقوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وقوله ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ وقوله ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا قبل ذلك لفى ضلال مبين ﴾ ودعاء الخليل ابراهيم عليه السلام ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ والحديث الصحيح : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » والحديث « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين أو ثلاثة

وإذا كان هذا الرافضى الخبيث الذى سماه أحمد أمين زيديا ـ سواء كان ابن عقيل الحضرمى أو غيره ـ قد ورث عن زراعى حنظلة الرفض من زنادقة الفرس واليهود الذين أدمى قلوبهم ظهور الاسلام ولا سيما فى زمن أزهر عهوده وأبهى عصوره بعد عصر النبوة أعنى به عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى انتهى غيظهم منه باغتياله فى محراب رسول الله ﷺ وهو يصلى بالمسلمين صلاة الفجر ـ أقول إذا كان غيظ هذا الرافضى الذى ورثه عن زنادقة الفرس واليهود فقال فى الصحابة وفى عمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص وأبى هريرة ماقال ، فالعجب من الدكتور أحمد أمين الذى زعم نفسه مؤرخ الإسلام فيما سماه فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، ولا عجب فى ارتشاف أبى رية من هذا القيح والصديد وقيئه فى كتابه الذى سماه أضواء على السنة المحمدية ، وأعاجيبه كثيرة هذه إحداها ، ومنها تكراره دعوى نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه معتمداً على أمثل ماجاء فى ذلك أعنى حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وهو قد هدم الاعتماد عليه بما نقل عن أم المؤمنين عائشة (ص ٥٢) قالت عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى : ما علمُ أنس بن مالك وأبى

سعيد الخدرى بحديث رسول الله ، وإنما كانا غلامين صغيرين ه . فاذا كان قول أم المؤمنين فى أنس وأبى سعيد الخدرى إنهما لا علم لهما بحديث رسول الله ﷺ لصغرهما حجة ، إذا كان قولها هذا حجة عند أبى رية ، فلا حق له أن يستدل بحديث ما عن أبى سعيد الخدرى ، ومن ذلك حديثه فى النهى عن كتابة الحديث فقد أسقطه بكلام عائشة هذا ، وإن لم يكن كلامها حجة عنده فى أنس وأبى سعيد سقط احتجاجه بسائر كلامها فى ردّ ماردّت عن بعض الصحابة خصوصاً حديث عمر وابنه فى توبيخ النبى لقتلى بدر أهل القليب وفى تعذيب الميت ببكاء أهله عليه وغير ذلك مما شوش به أبو رية فى فصله هذا ، وهكذا يطفىء أبو رية أضواءه بنفسه ، وتبقى دواوين الحديث والسنة وأئمة الحديث النبوى نجوم هداية وبيان لكلام الله تعالى ولدين الاسلام ، رغم أنف مبغضيها من الروافض والخوارج وأبى رية

وكلام الرافضى ـ ابن عقيل الحضرمى ـ الذى نقله أحمد أمين فى ضحاه المظلم واعتمده أبو رية فى أضوائه المطفأه (ص ٥٢ و ٥٣) ما هو إلا تحقير للصحابة ، وجحد لفضائلهم ، وفيه أكاذيب مفضوحه وبهت سخيف كقوله (ص ٥٢) فى الصحابة : ويلعن بعضهم بعضا وهو كذب ورب الكعبة ما كان أصحاب رسول الله بلعانين ولا سبابين بعضهم بعضاً ، إلا ما تنسبه الشيعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب فى خصومه فى السياسه وكثير منه مبالغ فيه وكوفىء على عمله ليكفر الله عنه ، فقابله خصومه بمثل ما بدا منه أو أشد

وقول الرافضى (ص ٥٢) وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وبجانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على ، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف

وجوابه : إن عليا رضى الله عنه هو الذى بدأ بالقتال مجتهداً متأولا ، ففعلوا معه ما فعل معهم ، حتى ظن غلاتهم أن له فى ذلك ضلعـــا ـ وحاشاه ـ فلذلك قابلوه بمثل ما قابلهم به

وجاء عن بعض خيار الأئمة ـ الثورى وابن عيينة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصرى ـ فيما جرى بين الصحابة من الخصام والقتال ، تلك الحكمة الذهبية : هذه دماء طهر الله منها سيوفنا فنطهر منها ألسنتنا

ومن قرأ منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومختصره لخير تلاميذه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى ، يخرج منها بالرضاء والترضى على أصحاب رسول الله ﷺ جميعا ، ولعن مبغضيهم من الروافض والخوارج ومن سلك سبيلهم ، كهذا الحضرمى ومن رضى قوله

وقول الرافضى (ص ٥٢) : وكالذى روى عن عمر أنه طعن فى رواية أبى هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفىء واقتطاعه ، وقل أن يكون من الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ

جوابه أن هذه ضغائن وغل وأحقاد وأكاذيب من زنادقة الفرس واليهود على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى لم ير الاسلام بعد عصر النبى ﷺ وخليفته أبى بكر أعز من عصره وأزهر وأنور، هؤلاء الزنادقة الذين أزال عمر مجوسيتهم من إيران وطرد اليهود من جزيرة العرب وأعز الله الاسلام بإسلامه وخلافته ، أكل الغيظ قلوبهم من عمر ، وتآمروا على اغتياله وهو قائم يصلى الفجر فى محراب رسول الله ﷺ بخيار المسلمين ، ثم لم يكفهم ذلك حتى زرعوا تلك الشجرة الخبيثة شجرة الرفض وتفريق جماعة المسلمين ، أو من عمى قلبه بترهاتهم ، وجاء هذا الحضرمى الرافضى يسلك سبيل أعداء الاسلام فى بهت عمر وتحقيره وتنقيصه ، وجاء أعمى القلب هذا أبو رية يعتمد كلام هذا المؤوف وقيحه وصديده ، ويعلق عليه بقوله فى الحاشية : راجع ترجمة أبى هريرة ، وراجع فصل عدالة الصحابة !

وستراجع ذلك إن شاء الله تعالى حتى نرى غيظك على سلف الأمة وصحابتها وحملة

أمانات دينها الذين هم خير أمة أخرجت للناس ، ونرى كفرك بما أنزل الله فى القرآن فى فضائل أصحاب نبيه ، ونشهد على نفاقك ببغضك لأصحاب رسول الله ﷺ الأشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجود الذين رفع الله منارهم وأعلى قدرهم فى التوراة والانجيل والقرآن ، وشهد لهم الواقع والتاريخ بما لم يشهده لأحد غيرهم

وقول الرافضى (ص ٥٣) « وأمثال ذلك مما رواه التاريخ » فيقال لهذا الرافضى الخبيث : أى تاريخ هذا الذى اعتمدت عليه فى ثلب الصحابة وتفسيقهم وذمهم ؟ أهو تاريخ لوط بن مخنف الشيعى المحترق والكذاب المفترى ؟ أم تاريخ ابن الكلبى صاحب مثالب الصحابة ؟ أم غيرهما من كذابى نحلة الروافض والمفترين على خيار سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة ؟ !

وقول هذا الرافضى (ص ٥٣) « وإنما اتخذهم العامة أربابا » بهتان عظيم على خيار الأمة الذين سماهم عامة ، وبهتهم بأنهم اتخذوا الصحابة أربابا ، ولقد صدق القائل : رمتنى بدائها وانسلت

لقد تكلم هذا الرافضى الحضرمى ابن عقيل مع أحد وجهاء الحجاز الشيخ محمد أفندى نصيف عين أعيان جدة ووجيهها بشىء من رفض هذا الحضرمى ، فقال له الشيخ نصيف : ياسيد ـ وخسارة فيه كلمة سيد ـ إن الناس لهم عقول ودين ، فلا تطمع فيهم أن يعبدوا أهل البيت والعلويين الذى تنتمى اليهم ، أو ما هذا معناه . وذلك حينما قال له هذا الرافضى : أفسدكم ـ أو أمرضكم ـ مطالعة كتب ابن تيمية الناصبى

ويقال لهذا الرافضى الجاهل (القائل فى ص ٥٣ فى الصحابة : ومن أساء منهم ذممناه) ومن أنت أيها النكرة حتى تعرف الإساءة للصحابة وتذمهم على ذلك ؟ انتظر غائبك فى سرداب سامراء ، وكل من علف الدواب المعدة لركوبه عند خروجه بزعم الحمير من جماعتك ، وقد مضى على غيابه بزعمهم نحو ألف سنة وهو مختبىء فى سردابه ، أفما آن لهذا الموهوم المعدوم أن يخرج لينصر جماعته ؟ وليت شعرى كيف حال سراديبه فى ألف

سنة من بوله وغائطه ؟ ولكن الحمير لا يعجزهم أن يخترعوا له خوارق من ابتلاع أرض السرداب لقاذوراته ، أو أن يمسخ روحاً لا تبول ولا تتغوط ، وما ذلك على عقول الحمير بغريب ولا عجيب . أليست هذه العقائد السخيفة هى التى حولت أبناءكم فى العراق إلى شيوعية ، وفى إيران إلى حزب توده ؟! وهل كانت تكون هذه الانحرافات الشيوعية لولا هذه الخرافات الشيعية ؟!

وصدق من قال فى الروافض : لو كانوا طيراً لكانوا رخما أو بوما ، ولو كانوا دواب لكانوا حميراً أو بغالا . أقول : ولو كانوا زرعا لكانو حنظلا . على أن الحنظل قد ذكر فيه الطب فوائد علاج لبعض الأمراض ، فلو كانوا شجراً لكانوا قتاداً وعوسجا وغير ذلك من شائك الأشجار . على أن فى جذوع هذه الأشجار ما يصلح للسقوف والأبواب ويصلح حطبا للطبخ والخبز والتدفئة عند البادية ، بخلاف الرافضة الذين هم شر على الاسلام فى كل زمان ومكان ، وما روى التاريخ نكبة على الاسلام وأهله إلا كان الرافضة موقدى نارها وجنود فتنتها ، ولم يعيشوا إلا فى ظل عدو للاسلام وحمايته

كيف روى الحديث بعد نهى النبى ﷺ عن كتابته ص ٥٤ ــ ٦٠

لهج هذا الشاك المشكك بكلمة نهىَ النبى ﷺ عن كتابة حديثه ، وقد غفل أو تغافل عن إبطال دليله فى النهى وهو حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وأحمد اذ نقل (ص ٥٢) عن عائشة قولها : ما علمُ أنس وأبى سعيد الخدرى بحديث رسول الله ﷺ ؟ وإنما كانا غلامين صغيرين . وهكذا يتهافت كلام الباطل والمبطل وتنطفىء الأضواء على أبى رية ويبقى حديث رسول الله ﷺ قائما صحيحا هو أصل دين الاسلام بعد كتاب الله تعالى لأنه بيانه وتطبيقه كما قال تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ وقوله لأمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾

قوله (ص ٥٤) : يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم ولا علم عندهم بالخبرة أن أحاديث الرسول التى يقرءونها فى الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة

المبنى ومحكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة كما نطق النبى ﷺ بها بلا تحريف ولا تبديل

ونقول لهذا الشاك المتشكك المشكك فى أصل دين الاسلام الثانى ـ حديث النبى ﷺ ـ كما نقول لغلاة الرافضة المشككين فى القرآن القائلين بأنه قد ضاع منه نصوص خلافة على بزعمهم ، نقول لهم جميعاً : إن البشرية جميعا لم تشهد دينا حفظت أصوله من القرآن والحديث كما شهدت لدين الأسلام

ولو كنت تؤمن بقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ لما رميت خيار هذه الأمة وسلفها بتحريف الأصل الثانى لدينها وتبديله

والذين آمنوا بأحاديث النبى ﷺ وصحتها مبنى ومعنى وأن النبى ﷺ قالها كما رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد بلا تحريف ولا تبديل وهم الأئمة أهل الخبرة بالعلم، والعلم بالخبرة ، كمالك والشافعى وأحمد وقبلهم الثورى وابن عيينة والحمادان ابن زيد وابن سلمة ، وبعدهم خيار تلاميذ الأئمة وأئمة التلاميذ البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وسواهم

واضرب رأسك فى صخور الجبال حتى يسيل دم رأسك ، فلن تضر الله ودينه وحديث نبيه ﷺ ولن تضيرها شيئا

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأعيا قرنه الوعل

وسر فى سبل أهل الضلالة أعداء الاسلام والقرآن والسنن ﴿ كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾

نزلوا بمكة فى منازل هاشم   ونزلتَ بالبيداء أبعد منزل

والرواية « بالبطحاء » وأنا اخترت لفظ « البيداء » لأنه المناسب لحال المرتاب الشاك المشكك فى حديث رسول الله ﷺ ، وليس البيت قرآنا ولا حديثا حتى يحافظ على لفظه كالمحافظة على القرآن والحديث.

قال فرخ الروافض أبو رية (ص ٥٤) : وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها، وأدوها على وجهها كما لقنوها، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل . ومما وقر فى أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا من بنى آدم فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان البشرية جميعا، فكل ما يسمعونه ينقش على ألواحها فلا تفلت منه كلمة، ولا يشذ عنه حرف

وجوابه : نعم كان الصحابة ومن روى عنهم من خيار التابعين فمن بعدهم صنفا ممتازا من الناس، شهد لهم التاريخ ومنصفو الأمم، كما شهد به اختيار الله إياهم لصحبة نبيه وحفظ دينه وإبلاغه للخافقين، وما تكفل الله به لحفظ دينه وكتابه وبيان رسوله للكتاب، لتقوم حجة الله على خلقه بهذا الدين المحفوظ إلى يوم القيامة

ودسيسة تحقير الصحابة ومن روى عنهم دين الله دسيسة « رافضية » خبيثة استنها الذين زرعوا شجرة الرافضة الحنظلية من أعداء الاسلام الفرس واليهود، وتولاها أعداؤه من المبشرين والمستشرقين فطعنوا بها فى أصلى الاسلام الكتاب المجيد وسنة نبيه الكريم ليثأروا مما حكم به الاسلام على أسلافهم من تحريف كتب الله المنزلة اليهم ونسيان حظ مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواطنه نسوا حظا مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾

وجاء أبو رية يردد بهتانهم بعلم منه أو بجهل من منشأ الدسيسة والغرض منها، وفى كل زمان يوجد الحفاظ العباقرة الذين يحفظون ما يُعنَوا به وما لهم به حاجة أو شوق مما يعد عند غيرهم غريبا، أو خارقا. ففى هذا الزمان يوجد بكثرة من يحسن التكلم بثلاث لغات أو أربع غير لغة أبيه وأمه، وفى الأطباء اليوم من يحسن الانكليزية والفرنسية وربما الألمانية والايطالية، وفى تراجمة المجامع الدولية كجمعية الأمم وما تفرع عنها كمجلس

الأمن من يترجم ثلاث ساعات خطبة خطيب يتكلم بلغته إلى اللسان الرسمى لتلك المنشأة ولا يقدر أبو رية على إنكار ذلك الا أن يكون مباهتا، ثم يعمد إلى ما شهد به التاريخ من حفظ العرب والمسلمين وقوة ذاكرتهم، فكيف بالصحابة منهم الذين امتزج الاسلام بأرواحهم ودمائهم وباعوا فى نصره وحفظه كل غال ونفيس حتى أرواحهم، فيجىء فرخ الروافض فينكر عليهم حفظهم لأصلى دينهم الكتاب والسنة ويزعم أن الكتاب المجيد لولا الكتابة والتدوين لما حُفظ، وكيف تحفظه كتابة لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف. كيف تحفظه لولا حفظ الصدور له. وقد ضربنا سابقا أمثلة من كتابة (فسو) كيف تحفظ قراءة فتثبتوا أو فتبينوا لولا حفظ الصدور لها وكتابة (ىمص) كيف يحفظ يَقُص أو يقضى لولا الحفظ

لقد قرأ من يعتمد على الكتابة بدون تلق وحفظ قول الله تعالى ﴿ جعل السقاية فى رحل أخيه ﴾ فقرأها جعل السفينة فى رحل أخيه. وقرأ آخر ﴿ ويعوق ونسرا ﴾ فقرأها (وبشرا) وقرأ آخر حديث صلاة فى إثر صلاة كتاب فى عليين» فقرأ عجزه : كنار فى غلس. وعيوب الاعتماد على الكتابة التى لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف مَدّ بدون حفظ وسماع يأتى بالعجائب والمضحكات والمبكيات. وسمع الحجاج بن يوسف قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شىء ﴾ فقرأ وسقت كل شىء، وآخر قرأ ﴿ إن الله برىء من المشركين ورسولُه ﴾ فقرأ ورسولِه بالكسر عطفا على المشركين، فأمر الحجاج بنقط المصحف وتشكيله وضبطه، جزاه الله عن ذلك خيراً

فلولا حفظ الصحابة المنقطع النظير وحفظ من روى عنهم لما بقى دين الاسلام ـ كتابُه وحديثُ نبيه ـ غضاً طريا كما أنزل وكما قاله رسول الله ﷺ. وليس عند أبى رية غير الاستبعاد والتهويل والدعاوى التى لا دليل عليها فترد عليه باجماع خيار الأمة من الصحابة والتابعين على أن هذه الأحاديث المدونة فى صحاح الكتب وسننها ومسانيدها هى أحاديثه ﷺ كما اعترف بذلك من نقله عن شيوخ الدين وكفى بهم حجة،

ومَن الناس غيرهم ؟

فغضّ الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

علق (فى حاشية ص ٥٦) على حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ثم أدّاها كما سمع » الخ بقوله : ومن العجيب أن هذا الحديث نفسه قد جاءت روايته بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة ، وكل رواية تختلف عن الأخرى فى اللفظ والمعنى ، ولولا خشية الإطالة لأوردتها كلها ، فيرجع اليها فى مظانها . اه

ونقول لهذا الكاذب : كذبت ، وقد قيل قديما : اكذب وأبعد شاهدك . ولو طولبت بعشر ألفاظ مختلفة فى اللفظ والمعنى لهذا الحديث لبُهت الكاذب . وقوله « لولا خشية الإطالة لأوردتها كلها » حجة العاجز المفترى ، وأى إطالة يخشاها وقد حشا كتابه بأباطيل الروافض والجهمية وأعداء الاسلام ، وقوله « فيرجع اليها فى مظانها » فأين هذه المظان أيها البهات ؟ أما كنت تشير إليها ، وكان ذلك خيرا مما اعتمدته من كلام الرافضة فى تجريح الصحابة وجحود فضلهم ، غير أن هذا شأن الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره

فى علوم الحديث قسم يسمى (المتابعات والشواهد) فاذا جاء الحديث من عدة طرق عن صحابى سموا هذه الطرق بالمتابعات ، وإذا جاء الحديث عن عدة من الصحابة سموا أحاديث الصحابة الذين اتفقوا على رواية الحديث بالشواهد لشهادة بعضها لبعض ، وقد عنى مسلم فى صحيحه بتخريج المتابعات والشواهد ، وأشار اليها الترمذى فى جامعه بقوله بعد حديث الباب : وفى الباب عن فلان وفلان وفلان من الصحابة

فإذا كان أبو رية يعنى بمجىء حديث « نضر الله امرءا » بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة تختلف كل رواية عن الأخرى وهو ما لم يثبته ولن يستطيع إثباته وأعرض عن ذكر المختلفات الخمس عشرة بزعمه بدعوى خشية الإطالة وأشار بالرجوع إلى مظانها التى لم يبينها ، إذا كان يريد بهذه الصيغ المختلفة طرق التابعات والشواهد لهذا الحديث وظنها

صيغا مختلفة تبلغ ١٥ صيغة ! إذا كان يظن ولم يعرف حكمة المتابعات والشواهد سقط الكلام معه لأن الكلام مع الجاهل الذى لا يعرف أنه جاهل ضياع وعبث ، اللهم إلا إذا أريد حفظ الناس من وساوسه وترهاته

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

قال (ص ٥٧) فى رد رواية المعنى : لأن الانسان وإن اجتهد فى تطبيق الترجمة لكن لا ينفك عن تفاوت وإن قل ، فاذا توالت التفاوتات كان التفاوت الأخير تفاوتا فاحشا لا يبقى بين الكلام الأخير وبين الأول نوع مناسبة . ه

وعلى تحقيق هذا المغرور يكون حديث « إنما الأعمال بالنيات » الخ مثلا قد توالت عليه كأمثاله أنواع التبديل والتحريف حتى لم يبق بينه وبين ما قاله ﷺ نوع مناسبة ! وإن تحقيقا بالأحاديث النبوية إلى هذا الحد من الشك والتشكيك هو كالتشكيك فى القرآن بسبب الأحرف السبعة والقراءات المتنوعة التى قال فيها النبى ﷺ « كلها كاف شاف » هذان النوعان من الشك والتشكيك يخرجان من ما خور قاذورات واحد هو غيظ أعداء الاسلام وغلهم وضغنهم على الاسلام أن تكون له كل هذه الثروة السليمة من تراث عصر النبوة ، ولا يسع المسلم إلا أن يحمد الله تعالى على السلامة من هذا المرض وتلك الآفة ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ ، ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾

ساق أبو رية فى جواز رواية الحديث بالمعنى (ص ٥٩) أدلة : منها ما روى البيهقى عن مكحول قال : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نقصان . فقال : هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئا ؟ فقلنا نعم ، وما نحن له بحافظين جدا إنا نزيد الواو والألف وننقص [قال] : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظا وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعنا لها منه إلا مرة

واحدة ، حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى

و (ص ٥٦) بما رواه ابن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن سليمان لابن أكيمة الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما سمعته منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ، فقال اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس ، فذكر هذا الحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا

ذكر أبو رية آخر حاشية (ص ٥٦) أن هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « رحم الله امرءا سمع مقالتى » الخ قال : ولا بد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث . اهـ

والجواب أن أبا رية يظهر أنه لا يعرف حقيقة التناقض ، فالنقيضان عندهم لا يجتمعان ولا يرتفعان فأى مناقضة بين حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى اذا عجز عن سرد ألفاظه بشرط أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وبين حديث دعاء النبى ﷺ بالرحمة أو النضرة لمن سمع مقالة النبى ﷺ فوعاها فأداها كما سمعها ، فالأول أفاد الجواز عند العجز ، والثانى أفاد الفضيلة لمن قدر ، والشريعة الاسلامية تقول بفضل المقربين ثم من يليهم من الأبرار وبثواب السابقين ومن يليهم من أهل اليمين و بتفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد للأعذار

ولكن أبا رية يزعم أنه يريد أن يكون جميع الناس ملائكة مقربين ليس فيهم أهل الأعذار ، وهذا ما لم يرده الله للبشر . ونسأله اذا أنصف : هل حديث عن رسول الله يروى بالمعنى خير أم اطراحه واتباع آراء الجهمية والروافض والخوارج ووساوس الأوهام ورذائل العادات ؟

سألنى رجل عن خاتم الذهب للرجال ، فذكرت له الحديث قوله ﷺ لرجل فى يده خاتم من ذهب « أيسرك أن تضع جمرة فى يدك » فخلع الرجل الخاتم ورماه فى الأرض وأبى أن يأخذه ولو لينتفع به فى وجه حل . فغاب عنى السائل مدة ثم رجع يجادل بحجة

شيطانية أن لابس الخاتم لعله كان معجبا مزهوا به ، ليتخلص من وعيد خاتم الذهب للرجال

ومع هذا فهذا المحاول حل لبس الخاتم خير من أبى رية لأنه تأول الحديث ولم يرفضه كرفض أبى رية لأمثاله من الأحاديث ، وأقام المتاريس فى وجه العمل بها بشكوكه وريبه وأكاذيبه على رواتها

والعجب ما زعمه أن حديث اباحة رواية الحديث بالمعنى الذى هو حديث ابن أكيمة الليثى زعم أنه يناقض حديث « رحم الله امرءا سمع مقالتى فأداها كما سمع » وقد زعم أن هذا الأخير قد جاء بخمس عشرة صيغة يخالف بعضها بعضاً فى اللفظ والمعنى ، فأى صيغه الخمس عشرة هى التى تناقض حديث ابن أكيمة ، أم كلها ؟ فإذا أسقطه أبو رية بزعم اختلاف صيغه الخمس عشرة وفى اللفظ والمعنى بقى حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى بلا معارض ولا مناقض ، فأين من يعقل تهافت كلامه وهدم بعضه بعضاً ويستحى من الرد على السنة بمثل هذه المتهافتات التى يهدم بعضها بعضا ، حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى يرده بحديث زعم أنه جاء بخمس عشر صيغة مختلفة اللفظ والمعنى فبأى صيغة من صيغه الخمس عشرة يرد حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى ان كان يعقل ، أم هو البيغاء يهرف بما لا يعرف ؟

ونقل الأستاذ أبو رية فى كتابه (ص ٥٨) عن القاسمى فى كتابه (قواعد التحديث) قال : رخص فى سوق الحديث بالمعنى جماعة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبو هريرة ، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة حسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وابراهيم النخعى ومجاهد وعكرمة . هـ

ونقل عن الشيخ طاهر الجزائرى (ص ٥٥) من كتابه (توجيه النظر) قال : وذهب الأكثر إلى جواز ذلك اذا كان الراوى عارفا بدقائق الألفاظ بصيرا بمقدار التفاوت بينها خبيراً بما يحيل معانيها الخ . هـ

ونقل (آخر ص ٥٥) عن أبى اسحاق الشيرازى فى كتابه (اللمع) قال: والاختيار فى الرواية أن يروى الخبر بلفظه لقوله ﷺ «نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمع، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الخ، فعبر أبو اسحاق الشيرازى بالاختيار ولم يحمل الحديث الذى استدل به على الاختيار مناقضا لحديث ابن أكيمة فى جواز الرواية بالمعنى كما زعم التناقض بينهما أبو رية، فأيهما نصدق أبا رية الذى لم يأخذ هذه العلوم عن أحد من أهلها، أو أبا اسحاق الشيرازى الفقيه الأصولى الحجة وهو من كبار أئمة الشافعية

ونقل أبو رية (أول ص ٥٩) عن ابن سيرين قال: كنت أسمع الحديث من عشرة: المعنى واحد والألفاظ مختلفة. وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فمنهم من يرويه تماماً، ومن يأتى به بالمعنى، ومنهم من يورده مختصراً، وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا إذا لم يخالف المعنى، وكلهم لا يتعمد الكذب، وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع، فلذلك وسعهم، وكانوا يقولون: إنما الكذب على من تعمده. اهـ

أقول: ومن لم يسعه هدى الصحابة وخيار التابعين فلا وسع الله له، ومن ضيق ما وسع الله فهو شبيه بالخوارج الذين يكفرون بالذنب ويمحون الحسنات بالسيئات خلاف ما قال الله ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، وحسبهم ما جاء فى وعيدهم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم كلاب أهل النار» ومع ذلك فإنهم أقل شراً من أبى رية، يتشددون ليطلبوا أكثر مما ترتضيه وتكتفى به الحنيفية السمحة، وأبو رية يتشدد ليتوصل إلى القطع والبتر، والاستغناء عن أثمن مواريث الاسلام بعد القرآن، فالله حسبه

ونقل أبو رية (ص ٥٩) قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا وأفصح به لساناً منه إذا حدثنا به – يعنى عن غيرك. فقال: اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك

وعن النضر بن شُمَيل: كان سفيان يقول: إذا رأيتم الرجل يشدد فى ألفاظ الحديث فى المجلس فاعلم أنه يقول: اعرفونى. وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف فى الحديث على لفظه، فقال له يحيى: ياهذا ليس فى الدنيا أجلُّ من كتاب الله تعالى، وقد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف، فلا تشدد. اهـ

ولله در هؤلاء الأئمة الذين عرفوا يسر الدين ورفع الحرج عنه، فأخذوه سهلا سمحا ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك، ولم يتنطعوا تنطع من خرج به منطقه عن سلوك سبيل المؤمنين، فجروا فى شكوكهم وارتيابهم وراء أعداء الاسلام من الروافض والجهمية بله المستشرقين أمثال جولدزيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية وبئس أولئك رفيقا ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾، ﴿ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطانا فهو له قرين، حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين﴾، ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون﴾

الحكمة فى تنوع العبادات

إذا قرأ الانسان كلام حكماء الاسلام وأئمة الدين ازداد بصيرة فى دينه بما يجده فى كلامهم من التحقيق والعلم والبيان. من ذلك كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه المحققين كالشيخ ابن قيم الجوزية وسواه من المحققين

ومن ذلك من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رسالة (تنوع العبادات) التى أبان فيها حكمة تنوع كثير من العبادات، وما فى هذا التنوع من الرحمة والتيسير على هذه الأمة المرحومة، كتنوع القراءات على سبعة أحرف، فقد جاء فى الخبر مرفوعا «اقرأنى جبريل على حرف، فقلت: أسأل الله عفوه، فى أمتى الشيخ الكبير والمرأة العجوز و ... و ... فزادنى حرفا، فلم أزل أستزيده حتى أقرأنى على سبعة أحرف كلها كاف شاف، فاقرءوا ما تيسر منه»

ثم يجىء اليهودى المستشرق عدو الاسلام جولدزيهر فيشكك فى الاسلام وفى

القرآن وفى صدق النبى ﷺ ونبوته ورسالته بسبب القراءات ، حسدا للاسلام الذى سجل عليهم تحريف كتبهم ونسيانهم حظًا مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فاعف عنهم واصفح ، إن الله يحب المحسنين ﴾

ومن تنوع العبادات أنواع الأذان : أذان بلال فى المدينة ، وأذان أبى محذورة بمكة وغيرهما . والأذان حكمته الإعلام بدخول الوقت ، والدعوة الى صلاة الجماعة « حىّ على الصلاة ، حىّ الفلاح » هذا جوهره ولبه ، سواء ربّع التكبير فى أوله أو ثنى ، وسواء رجّع فى الشهادتين فيه أو لم يرجع ، فجوهره « حى على الصلاة ، حى الفلاح »

ومن تنوّع العبادة دعاء افتتاح الصلاة بعد تكبيرة الإحرام ، فبأيها افتتح المصلى صلاته كفى ، لأنها ثناء على الله قبل القراءة ، فبأى صيغها الواردة أثنى على الله أجزأه وأحسن

ومن تنوع العبادة صيغ التشهد فى الصلاة التى علمها رسول الله ﷺ لأصحابه : ابن مسعود ، وابن عباس ، وعائشة ، وجابر ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله بن عمر . وقد ساق ألفاظها أبو رية (ص ٦٠ — ٦٣) ليشكك فى تنويع صيغها لأنه لم يعقل حكمته ، فجعله شكا فى حديث رسول الله ﷺ وفى عبادات الاسلام

وجوهر التشهد فى الصلاة هو تذكر شهادتى الاسلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، والديباجة قبل الشهادتين ثناء على الله وتمهيد بشهادة التوحيد والاسلام ، ولم يختلف لفظ الشهادة فى أنواع صيغ التشهدات الثمانية التى تكلف أبو رية فى إيرادها ليقول (أول ص ٦٣) : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها . وكذب أبو رية فلفظ شهادة الاسلام والتوحيد فى جميعها واحد لا اختلاف فيه ، وديباجتها المتعددة تمهيد لا يضر تنوعه : « التحيات لله والصلوات والطيبات » ، « التحيات المباركات الصلوات الطيبات » ، « التحيات الزاكيات الطيبات لله » ، « بسم

الله ، التحيات المباركات لله » الخ

وقوله (ص ٦٣) : لو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التى كان يؤديها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم ، وهم يُعدُّون بعشرات الألوف

وجوابه أنه يظهر أنك لا تعرف التواتر ، فرواة التشهد ذكروا أنهم ثمانية ، والتشهد يقال فى الصلاة سراً لا جهراً ، وعشرات الألوف من الصحابة الله وحده هو الذى يعلم بما كان يختاره كل صحابى من هذه الأنواع

ومجبراه أن يشكك فى الأحاديث قوليها وعمليها بعبارته هذه ، ويشكك فى صدق صحابة رسول الله ﷺ وهم الأمناء على دين الله تعالى الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصره ، وحمل دينه وتبليغه للناس

وقوله (٦٣) : ومما يلفت النظر أن كل صاحب تشهد يقول : إن رسول الله كان يعلمه التشهد كما يعلمه القرآن

وجوابه : هل يكذب الصحابة فى ذلك ؟ أم يكذب من روى عنهم من أئمة التابعين فمن بعدهم ؟ كلا وهم أصدق منك ومن ساداتك الجهمية والروافض والخوارج بالإجماع وشهادة الواقع والتاريخ الحق ، فكل من قال : علمنى رسول الله كذا وكذا فهو صادق ، واعتراضك يتوجه إلى ماجاء به رسول الله من اليسر والرحمة التى أبيتها

وقوله (ص ٦٣) : وإن تشهد عمر من فوق منبر رسول الله والصحابة جميعا يسمعون ، فلم ينكر عليه أحد منهم ما قال كما ذكر مالك فى الموطأ

وجوابه : كيف ينكر الصحابة على شىء وسع الله فيه رحمة بهم ؟ كيف يضيقون رحمة الله التى وسعها عليهم ؟ وجوهر التشهد محفوظ متفق لا اختلاف فيه : شهادة التوحيد والرسالة ، فليبدأ قبلها كل واحد بما علمه رسول الله ﷺ موسعاً غير مضيق ، وليضق بما وسع الله من دينه أمثال أبى رية وليتشكك فى الدين ماشاء ، إن كان يقول كما

قال سلفه من علاة الروافض : إن الصحابة تواطئوا مع عمر وأبى بكر على كتمان ما فى القرآن من نصوص خلافة على جبْنا منهم وتقية وخوفا من جبروت عمر ، إلى غير ذلك من ترهاتهم وزندقتهم ، فليسلك سبيلهم ، وليجانب سبيل المؤمنين ، وليوله الله ما تولى ويُصله جهنم وساءت مصيرا . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

وقال (ص ٦٣) : ومما يلفت النظر كذلك أن هذه التشهدات على تباين ألفاظها وتعدد صيغها وكثرة رواتها قد خلت كلها من الصلاة على النبى ، فكأن الصحابة كانوا — كما قال ابراهيم النخعى — يكتفون بالتشهد والسلام عليك أيها النبى ورحمة الله »

وجوابه : أن دعواه تباين ألفاظ التشهد دعوى كاذبة ، فكلها متفقة على التشهد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله ، والسلام على النبى ورحمة الله وبركاته ، فليس فيها تباين إن كان يعرف أبو رية ما هو التباين ، وتعدد صيغها إنما هو فى ديباجتها ومقدمتها مما وسع الله فيه على هذه الأمة كما يسر عليها تعدد أحرف القراءات السبع التى نزل بها القرآن رحمة بالشيخ والمرأة العجوز الخ ، وكما توسعت رحمته بتنوع الأذان ودعاء افتتاح الصلاة فلا تباين إلا عند من ينظر إلى الاسلام بعين عمياء فلا يرى إلا الظلمة والسواد والتسكع فى غياهب الشك والحيرة والضلال

وأما خلو صيغ التشهد عن الصلاة على النبى ﷺ ، وإجهاد أبى رية نفسه فى ذكر مذاهب العلماء فيها وجوبا أو شرطا أو عدمها ، فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

إلا إذا كان يريد أن ينظر إلى الاسلام وأهله واجتهاد أئمته نظر التشهير والبغضاء ، ويريد أن تكون هذه الملة فى جحر ضب لا حرية فيها للفهم والاجتهاد والاستنباط ، وهذا ما لم يرده الله لأمة الاسلام

وقوله (آخر ص ٦٣) : « إنه من قول أبى جعفر بن محمد بن على بن الحسين » هو من عدم تمرسه بأسماء الناس ، فأبو جعفر هو محمد الباقر لا ابن محمد ، وابن محمد هو جعفر

الصادق ، وإذا تكلم الانسان فيما لا يعرف أتى بالغرائب ، و « إذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » ، لقد عاش الناس بخير فى عصر خير القرون قبل أن يطلع عليهم أبو رية بظلماته المتلاحقة

قال (ص ٦٦ — ٦٨) :

أمثلة من رواية الحديث بالمعنى

حديث الاسلام والإيمان

ذكر (ص ٦٦) حديث طلحة بن عبيد الله فى النجدى الذى سأل عن الاسلام رواه عن مسلم ، وذكر فى آخره : فقال رسول الله : أفلح إن صدق . وفى رواية أخرى : أفلح وأبيه إن صدق . وفى رواية ثالثة : دخل الجنة وأبيه إن صدق

وكأنه يعد هذا اختلافا فى الحديث : أفلح إن صدق — أفلح وأبيه إن صدق — دخل الجنة وأبيه إن صدق . فإن كان هذا — عند أبى رية — اختلافا فليس فى الدنيا شىء متفق عليه عنده

حديث يجىء فى بيان أركان الاسلام التى شرعت حينئذ بطرقه التى يتابع بعضها بعضا ، فيجىء هذا المرتاب ويمسك بلفظ فى آخره أفلح أو دخل الجنة وبعضها زاد وأبيه وسائرها لم يذكرها ، فأى رواية للمعنى فى هذا أفلح أو دخل الجنة ، وأى ركن من أركان الاسلام سقط برواية دخل الجنة بدل أفلح أو أفلح بدل دخل الجنة ، وزيادة أبيه فى بعض طرقه ؟ !

وكأن هذا المرتاب لم يعرف المتابعات التى عنى بها مسلم فى صحيحه فيعدّها روايات ، وأقل دارس لمسلم — بفهم وبصيرة — يحمد لمسلم عنايته بذكر شواهد الحديث ومتابعاته فى موضع واحد حتى تعرف شهرة الحديث من غرابته ، وليبك الجاهل على نفسه وليستح من جهله إن كان بقى عنده بقية من عقل أو حياء

وذكر (ص ٦٦ ـ ٦٧) حديث أبى هريرة فى سؤال جبريل عن الاسلام والإيمان والاحسان ، وليت شعرى أى اختلاف فى هذا ، وأين رواية المعنى فيه ؟ إلا أن يكون حشوا للكتاب بما لا يفيده ، أو التشويش على من هم أمثاله من أهل الشك والريب فى حديث رسول الله وحَمَلته من الصحابة والتابعين

وقال (ص ٦٧) وعن ابن أيوب ـ وليت شعرى من هو ابن أيوب ؟ أهو محرّف عن أبى أيوب الأنصارى الصحابى ، أو هو أيوب السختيانى التابعى شيخ مالك ، ومن تكلم فيما لا يعرف كان كالببغاء تهرف بما لا تعرف ، وتحرّف ولا تشعر بما تهرف . ثم ذكر حديث الرجل الذى سأل على عمل يدنيه من الجنة ، وفى آخره « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » . وقال أبو رية : وفى رواية ابن أبى شيبة « إن تمسك به »

وذكر (ص ٦٧) حديث أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة الخ

وكأن أبا رية ـ أعجوبة القرن الرابع عشر ـ يظن أن حديث من سماه ابن أيوب ، وحديث أبى هريرة فى الأعرابى الذى سأل عما يدخله الجنة ، هو عين حديث جبريل السابق ، وقد طاش سهمه وقبح ظنه إن ظنها كلها حديثا واحدا وجاء بها فيما سماه أمثلة من رواية الحديث بالمعنى ـ حديث الاسلام والإيمان ـ وعذره جهله بصناعة الحديث وطريقة مسلم فى سوق الأحاديث التى يشهد بعضها لبعض أيما شهادة ـ فحديث جبريل فى سؤاله عن الاسلام والإيمان والاحسان ، هو غير حديث من سماه ابن أيوب فى الرجل السائل عما يدخله الجنة ، وغير حديث أبى هريرة فى ذلك أيضا ، وغير حديث طلحة ابن عبيد الله فى النجدى ثائر الرأس ، ونقول لأبى رية ما قال الخليل بن أحمد لمن لم يستطع معرفة العروض :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ثم نقل كلام النووى فى شرحه لأحاديث الباب (ص ٦٧) وذكر عدم مجىء ذكر الحج

فى حديث طلحة ولا فى حديث جبريل من رواية أبى هريرة وعدم ذكر الصوم فى بعضها وعدم ذكر الزكاة فى بعضها وفى بعضها ذكر صلة الرحم وفى بعضها أداء الخمس ولم يأ[illegible]
فى بعضها ذكر الإيمان ، قال النووى : فتفاوتت هذه الأحاديث فى عدد خصال الإي[illegible] زيادة ونقصا وإثباتا وحذفا . هـ

ولا بأس بذلك ما دامت أحاديث متعددة عن صحابة متعددين فى مناسبات متعددة [illegible] فحديث جبريل برواية أبى هريرة وغيره كعمر وابنه ، غير حديث طلحة فى سؤال النج[illegible] ثائر الرأس ، وغير حديث الرجل الذى سأل عما يدخله الجنة ، وغير حديث الأعرا[illegible] الذى قال دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة

فإذا تعددت الأسئلة والسائلون والمجالس التى وقعت فيها الأسئلة فأى عيب فى [illegible] الأجوبة حسب حاجة السائلين والسامعين ؟ بخلاف ما فهمه ابن الصلاح (ص ٦٧) من أ[illegible] هذا ليس باختلاف صادر من رسول الله بل هو من اختلاف الرواة فى الحفظ والضب[illegible] ونسب لبعضهم التقصير فى الحفظ وبعضهم حفظ ما لم يحفظ غيره ، وهذا مبنى على [illegible] بأنه حديث واحد قيل فى مجلس واحد قصر بعضهم فى حفظه وحفظه غيره

وهذا فهم يرده تعدد رواة الأحاديث وتنوع الأسئلة والسائلين ، وأى مكابر يقو[illegible] إن حديث جبريل هو حديث النجدى ثائر الرأس الذى سمعوا دوى صوته ولم يفق[illegible] ما يقول وقال فى آخره : أنا وافد قومى بنى ثعلبة . أما حديث جبريل ففى آخره : [illegible] جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم . وخلو حديث طلحة عن بيان الايمان أو [illegible] التوحيد لأن النجدى السائل يسأل عن الاسلام المعترف به ، فبين له أركانه . وحد[illegible] جبريل بين فيه الإسلام والإيمان والإحسان لأنه جاء يبين أمر الدين . وحديث الر[illegible] وحديث الأعرابى الذى سأل كل منهما عن عمل يدخله الجنة فبين لكل منهما ما يحتا[illegible] فأى اختلاف فى هذا يتوسوس به من فى قلبه غيظ على أحاديث رسول الله ﷺ [illegible] رية ؟ وعلى فرض أن هذه الأحاديث المتعددة بتعدد رواتها وأساليبها والتسليم جدلا [illegible]

كلها حديث واحد حفظ بعض رواته ما لم يحفظه الآخر ، فأى عيب فى هذا ؟ فالله يحفظ دينه بحفظ من حفظ ما لم يحفظه غيره ، لذلك لم ير العلماء والأئمة فى هذا ما يوجب رد هذه الأحاديث والشك فيها كما فعله أبو رية ، واتبعوا سبيل المؤمنين فى الإيمان بها وأخذ دينهم منها خوفا من وعيد الله سبحانه لمن اتبع غير سبيل المؤمنين فى قوله تعالى ﴿ ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبعْ غير سبيل المؤمنين نُولّه ما تولّى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيرا ﴾ عياذا بالله من ذلك ، ونسأله أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

أورد حديث الواهبة نفسها للنبى ﷺ (ص ٦٨) وتقدم رجل بقوله : يا رسول الله أنكحنيها ، ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن ، فقال له ﷺ : أنكحتكها بما معك من القرآن قال : وفى رواية قد زوجتكها بما معك من القرآن . قال : وفى رواية ثالثة : زوجتكها على ما معك . وفى رابعة : قد ملكتكها بما معك . وفى خامسة : قد أملكتكها بما معك من القرآن . وفى سادسة : أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها . وفى سابعة : أمكنا كها . وفى ثامنة : خذها بما معك ، قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة

وجوابه : إذا كانت زوجتكها وأنكحتكها وملكتكها وأملكتكها وما عد من الألفاظ اختلافات فى لفظة واحدة فما يقول فى قراءة : والله يقص الحق ، مع قراءة والله يقضى الحق ، وفى قراءة فتبينوا من التبين ، مع قراءة فتثبتوا من التثبت . وقراءة : والذكر والأنثى ، مع قراءة : وما خلق الذكر والأنثى ؟ وقراءة والصلاة الوسطى وصلاة العصر مع القراءة بدونها وصلاة العصر . وقراءة وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال مع قراءة لَتزول ، الأولى بكسر اللام وفتح اللام آخره والثانية بفتح اللام أول الكلمة وضمها فى آخرها . وقراءة : وكم من نبى قاتل معه ربيون كثير ، مع قراءة قُتل معه ربيون . وقراءة فان الله لا يَهدى من يضل ببناء يهدى للفاعل ، مع قراءة لا يُهدى من يضل ببنائها للمفعول . وقراءة فأزلهما الشيطان من الزلل ، مع قراءة فأزالهما من الإزالة . إلى كثير من

القراءات فى السبعة والعشرة بله الأربعة عشر ، هل فى هذه القراءات أنها مختلفة فيثبت فى كتاب الله وقراءاته وأحرفه السبعة الاختلاف الذى نفاه الله من كتابه بقوله ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ ثم يذهب فيصنع لما ظلمات أخرى للتشكيك فى كتاب الله تعالى فينسلخ بذلك من المسلمين ويجرى وراء اليهودى جولد زيهر للشكك فى القرآن وصدق الرسول ونبوته بسبب القراءات التى نزل عليها القرآن وحروفه السبعة وقراءاته المتواترة فى كتابيه « عقائد الاسلام » و « مذاهب المسلمين فى التفسير » الخ

لو حذفنا حديث الواهبة نفسها لاختلاف ألفاظه الثمانية كما زعم أبو رية لما نقص الاسلام شيئا سوى حكم الزواج على مهر تعليم شىء من كتاب الله تعالى ، ولا نهدم بنيان كتب السنة الصحيحة والمتواترة والشهيرة

وأورد أبو رية فى (ص ٦٨) حديث الصلاة فى بنى قريظة ورواية البخارى بلفظ العصر وروايه مسلم له بلفظ الظهر وذكر (ص ٦٩) عن ابن حجر اتفاق نسخ البخارى ، أى على أنها العصر ، واتفاق نسخ مسلم على أنها الظهر ، قال : مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد وموافقة أبى يعلى وآخرين لمسلم وقال : وكذلك أخرجه ابن سعد . وأما أصحاب المغازى فقد اتفقوا على أنها العصر . قال أبو رية : ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ذلك : إن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من من مذهبه . وأيد ما قاله ابن حجر (فى حاشية الصفحة ٦٩) بما رواه الخطيب البغدادى عن البخارى قال : رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام ، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر . فقيل له : يا أبا عبد الله بكماله ؟ قال فسكت . ص ١١ ج ٢

وجوابه : أن ما نقله الخطيب عن البخارى لعله يريد بذلك قوة حافظة البخارى وسكوت البخارى عن سؤاله « بكماله ؟ » ولعله من باب فلا تزكوا أنفسكم ، فلا عيب على البخارى فى ذلك الا عند من فى قلبه ضغن على أئمة الحديث

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى أن البخارى لما دخل بغداد كانت شهرة حفظه قد سبقته اليها ، فجمع علماء بغداد عشرة فتيان وحفظوا كل فتى منهم عشرة أحاديث مقلوبة متن هذا على سند ذلك وهكذا وأمروهم أن يقرؤا الحديث على البخارى امتحانا لحفظه ، فسرد أولهم عشرته على البخارى فسكت ، فقالوا فى أنفسهم : جازت عليه ، أين ما اشتهر به من الحفظ ؟ ثم سرد الثانى ثم الثالث إلى العشرة . فقال البخارى للأول من الفتيان : حديثك الأول سقته هكذا ، وصوابه هكذا . والثانى كذا ، وصحته كذا . والثالث كذا ، وصحته كذا ، حتى سرد للمائة الحديث على ترتيب ما قرئت عليه ونسبة ألفاظ حديث كل فتى بترتيب ما سرد اليه

قال الحافظ ابن حجر : ليست الغرابة فى أن يعرف البخارى صوابها من خطئها ، فهو الإمام الحافظ الذى لا ينكر عليه معرفة الصحيح من الضعيف ، ولكن الغرابة فى أن يسرد المائة على ترتيب ما قرئت عليه مع ذكر أحاديث كل فتى على وفق ما قرأها الفتى وترتيبه

وروى معاصره حاشد بن اسماعيل قال : كان البخارى يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فلمناه بعد ستة عشر يوما فقال : قد أكثرتم علىّ ، فاعرضوا علىّ ما كتبتم . فأخرجناه ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . أليست هذه موهبه من مواهب الله ، أليس هذا الرجل قد ادخره الله لعصر التدوين ، كما ادّخر أبا هريرة لأول عصر الرواية ؟ أم يحسدون شريعتنا على ما قيض الله لها من رجال ؟

فاذا جاء أبو رية فى القرن الرابع عشر ـ بعد إجماع الأمة على حفظ البخارى وأمانته فى رواية الحديث ـ يشكك فى حفظ البخارى وأمانته وصدقه ونصحه لدين الاسلام ، قلنا لأبى رية انطح برأسك جبلا حتى يدمى رأسك ، فلن تهز الجبل ، ولن تنقله ، ولن يشكّ الناس فيما أجمعوا عليه من أن كتاب البخارى أصح كتاب بعد كتاب

الله تعالى ، ولن يضيره أن تختلف لفظة منه مع لفظة من صحيح مسلم (العصر أو الظهر) فالشيخ ابن تيمية رحمه الله وهو من هو أمانة وحفظا ودفاعا عن الإسلام بقلمه وسيفه يقول : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة المعنى ، وكفى بذلك حجة على فسق المرتاب والشكاك فيها والذى يريد من الناس أن يتبعوا غير سبيل المؤمنين من الروافض والجهمية والخوارج وأعداء الاسلام

تقدم لنا ذكر ما جاء فى الكتاب والسنة والإجماع من ضرورة الأحاديث تبين القرآن وأنها الأصل الثانى من أصول الإسلام لقوله تعالى { ولقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين } وقوله { كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون } وقوله { هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم } ودعوة الخليل ابراهيم لذريته المسلمة { وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم } وقول الله تعالى لزوجات نبيه أمهات المؤمنين { واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا } فما هى الحكمة المعطوفة على الكتاب ، وما هو التعليم الذى علمه النبى ﷺ للأميين ولمن بعث فيهم ؟

وذكر الأحاديث فى ذلك والإجماع وهو سبيل المؤمنين وهو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله بسؤاله إياه أن يهدينا فى الفاتحة التى وجبت فى الصلاة ١٧ مرة كل يوم { اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين }

والآن نقول لهذا المرتاب الشاك فى سنة رسول الله الشكاك فيها : إن قال لك قائل حدثنا عن تاريخ القرآن كيف نزل ، وكيف عمل به من نزل عليه وهو رسول الله ﷺ

وصحابته ؟ هل تخترع تاريخا لا واقع له ، أم تقدم السنة المحمدية تاريخا للقرآن والعمل به ، أم تقدم أكاذيب الشيعة والرافضة والجهمية تاريخا للقرآن والعمل به ، أم تقلد جولد زيهر فى مطاعنه على الاسلام وبنيه وأهله ؟

ثم إذا قيل لك : إن دساتير العالم والأمم وقوانينها الأساسية تضع لها القوة التنفيذية لوائح وتفسيرات للعمل بها وتطبيقها ، فأين لوائح العمل بالقرآن وتطبيقاته والعمل به ، وكيف عمل به ، وكيف تفهم قول الله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ فأين هذا البيان للقرآن فى غير السنة المحمدية والأحاديث النبوية ؟ إن كان بقى عندك ذرة من حياء وإنصاف وعقل !

ظهر فى الهند قوم سموا أنفسهم القرآنيين الذين يرفضون الحديث والسنة وجاءوا بأوابد تضحك الثكالى وتبكى الناس رحمة لهم ، كتصوير الصلاة بقيام وسجود واحد وركوع بعده من قول الله ﴿ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ، ووجوب الصيام إلى العشاء لأنها أول الليل بزعمهم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وأتموا الصيام إلى الليل ﴾ ولا نعرف كيف يحجون ، وليس فى القرآن المبيت بمزدلفة ولا رمى الجمرات بمنى ولا القران والإفراد والسعى والطواف وغيرها مما فصله الحديث وبينته السنة ، وقال ﷺ لأصحابه فى حجة الوداع « خذوا عنى مناسككم » وقال فى الصلاة « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهل يستنجون أو يتركون أدبارهم ومذاكيرهم ملطخة بالغائط والبول ، فالاستنجاء من بيان الحديث والسنة ، بله الذبائح وحلال الأطعمة من حرامها وأحكام حل الأبضاع والفروج والنكاح وعشرة النساء وأحكام القضاء والشهادات والعتق وغيرها من تفاصيل أحكام الدين والشريعة ، ماذا يستعيضون عن السنة والحديث إلا بالهوس والجنون وضحك الناس عليهم !

إن كان أبو رية المرتاب فى سنة رسول الله ﷺ قد التحق بهذه الطائفة أو جعل نفسه داعيا لسخافاتهم وهرائهم فإنا نسأل الله الذى بيده قلوب عباده أن يهدينا وإياه سواء السبيل ، سبيل المؤمنين المتبعين للكتاب والسنة وهدى سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة إنه سميع مجيب رؤوف رحيم

وذكر (ص ٦٩) عن شرح ألفيه العراقى أن البيهقى فى السنن والمعرفة والبغوى فى شرح السنة وغيرها يروون الحديث بألفاظهم وأسانيدهم ثم يعزونه إلى البخارى ومسلم مع اختلاف الألفاظ والمعانى ، فهم يريدون أصل الحديث لا عزو ألفاظه ، ومثّل لذلك بعزو النووى حديث « الأئمة من قريش » إلى الشيخين مع أن لفظ الصحيح « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » قال : وبين اللفظين والمعنيين تفاوت عظيم كما ترى . اهـ

ولم يبين هذا التفاوت العظيم ، سواء كانت هذه دعواه أو دعوى من أثرها عنه

ونقول : إذا عرفت طريقة البيهقى والبغوى وهما من أئمة علماء الحديث فلا عيب فى ذلك ، فاذا قرأ قارىء بقراءة الجمهور قوله تعالى ﴿ فأزلّهما الشيطان فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ وقرأها قارىء آخر برواية حمزة ﴿ فأزالهما ﴾ الأولى من الزلل والدحض ، والثانية من الإزالة والنقل ، وكل من القراءتين قرآن منزل من عند الله تعالى ، فإذا شك مشكك أو متشكك فى هذه القراءات ، أو فى القرآن نفسه من أجل تنوعها ، قلنا له ما قاله الشاعر :

وناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فانطح الصخرة برأسك أيها الوعل حتى يدمى رأسك وتعيا ، ولن تضير الصخرة ولن توهنها

كذلك يقال لهذا المرتاب : لا ضرر على السنة من تنوع اصطلاح أئمتها إذا عرفت هذه الأنواع ، والعراقى والنووى وغيرهما لم يتشككا فى الحديث والسنة من أجل هذه الواهيات التى تتعلق أنت بها للتشكيك فى الأصل الثانى من أصول الدين الاسلامى بسبب ما فى قلبك من المرض والغل على الحديث

وقوله (ص ٧٠) عن الحافظ ابن كثير فى كتابه « الباعث الحثيث » الذى تشرفت بتصحيحه عند طبعه وتحشيته : « ومنع الرواية بالمعنى طائفة آخرون من المحدثين والفقهاء والأصوليين وشددوا فى ذلك آكد التشديد ، وكان ينبغى أن يكون هذا هو الواقع ، ولكن لم يتفق ذلك ، وذلك لأن الذى جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى ، وهو ما تجده فى جميع الكتب بلا استثناء » ه

فهلا تدبر المرتاب قول الحافظ ابن كثير « وكان ينبغى أن يكون هذا هو الواقع » بعد ذلك « لأن الذى جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى » الخ

فهلا تدبر قوله « وكان ينبغى » بدل كان يجب ، وقوله « الذى جرى عليه الأمر » أى من عهد الصحابة والتابعين وعلى خير القرون المشهود لهم بالخير والذين جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس هو رواية الحديث ـ أى أحيانا ـ بالمعنى ، ولم يتشكك الحافظ وغيره من الأئمة فى الحديث لأجل ذلك ، ومن شذ عن هذا وشك فى الحديث والسنة من أجل رخصة الله قدَرًا فى روايته بالمعنى وترخيص رسول الله ﷺ فى ذلك ، من شك فى ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وتركه لوعيد الله { نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } ، { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن سبيل الله ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون } ، { ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا . فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا } ، { قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا } ، { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا }

قال (ص ٧٠ ـ ٧٥) :

ضرر رواية الحديث بالمعنى

طار المرتاب فرحا بما نقل الجزائرى عن البطليوسى من مقدمة كتاب (الانصاف فى التنبيه على أسباب أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم) وتخيل أسبابا الكثير منها توليد خياله واختراع أوهامه كما سننبه على شىء من ذلك للاعتبار به فيما سواه

وغفلوا جميعا عما ذكر الله فى السبب الحقيقى للاختلاف الضار المذموم فى قول الله تعالى { كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم } وقوله { وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بينهم }

وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية فى أول كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) فبين أنواع الخلاف : الضار منه ، والمعذور أهله فيه . وأن الأول سببه الهوى والبغى واتباع الشهوات وما يجر من العداوة والبغضاء بين المختلفين . والثانى ما كان بسبب تفاوت الناس فى الفهم والعلم والاطلاع مع عدم الهوى والبغى والعدوان ، فارجع إلى هذا الكتاب النفيس تستفد منه علما وإيمانا وهدى إن شاء الله

ذكر البطليوسى ونقله عن الجزائرى أبو رية المرتاب فى سنة رسول الله ﷺ فى كتابه (ص ٧١) من أسباب (١) اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة ، (٢) الحقيقة والمجاز ، (٣) الإفراد والتركيب ، (٤) الخصوص والعموم . وفاتهم جميعا أن القرائن وحال المتكلم وحرصه على هداية الناس وبيانه البيان الوافى وبلاغه البلاغ المبين ، كل هذه أنوار وأضواء تدفع هذه الظلمات التى حاكت فى صدور المرتابين . فقول الله تعالى { وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم } وقوله { إن عليك إلا البلاغ المبين } وقوله ﷺ

« تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » فأى بيان وأى بلاغ مبين وأى بياض كالنهار يبقى مع هذه الشكوك فى الدين والظلمات التى يتلقفها أبو رية من اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة والحقيقة والمجاز والإفراد والتركيب والخصوص والعموم

على هذا الفهم المنكوس وسوء الظن فى بيان الرسول وبلاغه كان عدم بعثه خيراً على هذا من بعثه ، وكانت بعثته على زعمهم — أو لازم زعمهم — سببا فى ضلال الناس لا سببا فى هدايتهم ، فقبحا لآراء تؤدى بالناس إلى مثل هذه الظلمات من سوء الظن بالرسول وبيانه وبلاغه وحرصه على هداية الناس . فقول الله ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فأى هداية للناس يتبعونها مع هذه الشكوك وأسباب الاختلاف

ثم ذكر البطليوسى سادس الأسباب للاختلاف الرواية والنقل (ص ٧١) ثم وضحه بقوله : العلة الأولى فساد الاسناد ، قال : وهذه العلة هى أشهر العلل عند الناس ، حتى إن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الاسناد صح الحديث ، وليس كذلك فانه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب بنقلهم ، ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من غير قصد منهم إلى ذلك . والاسناد يعرض الفساد له من أوجه : منها الإرسال وعدم الاتصال ، ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متهما بكذب وقلة ثقة أو مشهورا ببله وغفلة أو يكون متعصبا لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم ، فان كان مشهوراً بالتعصب ثم روى حديثا فى تفضيل من يتعصب له ولم يرد من غير طريقة ، لزم أن يستراب به . وذلك أن إفراط عصبية الانسان لمن يتعصب له وشدة محبته يحمله على افتعال الحديث ، وإن لم يفتعله بدّله وغير بعض حروفه . ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وعلى الاتصال بالملوك ونيل المكانة والحظوة عندهم ، فان ممن كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصا على مكسب يحصل عليه اه

سقنا هذا الكلام بطوله لتتبين تهافته ونقض أوله لآخره وآخره لأوله من وجوه :

قوله صحة الإسناد لا يلزم منها صحة الحديث ، وتوضيحه لذلك بأنه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب فى نقلهم ويعرض لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى مثل لها بفساد الاسناد بأوجه : (١) الإرسال وعدم الاتصال (٢) كون بعض رواته صاحب بدعة أو متهما بكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببله وغفلة أو بتعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعض آخر منهم . فيقال للبطليوسى ومن سار فى طريقه : هل هؤلاء يعقلون ما يخرج من رءوسهم وتجرى به أقلامهم فيقولون بصحة الاسناد الذى من شرط صحته عدالة رواته واتصاله . ثم يقولون يعرض له الإرسال وعدم الإتصال مع صحته . ويقولون أن يكون رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ، ثم يقولون بعد ذلك عنهم يكون بعضهم صاحب بدعة أو متهما فى كذب وقلة ثقة أو مشهوراً بغفلة أو تعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعضهم ، فكيف يكون المشهور بالعدالة المعروف بصحة الدين والأمانة غير المطعون عليه ، كيف يكون من هذا شأنه صاحب بدعة متهما بالكذب قليل الثقة به متعصبا لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم وأخيراً أبله مغفلا ، كيف يجتمع الضدّان يا أصحاب العقول : الشهرة بالعدالة معروفا بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليه ولا مستراب فى نقله ، ثم يكون هو بعينه صاحب بدعة متهما بالكذب وقلة الثقة والبله والغفلة والتعصب لبعض الصحابة ؟ إن استحالة اجتماع الأضداد مسلم به فى بداءة العقول والفطر ، اللهم إلا أن يقولوا : موصوف بالصفات الأولى من العدالة والأمانة والدين وعدم الريب فيهم عندكم أنتم يا أهل السنة وموصوف بضدها عندنا أهل التجهم والرفض والشك فى سنة رسول الله وأحاديثه ﷺ فحينئذ تفترق الطرق فليسلك من شاء سبيل المؤمنين وسلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين وليسلك من شاء غير سبيل المؤمنين أعداء الكتاب والسنة من الجهمية والرافضة والخوارج ،

وكيف يكون السند صحيحا فى المرسل ومن شرط الصحة عدم الاتصال الذى ينافى الإرسال والانقطاع ، أين من يعقل ويفهم ؟

وإشارته (فى ص ٧٢) إلى كيد الفرس واليهود باظهار بعضهم للاسلام من غير رغبة فيه ثم أخذهم أنفسهم بالتعبد والتقشف ، فلما حمد الناس طريقتهم ولدوا الأحاديث والمقالات وفرقوا الناس فرقا . هـ

هذا صحيح وقد حفظ الله الاسلام فى أصله الأول بالقرآن ، والثانى السنة والحديث ، من كيد هؤلاء الأعداء المنافقين وطفحت كتب الرجال والجرح والتعديل بفضحهم وبيان كذبهم وتمييز الثقات العدول المؤمنين من زيف هؤلاء الأعداء المنافقين ، ومن له أدنى اطلاع على كتب الجرح والتعديل - كميزان الاعتدال فى نقد الرجال للامام الذهبى وحواشيه المسماة لسان الميزان للحافظ ابن حجر وتهذيب الكمال للامام المزى وتهذيبه للحافظ ابن حجر بله تواريخ البخارى الثلاثة والضعفاء للعقيلى والضعفاء والمتروكين للنسائى والضعفاء والمجروحين لابن حبان والكامل لابن عدى وسواها والعلل لابن المدينى والعلل الكبير للامام الدارقطنى والعلل لابن أبى حاتم وغيرها - من اطلع على بعض هذه الكتب يعرف ما يسر الله لهذه الأمة من حفظ دينها وتمييز صحيحه من دخيله

وان كان صاحب الكلام يعرض بخيار الأمة من التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وسعيد بن جبير وسواهم من خيار التابعين ، وبالبخارى ومسلم والترمذى من أصحاب الدواوين الشهيرة فى السنة فلعنة الله عدد الحصا والرمال على من اتهم هؤلاء الأكابر أو ظن فيهم النفاق وعداوة الاسلام

وما ذكره (فى ص ٧٢) من تشدد عمر بن الخطاب فى الحديث وتوعده عليه فقد سبق بيان أن ذلك كان من قبيل التثبت فى الدين وزيادة الطمأنينة فيه ، ولذلك قبل رواية أصغر الصحابة فى حديث استئذان أبى موسى الأشعرى ، قبله من أبى سعيد

الخدرى ، واعتذر عن عدم بلوغه إياه بالصفق فى الأسواق والاشتغال بالتجارة لكسب الرزق ، وهو عذر مقبول لمن عمل بقول الله تعالى ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وذكرنا اقتناعه بقول حسان : قد كنت أنشد فيه - فى المسجد - ورضيه من هو خير منك يعنى النبى ﷺ لما استشهد حسان بأبى هريرة ، ولم يشدد عمر عليها ولم يتوعدهما ولا منعهما من التحديث بما لم يعرفه ، بل صدق أولئك جميعا واعتذر عما لم يعرف من الحديث ، شأن أهل الانصاف الباحثين عن الحق أينما كان

وقد أغنانا الله تعالى عما نقله أبو رية عن شبهه وزميله فى الشك فى سنة الرسول وبعض خبر الصحابة عن عمر بن الخطاب ، أعنى به نجم الدين الطوفى الحنبلى الرافضى الأشعرى الذى قال عن نفسه أو قيل فيه :

حنبلى أشعرى رافضى إنها إحدى الكبر

وراجع طعنه فى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورد الحافظ ابن رجب عليه فى كتابه القيم جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، وراجع كذلك ترجمته فى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر وغيرها من كتب التراجم

وقد مللت من نقل تناقضات البطليوسى وأريتك نموذجا من شكوك أبى رية فى الشريعة السمحة البيضاء التى ليلها كنهارها بشهادة رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون ﴾ ، وكذلك مللت الرد على سخافات شبيهه الطوفى الرافضى الأشعرى المتحنبل للحبوس المحبوسة على أهل الزوايا والربط الذى لم يخف بغضه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحط عليه لمنعه من كتابة الحديث النبوى وهو مما يحمده عليه أبو رية ، فأيهما أقوم قيلا ؟!

وأختم هذا الفصل بما بدأه به أبو رية (ص ٧٠) بقوله : لما كانت أحاديثه ﷺ قد جاء نقلها بالمعنى - كما بينا من قبل - وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها - بله ما سوغوه من قبول للملحون منها - لما كان

قد جرى على ذلك فقد نشأ من أثر ذلك كله — ولا جرم — وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى — ضرر عظيم . اهـ

ونقول لهذا المرتاب المشكك فى سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه بهذه التشكيكات وأنهم قد أباحوا لرواتها بزعمك أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها — بله ما سوغوه من قبول الملحون منها — نقول : أى تحريف للدين أبشع من هذا التحريف الذى زعمته فى أحاديث النبى ﷺ ، وأى فرق بين هذه الأمة التى قال الله فيها ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وبين من قال الله فيهم ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا ﴾ فأى خير يبقى فى هذه الأمة اذا صح عنها تحريف أحاديث نبيها ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ !

فهل نصدق الله ورسوله فى أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ؟ أو نصدق قول أبى رية أنها حرفت أحاديث نبيها بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾

إن الله الغيور على دينه لم يسكت للناس على ما هو أقل ضررا فى دينهم من تحريف لأحاديث نبيهم ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير واللحن فيه ، فنبههم على ما هو دون ذلك بمراحل كقوله ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن ﴾ لمن جامع فى ليالى رمضان قبل أن يباح ، وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ وقال ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ وقال ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ وقال لنبيه ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ وقال له ﷺ ﴿ يا أيها النبى لم

تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وقال ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ الآيات وقال ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الخاسرين ﴾ وقال ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ أفينبه على مثل هذه الأمور من نبيه وأمته وينهاهم ثم يسكت لهم على تحريف أحاديث نبيه ﷺ بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ورواية المعنى المتغير بتغير طبقات الرواة حتى يصير الأخير غير الأول ورواية الملحون ، ولا يعلم الله ما فى ذلك من الضرر بدينه ، ويعلمه فى القرن الرابع عشر أبو رية ويضع شكوكه فى أحاديث النبى ﷺ فيسميها أضواء على السنة مما يفيد أن عدم أحاديث الرسول كان خيرا من وجودها وأنها سببت أضرارا للناس فى دينهم علمها أبو رية ولم يعلمها الله ولا رسوله ولا خير القرون وسلف الأمة ومن سار على سبيلهم إلى يوم القيامة ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ ، « لا أحد أغير من الله » ، ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ، ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فأى حفظ للذكر ولكتاب الله تعالى اذا تحرف بيانه من الحديث بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير واللحن

لقد قيل إن المرء مخبوء تحت لسانه ، وقيل من ألف فقد عرض عقله على الناس ، وأقول فقد عرض عقله ودينه على الناس ، وقد قال الله فى المنافقين لنبيه ﴿ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ فعلق تعريف نبيه بهم بسيماهم بمشيئته وأكد معرفتهم بلحن القول من غير تعليق ، فإن لحن القول أدل على ما فى القلب عند أولى الألباب

مثلا — نقلُ أبى رية (ص ٥٢) عن الدكتور أحمد أمين عن رسالة الزيدى أو الرافضى قوله فى الصحابة إنهم كان يلعن بعضهم بعضا وإنهم لا فضل لهم على غيرهم إلا بمشاهدة النبى ، وإن ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم ، وإن العامة اتخذوهم أربابا كما نقلناه عنه فيما مضى — أدلُّ دليل على بغضه لخير هذه الأمة صحابة نبيه ﷺ الذين قال الله فيهم

فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾

وقول البطليوسى والطوفى ومن ارتضى قولهما دليل على شكهم فى بيان رسول الله ﷺ لدين الاسلام وبلاغه له البلاغ المبين ، ومن لازم قولهم أن عدم البعثة كان خيراً منها وأنها فرقت الناس فى دينهم الذى هو عصمة أمرهم ، بخلاف ما قال الله تعالى ﴿ وما اختلف فيه ـ فى الكتاب ـ إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقوله ﴿ إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعا لستَ منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ﴾ فبين الله تعالى أن اختلاف الناس فى كتاب الله ودينه سببه البغى والهوى ، وأن الله يهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

وتمثيل أبى رية (فى حاشية ٢ ص ٧٢) لمن كادوا للاسلام من الفرس واليهود باظهار التعبد والتقشف ليولدوا الأحاديث ، وتمثيله بكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، فنبشر المؤمنين من أهل القرآن والسنة أن كعبا ووهبا لم يرويا من أحاديث رسول الله ﷺ شيئا ، ولو رويا منها شيئا ماقبله علماء الحديث وعلماء الاسلام ، أما غيرهما فلم ندر من هو ، ولم يفصح به أبو رية ، فالله يعلم نيته وما جبن عن إظهاره من دخيلة نفسه ، هل يريد أمثال ابن سيرين والحسن البصرى وسعيد بن جبير ومن بعدهم من خيار الأمة ، فلعنة الله عدد الحصى والتراب على من أراد أمثال هؤلاء الأعلام بهذا اللمز والضغينة

وتعليقه (فى حاشية ١ ص ٧١) عن نقل الحديث من الصحف دون الشيوخ بقوله فيها « قد لا يصح أن يعد ذلك من علل الحديث ، فقد ذهب الفقهاء كافة الى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه . وقال أبو إسحق الاسفراينى — الاجماع — على جواز النقل من

الكتب المتعمدة . وقال الطبرى ـ كأنه المحب الطبرى المكى ؟ — من وجد حديثا فى كتاب صحيح جاز له أن يرويه ويحتج به ، وكذلك قال العز بن عبد السلام »

وقول هؤلاء العلماء صحيح لا غبار عليه ، واشتراط السماع كان إلى أيام التدوين أما بعد تدوين السنة واشتهار هذه الدواوين واستفاضتها فى الأمة فاشتراط العمل بها على السماع سد لباب العمل بها وتضييع لنعمتها والانتفاع بها ، ومثل شهرة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وغيرها تغنى عن الحاجة إلى سماعها وعن الحاجة إلى سند لها

نعم إن سماعها على الشيوخ العارفين بها لضبط ألفاظها وفهم معناها أمر حسن جداً ، أما أنه شرط فى العمل بها فلا

قال أبو رية (ص ٧٥ ـ ٧٦) :

ضرر الرواية بالمعنى من الناحية اللغوية والبلاغية
اللحن والخطأ فى الحديث

قال (ص ٧٦) : بعد أن أباحوا لأنفسهم رواية الحديث بالمعنى سوّغوا كذلك أن يأتى الحديث ملحونا ولا يرون بأسا فى إصلاح لحنه وخطئه . ھ

ونقول لهذا المرتاب الشكيك فى حديث رسول الله ﷺ : إن الذى أباح رواية الحديث بالمعنى هو رسول الله ﷺ وقد تقدم فى ذلك وجرى عليه خيار الصحابة والوحى ينزل باصلاح أخطائهم وسكت عليهم وجرى عليه جمهور التابعين وهم القرن الثانى من القرون الثلاثة الفاضلة ولهم الحظ الوافر من قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، فهم ثانى طبقات هذه الأمة المشهود لها بالخير

ونقول لمن ينصف : هل حديث ينقل الينا بالمعنى خير أو عدمه واطراحه ، واتباع الهوى والشهوات والجهالات فى فهم القرآن والدين بأسلوب الجهمية والشيعة والخوارج ،

وقد سبق لنا ذكر شيء من سخف من رفضوا الحديث بدعوى الاكتفاء بالقرآن في صلاة بقيام وسجدة واحدة ثم ركوع من قول الله تعالى لمريم ﴿ يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾ ووضوء بمسح على القدم مكشوفة ولا يسبقه استنجاء فتبقى العورتان بلوثها ، وزكاة بما يصور الوهم والانحلال ، وحج لا ندرى كيف تؤدى مناسكه ، وجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وبالعكس ، وعدد من الزوجات لا حصر له ، ووطء في الدبر ، وأكل الحيات والعقارب والسباع والذئاب ، وقطع اليد في السرقة من الكتف في فلس يسرق . وإمساك في الصيام إلى ما بعد العشاء لأنه أول الليل و . . و . . و . . و . . من هذه السخافات والترهات ، أو انحـــلال من الدين ، وخروج على شرائعه

أما اللحن في الحديث ـ إن وجد من لاحن ـ فقد هيأ الله له من يصلح لحنه وخطأه فأى ضرر في ذلك والقرآن يخطىء قارىء في قراءته فينتصب له من يصحح خطأه ولا ضرر على القرآن من ذلك

والخلاصة أن القرآن وبيان النبي ﷺ في حديثه وسنته قد تكفل الله بحفظها حجة على خلقه إلى قرب قيام الساعة ولو كره المبطلون ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

تساهلهم فيما يروى في الفضائل ـ وضرر ذلك

قال تحت هذا العنوان في (ص ٧٨) : قال ابن مهدى ـ يعنى عبد الرحمن تلميذ الامام مالك وشيخ الإمام أحمد رحمهم الله جميعا ـ : إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال ، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب تساهلنا وتسامحنا في الرجال . أخرجه البيهقي في المدخل

وأين لك رؤية المدخل ، فلعلك رأيت من نقل عن المدخل ، وهل المدخل صار حجة عندك وخلا من رواية المعنى والنقص والزيادة ؟

ونقول : جزاهم الله خير الجزاء على هذا النصح للأمة في دينها ـ حلالها وحرامها ـ أما تساهلهم في الفضائل والثواب والعقاب فمن باب حفظ العلم وعدم التفريط في شيء مما يروى

ومن شاء تساهل تساهلهم ، ومن شاء تعنت وردّ ما تساهلوا فيه ، وإذا تبين قدر النقل ووضع كل شيء في المرتبة اللائقة به فأى ضرر منه إلا عند من تعنت ؟ وقد قسم الحافظ ابن حجر في مقدمة تقريب التهذيب له درجات الجرح والتعديل من أعلاها : ثقة ، ثقة ، ثقة حافظ ـ إلى أدناها : كذاب يضع الأحاديث . وفي أثنائها : صدوق يهم ، لا بأس به . والرجل الضعيف في الرواية كالضعف في البدن فهل نقتل ضعفاءنا أو نرحمهم ولا نطلب منهم فوق ما يحتملون ؟ إن قتل المرضى والضعفاء شريعة الوحوش في الغابات ، أما الرحمة بهم فشريعة السماء والديانات ﴿ ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ، ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾ ، ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ ، ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقد اشترطوا لرواية الضعيف شروطا : أن يدخل تحت أصل عام ، وأن لا يشتد ضعفه ، وأن لا يعتقد وقت التحديث به أن رسول الله قاله

والذى نعاه أبو شامة على أبي المعالى الجويني وصاحبه أبي حامد الغزالى وغيرهما من شيوخ الفقه كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون اليه نصرة لقولهم وينقصون في ألفاظ الحديث وتارة يزيدون فيها . يقول أبو رية (ص ٧٨) نقلا عن أبي شامة : وما أكثره في كتب أبي المعالى (الجويني) وصاحبه أبي حامد (الغزالى) . ونحن نوافق أبا شامة على ذلك ، ولا غبار على أهل الحديث وأئمته ولا ضير عليهم من ذلك

ومن نظر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ ابن حجر يرى فيه من ذلك العجب العجاب من غرائب بعض الفقهاء وجهلهم بالأحاديث وغفلتهم في عزو كثير من مناكيرهم إلى الصحيحين ، إلى كثير من هذه الجهالات

وأما نقله (ص ٧٧) إنكار ابن الانبارى لمنع أن في خبر كاد وجعله حديث « كاد

النفر أن يكون كفراً » من تغيير الرواة فتنظر للمسألة فى كتب النحو ، وينظر الحديث ومن خرجه ، وهذا على كل حال مما لا يمس جوهر الحديث ، وليت الملل الأخرى حافظت على نصوصها ببعض هذا القدر من الأمانة والصيانة

الوضع فى الحديث وأسبابه ص ٨٠ – ١٠٣

نقل أبو رية فى أسباب وضع الحديث وضرره فى الدين كلاما نفيسا عن أكابر العلماء كأبى بكر بن العربى المالكى ، وابن خلدون حكيم التاريخ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية حكيم هذه الأمة فى المعقول والمنقول والدفاع عن الاسلام بقلمه وسيفه ، وابن الجوزى واضع كتاب الموضوعات ، وما وضع فى فضل معاوية والشام وفرية الأبدال والأوتاد والنجباء والقطب الغوث (ص ٩٤) وكلام الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوى والسيوطى وكلام خاتمة المحققين السيد رشيد رضا رحمه الله – وهو كلام نفيس جداً جداً نحمده على نقله ونوافق عليه كل الموافقة ، وليس دفاعنا عن صحيح الحديث دفاعا عن ضعيفه وسقيمه وشاذه ومنكره

وقوله (ص ٨٨) « كلمة صريحة حازمه لابن الجوزى » نقلها عن شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ٢١٩) ، وهى فى المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٥٩

وقال أبو رية (ص ١٠٢ – ١٠٣) « الوضاع الصالحون » ونقل عن مقدمة صحيح مسلم وعن الحافظ ابن حجر والحاكم وغيرهم فى جريان الكذب على ألسنة بعضهم بغير قصد ، ومنهم من يضع الحديث حسبة للترغيب والترهيب ولأسباب واهية ، وذم العلماء لهم على ذلك ، وهو كلام حق لا غبار عليه ، وهو ترديد لأقوال أئمة الحديث الذين اختارهم الله لحفظ شريعته وسنة خاتم رسله ، ونقبله ونقول به . وقال مالك رحمه الله تعالى : أدركت كثيراً ممن لو ائتمن على بيت المال لكان أمينا ، ولكن لا يقبل منه الحديث عن رسول الله ، يقال : ليس من أهله ، أو نحو هذا

وقال أبو رية (ص ١٠٤ – ص١٠٧) « الوضع بالإدراج » ونقل كلام الحافظ ابن حجر والقاسمى الناقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وتلميذه أبى الحسن على ابن عروة الحنبلى الدمشقى ، وكله كلام صحيح نفيس لا غبار عليه ، سوى ما أقحمه أبو رية فى أثناء كلامهم (ص ١٠٥) من قوله « ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم الثابتة على بطلانه » وكأن هذا مقدمة تبرع بها من عنده لرد حديث أبى هريرة فى الذباب ، وسنتريث حتى يجىء الكلام عليه فى محله

قال (ص ١٠٨ – ص ١١٠) : « الاسرائيليات فى الحديث » وشكا منها ومن تسربها لآراء المسلمين فى التفسير وكتب التاريخ ونحوها ، ونوافق على الشكوى من ذلك وليتها أفردت وحدها لمن يريد

وقوله (ص ١١٠) اعتماداً عَلَى أقوال الدكتور أحمد أمين فى ضحى الاسلام إن عبد الله بن سلام من الصحابة وابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) من التابعين فيمن غشُّوا الإسلام بما كانوا يروون عن التوراة والانجيل ، فيه ظلم بين لهذين الرجلين العظيمين ، أحدهما عبد الله بن سلام الصحابى الحبر وابن الحبر الذى خالف هواه وعصبية قومه وأسلم بين يدى الرسول ﷺ إسلاما صحيحا . ولقصة إسلامه طرافة وعبرة كما رواها أصحاب الصحاح والمسانيد ، وذلك أنه لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وسمع به عبد الله بن سلام وكان على نخلة يخرف منها ، فكاد يسقط فرحا ، فقالت له عمته : مالَكَ ؟ هل سمعت أن موسى بعث ؟ فقال لها : هو أخو موسى ياعمة (وفى التوراة : سأبعث لهم – أى لبنى إسماعيل – نبيا مثلك) ، فذهب إلى النبى ﷺ وسأله عن ثلاث مسائل قال إنه لا يعلمها إلا نبى مرسل : بم يشبه الولد أباه وبم يشبه أمه أو خاله ، وبم تذكر الأنثى فتأتى بذكر وبم تؤنث فتأتى بأنثى ، وما أول طعام أهل الجنة ؟ فأجابه ﷺ بما تراه فى الحديث الذى رواه الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه ﴾ فقال ﷺ جاءنى بهن (جواب الأسئلة) جبريل آنفا . قال جبريل ذاك عدو اليهود ، فنزلت الآية ﴿ قل من كان عدوا

لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله ﴾ الآية

ثم تكلم عبد الله بن سلام بكلمتى الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت (أى كذابون مفترون) وإنهم اذا علموا باسلامى بهتونى . فاسألهم عنى قبل أن يعلموا باسلامى . فجاء اليهود ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تقولون فى عبد الله بن سلام ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وحبرنا وابن حبرنا . فقال : ما تقولون إن أسلم ؟ قالوا : حاشاه من ذلك . فخرج عبد الله بن سلام من وراء الباب الذى كان مختفيا وراءه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا !

فهذا الحبر الخير ابن الحبر الخير كيف يعد فيمن غش الاسلام باسرائيلياته يا أحمد أمين لو كنت تعرفه ؟ وأنت يا أبا رية كيف قلدت أحمد أمين فيما جهله وليس له به علم ؟ ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾

أما ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) فمن أئمة أتباع التابعين ، من محدثى أهل مكة وفقهائهم ، قبله علماء الاسلام محدثا صادقا ، ولا إسرائيليات عرفت عنه ، فلا عبرة بكما يا أحمد أمين ويا أبا رية فان أولكما جاهل بمراتب الرواة ، والثانى صاحب هوى وجهالة ، يقبل كل غث وسمين فى تجريح رواة الحديث وحملة العلم النبوى وأئمة الاسلام

وحسبنا منكما ما سبق (ص ٤٧) من تجريح الصحابة وقبول كلام الرافضى الحضرمى فى خيار خلق الله وصحابة نبيه ، وبهته إيام أنهم يلعن بعضهم بعضا ، وما خص به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الغمز عليه واستشهاده بأكاذيب رواة المثالب كابن الكلبى ولوط بن يحيى بن مخنف التالف الكذاب الساقط وأضرابهما . وشرب أبو رية من صديده عبد الحسين الرافضى فى بعض صحابة النبى ﷺ خير أمة أخرجت للناس الذين أشادت كتب السماء التوراة والانجيل والقرآن بفضلهم واختارهم الله لصحبة نبيه وحمل الدين عنه

وابلاغها إلى مشارق الأرض ومغاربها

وقوله (ص ١١٠) : وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية ... ومن ناحية أخرى كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكرا ، وبذلك راجت بينهم سوق هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد ولا تمحيص معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه . هـ

وهذا ظلم بين للصحابة الذين اختارهم الله لحمل دينه كتابا وسنة ، وقد عرفهم الله بحال هؤلاء الكتابيين بقوله تعالى ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ وأدبهم رسول الله ﷺ بهذا الأدب العالى من الانصاف والعدل بقوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بما أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا واحد ونحن له مسلمون » فأى أدب وانصاف أعلى من هذا أو فوقه

أفبعد هذا يجىء أبو رية فيرميهم بالبلاهة والسذاجة وتصديق الكاذبين وقبول الغشاشين ، وعندنا أن الصحابة كانوا يستمعون لحكايات كعب ووهب ونحوهما كما نقرأ الآن الروايات الخيالية والقصص المؤلفة مع علمنا أنها من وضع خيالات كاتبيها ، ولكن نقرؤها تفكها ودفعا لسآمة الجد وعبرة بخيال كاتبيها . فهكذا كان الصحابة يستمعون إلى إسرائيليات أهل الكتاب ليحمدوا الله تعالى عَلَى ما أنعم به عليهم من الكتاب والسنة ـ وبضدها تتبين الأشياء ، والضد يظهر حسنه الضد . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا ولد فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية . فمعرفة الجاهلية وتاريخ الأمم غثها وسمينها فيه بصيرة وعبرة لذوى الألباب . ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾

لقد ظلم أبو رية نفسه بوصف ابن عباس وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهم تلاميذ كعب الأحبار ، فليس كل من سمع من أحد تلميذا له ، فقد سمع عمر بن الخطاب من كعب فهل كان عمر تلميذا لكعب ، وسمع النبي ﷺ من عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين ينزلون إلى المدينة ، وسمع رسول الله ﷺ من تميم الدارى فهل يصح أن نقول إن رسول الله ﷺ صار تلميذا لهؤلاء ؟ ياللعجب العجاب وأنت تستمع إلى مفتريات جولد زيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية فأنت تلميذ لهم جميعا ، فبئس التلميذ وبئس الأساتذة

وأما البشارات التى ذكرها كعب بأوصاف النبي ﷺ واتهمه أبو رية أنه حرفها واتهم عبد الله بن عمرو بن العاص أنه حمل صفة النبي ﷺ عن كعب وأن كعبا معلمه فيها ، فسواء علينا صح ظن أبى رية أو خاب فقد قال الله تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ وبما فى الانجيل : سأذهب ويأتيكم الفارقليط يعلمكم كل شىء ويوبخ العالم عَلَى خطيئته . وهذه اللفظة « فارقليط » هى الكلمة اليونانية القديمة بريكليوس وقد عربها جاحدو نبوة محمد بمعنى المخلص أو المعزى . وسأل الدكتور أحمد أمين المستشرق الايطالى نللينو عن معنى بريكليوس فى اللغة اليونانية القديمة قال : يقول الآباء القسس إن معناها المخلص أو المعزى . فقال الدكتور أحمد أمين : أنا أسأل مستشرقا حائزا للدكتوراه فى اليونانية القديمة لا أسأل قسيسا . فقال : معناها أحمد أو حامد أو نحوهما . وقال الله تعالى ﴿ وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ وقال ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ ، ﴿ ويخرّون للاذقان يبكون ويقولون إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾

وذكر أبو رية (ص ١١١ ـ ١٢٤) تاريخ كعب ووهب بن منبه وما قيل فيهما وقتل عمر واتهام كعب بمؤامرة قتله وشيئا من أساطير كعب ووهب فى إرم ونحوها ـ ولا كلام لنا فى هذا كله سوى أن مؤامرة قتل عمر وهل كان لكعب يد فيها أو لا فنكل ذلك إلى حكومة علام الغيوب يوم القيامة ا ، يقضى فيها قضاء لا معقب له . وقد أكرم الله أمير المؤمنين عمر بالشهادة فى بلد نبيه دعا بذلك قبل حجته الأخيرة وفى فراغه من الحج كما رواه مالك ، وكما صدق الله نبو نبيه حينما اهتز أحد وكان عليه ﷺ مع أبى بكر وعمر وعثمان فقال ﷺ « اثبت أُحُد ، عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » ولو كان الموطأ قريبا منى لنقلت منه دعاء أمير المؤ بن عمر بن الخطاب بعد فراغه من الحج واضطجاعه على بردته يبطحاء مكة ودعائه بما دعا به . ولكنى أكتب هذا كله فى مستشفى الطائف بعيدا عن الكتب والمراجع

حديث الاستسقاء

دعوى تسرب الاسرائيليات إليه

عزا أبو رية (ص ١١٨) إلى التاريخ أن كعبا لم يدع الفرصة تفلت من غير أن يتخذ منها وسيلة ليرمى الاسلام بطعنة من طعناته ، فقال لعمر : إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا ـ جدب عام الرمادة ـ استسقوا ببعض الأنبياء . فقال عمر : هذا عم رسول الله وصنو أبيه وسيد بنى هاشم العباس ، فمشى إليه ثم استسقوا الخ

وجعل توسل عمر بالعباس هوة من الشرك سقط فيها عمر ، وكذب عدو السنة أبو رية

والجواب (١) ما قيل : اكذب وأبعد شاهدك . فأى التواريخ جاء فيها ما ذكره عن كعب ؟

(٢) هذه تهمة فى أمير المؤمنين عمر أن يقبل فى دين الله خديعة كعب ، وتهمة فى الصحابة الذين سكتوا على ذلك والعهد بهم أن لا يسكتوا على مادون ذلك ، وكم لهم من

مراجعات لأبى بكر وعمر وعثمان ، فما بالهم سكتوا الآن

(٣) قول عمر : كنا إذا أجدبنا نستسقى بنبيك ، والآن نستسقى بعم نبيك دليل أنه فعل ذلك باجتهاده وبما سبق لا بغش كعب ، وهل كان كعب قد أسلم حينئذ وبلغ من الثقة به أن يشير على عمر فيقبل مشورته ويسكت الصحابة على ذلك ؟ يبحث عن ذلك فى التاريخ ، وسواء ثبت أن كعبا أسلم حينئذ أو لم يثبت لا يمكن أن نصدق أبا رية بأن عمر انخدع بغش كعب هو والصحابة المتوافرون حينئذ ، إلا اذا ألغينا عقولنا وصدقنا أبا رية فى بهته للصحابة ورميهم بالبلاهة والسذاجة ورمى بعضهم بالكذب

قوله (ص ١١٨) ومما لامراء فيه أن هذا اليهودى — يريد كعبا — قد أراد بقوله هذا أن يخدع عمر عن أول أساس للتوحيد الخالص ليزلقه إلى هوة التوسل الذى هو الشرك بعينه ، حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل كان لها أثر بالغ لدى المسلمين جميعا فى العقيدة الاسلامية على مدى العصور . أقول : وحاشا لعمر أن يهوى فى هوة الشرك

ثم قال : لكن عمر وهو فى أفق من البصيرة بالدين والفقه فيه قد فطن لها ولم يقع فى الفخ الذى نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستسق بأحد حتى بالنبى ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار

بأى هذين الخبرين من هذا الألعبان نأخذ وأيهما نصدق ؟ قوله حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل — يعنى التوسل — وقوله بعده بسطرين : ولكن عمر .... قد فطن لها ولم يقع فى الفخ الذي نصبه له هذا الخُدعة ، فلم يستسق بأحد حتى بالنبى ﷺ ولم يزد على الاستغفار . فهل هوى عمر فى هذه الهوة من الشرك والتوسل كما قال أبو رية (س ١٤) أو لم يقع فى الفخ الذى نصبه له هذه الخدعة كما قال بعد ثلاثة أسطر (س ١٧) والخبران إثبات ونفى فى صفحة واحدة بينهما ثلاثة أسطر أو سطران ، فهل يدرى هذا الرجل ما يجرى به قلمه وما يسطره سوادا فى بياض يهدم آخره أوله وينقض أوله آخره ؟

وأما دعواه أن عمر لم يزد على الاستغفار ولم يتوسل بأحد فيكذب تاريخه المبهم

المجهول حديثُ الصحيحين عن أنس فى الاستسقاء ، وما نقل عن ابن أبى الدنيا فى كتاب المطر وفى كتاب مجابى الدعوة ، وعن المغنى وعن الجاحظ فى معارضة حديث الصحيحين ، كمن يحجب ضوء الشمس بكفه أو يكسر صخرا صلداً بقضيب من قش أو زجاج أو يصارع فيلا ببعوضة أو يسابق فرسا جوادا بأعرج كسيح أو يرمى حصنا حصينا ببيض الطير والدجاج

وقوله (ص ١١٨) « إلى هوة التوسل الذى هو الشرك » إن دل على شىء فانما يدل على جهل طويل عريض عميق ، بالدين وبالتوسل ، صحيحه وفاسده ومشروعه من باطله

فالتوسل اتخاذ وسيلة إلى ماتريد ، والوسائل الدينية منها ما هو واجب شرعا كوسيلة الايمان والعمل الصالح إلى مرضاة الله ونيل السعادة فى الدنيا والآخرة وحب الرسول واتباعه ونشر دينه وشرعه وسنته

ومنها ما هو مباح أو مستحب كطلب الدعاء من المؤمنين الصالحين الأحياء الحاضرين معك

ومنها ما هو شرك أو سبب إلى الشرك كدعاء الأموات أو الغائبين والاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم . كما أن من الوسائل القدرية الكونية ما هو وسيلة حقا إلى ماتريده من حاجاتك الدنيوية كالأدوية التى دلت تجارب الناس على نفعها فى علاج الأمراض ، وكالسعى فى الأرض والمشى فى مناكبها لجلب الرزق ، وكالأسباب المرتبطة بمسبباتها قدرا فى كثير من العلوم الطبيعية والكيماوية والصنائع والمخترعات التى قامت عليها حضارات الناس وتقدمهم فى علوم المعيشة والكسب والحرب وأمثالها مما تقدمت به البشرية أشواطا بعيدة

ولعل أبا رية يريد من التوسل الشركى دعاء الأموات والاستغاثة بهم وبالغائبين ممن يعتقد فيهم سلطة غيبية وبركة معنوية ، ونحن معه فى هذا أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك . وأما إن كان يُلحق بهذا النوع الشركى دعاء الأحياء الحاضرين بعضهم لبعض وطلب الدعاء

من الصالحين الأحياء الحاضرين فقد غلط غلطا فاحشا لرده ما جاء به الدين صريحا لا غبار عليه

فقد توسل الصحابة رضى الله عنهم بالنبى ﷺ فى حياته واستسقوا به واستسقى لهم وسقاهم الله بدعائه ، وفى ذلك يقول أبو طالب فى لاميته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفى الحديث : اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف ، فمرت عليهم — على قريش — سنة أحصت عليهم كل شىء حتى أكلوا العلهز — الجلد أو الشعر المفتول بدم — وكان أحدهم ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من شدة الجوع ، ونزل فى ذلك { فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون . أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول كريم . فتولوا عنه وقالوا معلم مجنون } وجاء أبو سفيان إلى النبى ﷺ — وهو مشرك — وقال : يا محمد إنك بعثت بصلة الرحم ، وإن قومك أصابهم ما أصابهم . فدعا رسول الله ﷺ الله لهم ، فكشف الله ما بهم

وفى الحديث الآخر الذى رواه ابن عباس أن امرأة كانت تصرع فجاءت إلى النبى ﷺ وسألته أن يدعو لها ، فقال لها ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك » قالت رضى الله عنها : بل أصبر ، فادع الله أن لا أنكشف ، فدعا لها ، فكانت رضى الله عنها إذا أصابتها النوبة جلست وشدت عليها ثيابها حتى تفيق

وحديث الأعمى الذى علمه النبى أن يقول : اللهم أتوجه بك إلى ربى ، فشفعه فىَّ وشفى من عماه . والحديث فى الترمذى وربما لا يؤمن به أبو رية ويعده من الاسرائيليات أو مما مسخته رواية المعنى بزعمه ، وحديث عمر لما أراد أن يعتمر وقول النبى ﷺ له « لا تنسنا من دعائك يا عمر »

وقول أم سليم للنبى ﷺ : خويدمك أنس فادع الله له ، فدعا له بطول العمر وكثرة

المال والولد والغفران ، قال أنس : فقد تحققت الأوليان طول العمر وكثرة المال والولد فإن نخيل الناس كان يحمل فى السنة مرة واحدة ، وكان نخيلى يحمل فى السنة مرتين . وأخبرتنى بنتى فلانة أنه مأت لى من ولدى وولد ولدى كذا وكذا ، وأنا أنتظر الثالثة — يعنى الغفران

ودعاء النبى ﷺ لابن عباس — إن كان بطلب من ابن عباس أو نافلة من النبى ﷺ له — : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . وطلب الأعرابى الذى دخل من باب المسجد والنبى ﷺ يخطب فقال : يارسول الله هلكت الكراع وانقطعت السبل ، فادع الله لأمتك فرفع ﷺ يديه إلى السماء ودعا ، فنشأت سحابة شامية من وراء سلع كالترس فاستدارت وأمطروا سبتا كاملا أى أسبوعا ، حتى إن الرجل القوى منهم كان يفكر كيف يصل إلى داره وكل من قدم المدينة حديث عهد بالحيا ، ثم جاء هذا الرجل فى الجمعة التالية ورسول الله يخطب — فقال : يا رسول الله انقطعت السبل و . . . و . . . أى من كثرة المطر ، فادع الله أن يكشفها عنا ، فدعا رسول الله ﷺ وقال « اللهم حوالينا ولا علينا » وكان كلما يشير بيده إلى السحاب يتمزق حتى أضحت المدينة كالجوبة الخ

والأحاديث فى ذلك كثيرة لا يحصيها نائم على سرير مرضه مثلى

ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض بطلب أو بغير طلب من التعاون على البر والتقوى ، وقد قال الله تعالى { وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } وقال الله لنبيه { واستغفر لذنبك وللمؤمنين } وقال { فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله }

فاللهم لا تسلط أبا رية على ما صح من أحاديث رسول الله ، ولا تعجبه فيجعلها إسرائيليات أو مسخا من رواية المعنى ، أو من وضع أعداء الاسلام الذين لم يفطن لعداوتهم له سواه من سلف الأمة وخير القرون ، وخذ بنواصينا إلى الحق والخير يامن بيدك قلوب عبادك آمين { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعك

ولو قرأ أبو رية رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية مثل (التوسل والوسيلة) و (الاستغاثة) و (زيارة القبور) له و (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لتلميذه الإمام ابن القيم وما تفرع منها من كتب شيوخ الدعوة السلفية فى نجد ككتاب (التوحيد) للشيخ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه لأحد أحفاده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيرهما لاستفاد كثيراً عن أنواع التوسل مشروعه وممنوعه ، ولما تورط فى نسبة التوسل الشركى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وحتى حديث المعراج المتفق على صحته لم يسلم من وساوس أبى رية ، فقد زعم (ص ١٢٣) أنه مما بثه كعب ووهب من الاسرائيليات بقوله : ولم يستطع أحد من الرسل جميعا غير موسى أن يفقه استحالة أداء الصلوات الخمسين على البشر ، فهو وحده الذى فطن لذلك وحمل محمدا ﷺ على أن يراجع ربه عشر مرات فى حديثه ، وخمس مرات فى حديث ثان ، وبضع مرات فى حديث ثالث . . . . وكأن الله سبحانه وتعالى لما فرض الصلوات على المسلمين كان لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وكذلك لا يعلم محمد الذى اصطفاه الرسالة العامة إلى الناس كافة والله أعلم حيث يجعل رسالته إن كان من أرسل اليهم يستطيعون احتمال هذه العبادة حتى بصّره موسى . هكذا ترى الاسرائيليات تنفذ إلى ديننا وتسرى فى معتقداتنا وتعمل عملها ولا تجد أحدا إلا قليلا ـ يعنى كأبى رية ـ أن يردها ، بل ترى وا أسفا من يصدّقها ويعتقدها من حشوية آخر الزمان الذين يتجرون بالدين لا يهمهم أن ينسب الجهل لخاتم النبيين . ه . ما أتعبت نفسى بنقله ، ليرى الناس فلسفة فيلسوف القرن الرابع عشر فى رد الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها اسرائيليات تسربت الينا

وجوابه : (أولا) رحم الله حديث المعراج وأعاذه من وساوس أبى رية ، ولو ردت الأحاديث الصحاح بأمثال هذه الوساوس لما بقى له حديث واحد ، وهو ما يرمى اليه أبو رية ومن قلدهم من أعداء السنة . وطريقة العلماء الراسخين فى مشكلات الأحاديث ومتشابه الآيات أن يجتهدوا فى فهمها ، وإلا وكلوا علمها إلى الله تعالى قائلين ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ . وهذا الحديث لا إشكال فيه ولله الحمد ، وما أبعده عن صحارى الاسرائيلية ومهالكها ومفاوزها ووهادها

(٢) قوله لا يعلم الله طاقة عباده واستطاعتهم بما يحملون من الصلاة وكذلك محمد خاتم رسله ، جهل منه بسنة الله تعالى فى شرعه وقدره فالله العليم الخبير اذا أراد شيئا هيأ له من الأسباب ما يبرزه عندها . مثلا عندما أراد شرع التيمم رحمة بعباده سبب ضياع عقد عائشة فى منزل ليس فيه ماء حتى شكى الصحابة ذلك إلى أبيها أبى بكر الصديق حتى ذهب يطعن فى خاصرتها ويقول : حبست الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فما يمنعها من التحرك الا رأس رسول الله ﷺ على فخذها ، حتى نزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير : ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر ، وقال لها أبوها : إنك لمباركة يابنية

فهذا الله العليم الخبير بمصالح عباده شرع التيمم بسبب قصة عائشة . ومثلها كفارة الظهار بسبب ظهار زوج خولة بنت حكيم . وإباحة الجماع والرفث فى ليلة الصيام بسبب من وقع على أهله بعد العشاء أيام الحظر ـ وهكذا شفاعة من يشفع بعد إذن الله ورضاه عمن يشفع له انفاذا لما يريده الله من رحمة من يريد رحمته من المشفوع فيهم

ومثله قدراً عمارة الأرض بسبب خطيئة أبى البشر آدم وهبة الأولاد بعد الزواج والعشرة الزوجية . وهكذا تجد شرع الله وقدره يرتبطان بالأسباب والمسببات ليعلمنا الله تعالى ارتباط الأسباب بالمسببات وعدم انفكاكهما إلا لإعجاز أو خارق

والحديث يدل بمنطوقه ومعقوله عند من يعقل ببعده عن الشوائب الاسرائيلية ، ولولا ذلك لما جعل الله موسى الذى يحلف أتباعه بالذى فضل موسى على العالمين لما جعله فى السماء السادسة وجعل ابراهيم فوقه فى السابعة وعرج بمحمد إلى مستوى يسمع فيها صريف الأقلام فوق موسى بمراحل لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولما جاء فيه أن موسى بعد ما فارقه رسول الله بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : هذا ـ يعنى محمدا ـ غلام يأتى من بعدى يدخل من

امته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى . فأظهر الحديث موسى بمظهر الحاسد الباكى الآسف ، وإن أولها العلماء بالغبطة والحسد المحمود . ولما أظهر الحديث بنى إسرائيل بمظهر العجز عن أداء ركعتين أول النهار وآخره وهم بزعمهم شعب الله المختار ، فأين الاسرائيلية فيه يا من له عقل ودين وإنصاف ، وهو يشهد عليهم وعلى نبيهم هذه الشهادات ويفضل للسلمين ونبيهم عليهم وعلى نبيهم ؟

إن كانت الرائحة الاسرائيلية فيه التى شمها هذا المزكوم هى مشورة موسى على محمد بالمراجعة فى تخفيف الصلاة فليمح من كتاب الله تعالى وصحيح حديث نبيه ما جاء فى فضائل موسى وبنى إسرائيل ؛ فالقرآن مملوء بها ، وفضائل موسى فى القرآن لا يتحملها هذا المختصر . ومن فضائل بنى إسرائيل قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ وقوله ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ﴾ وقوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تك فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ وقوله ﴿ وأنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيونَ الذين أسلموا للذين هادوا والأحبار والربانيون بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾

والآيات كثيرة فى محاسن أنبيائهم والمؤمنين ، ومساوىء الضالين منهم والكافرين ، وحسنات أولئك وسيئات الآخرين ، فليس ما فيه شىء من حسناتهم من آية أو حديث يكون إسرائيليا كميا وهيا . . . . يا أهل الانصاف . . . . والله يقول ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان . . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾

وفى الحديث « لا تفضلونى على موسى ، فانى أبعث من قبرى فأجده باطشا عند

قوائم العرش فلا أدرى بعث قبلى أم جوزى بصعقة الطور » . فليعده أبو رية حديثا اسرائيليا مما تسرب من الاسرائيليات إلى ديننا الخ

وإنكار أبى رية لحديث تخفيف الصلوات الخمس من خمسين إلى خمس باشارة موسى على النبى ﷺ أن يراجع الله فى ذلك لأن الله يعلم ما قاله موسى وليس فى حاجة أن يعرف سبحانه ما تحتمله قوى عباده وما لا تحتمله الخ ما هذا معناه

وقد أجبته آنفا بأن الله يشرع أحكامه لأسباب تقتضى تشريعها ، وضربت له مثل الظهار ، ونسخ وجوب الصوم ليلا ، وغير ذلك بسبب ما أدى لتشريعها

وأزيد الآن أن الله سبحانه يعلم أن هرون أفصح من موسى ، ويصلح أن يكون رسولا ووزيراً وعضداً لأخيه موسى ، ولكنه أجرى شفاعة موسى عَلَى لسانه بقوله ﴿ وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى ، إنى أخاف أن يكذبون ﴾ وبقوله ﴿ واجعل لى وزيراً من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ﴾

فهل كان الله تعالى وتقدس لا يعلم أن هرون أفصح من موسى وأنه يصلح أن يكون وزيرا وردءا له حتى أخبره موسى بذلك ، فلم لم يرسل هارون مع موسى قبل شفاعة موسى له بذلك ؟

اللهم إنا نبرأ إليك من رد نصوص الكتاب والسنة بمثل هذه الوساوس والهذيانات والسخافات فى رد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالشبهات الداحضة والأفهام القاصرة والاعتراض على الله فى خلقه وشرعه وقدره

حديث طعن الشيطان لكل بنى آدم إلا عيسى وأمه

لقد أساء أبو رية إلى نفسه وإلى العلم وظلم نفسه بطعنه (ص ١٤٤ ـ ١٤٨) فى حديث أبى هريرة فى الصحيح « كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد ، غير

عيسى بن مريم ، ذهب يطعن فطعن فى الحجاب » وفى رواية : سمعت رسول الله يقول «ما من ابن آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . وفى رواية ثالثة : « كل بنى آدم قد طعن الشيطان فيه حين يولد غير عيسى بن مريم وأمه ، جعل الله دون الطعنة حجابا فأصاب الحجاب ولم يصبهما » وفى رواية عند مسلم « إلا نخسه الشيطان » و « إلا يستهل من نخسة الشيطان »

وبدأ كلامه على الحديث (ص ١٤٤) : ومن المسيحيات فى الحديث ما رواه البخارى عن أبى هريرة ، فذكره ، وتهكم بأبى هريرة (س ١٥) بقوله : وفقه هذا الحديث الذى سمعه الصحابى الجليل من الرسول أن الشيطان يطعن كل ابن آدم أو ينخسه إلا عيسى بن مريم وأمه ، وبذلك لم يسلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بنى آدم أجمعين ، حتى الرسل : نوح وابراهيم وموسى وغيرهم ، وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين . فانظر واعجب . هـ

نظرنا فلم نعجب ، فقد قالوا : المزية لا تقتضى الأفضلية ، فاذا خص عيسى بالولادة من غير أب وبإحياء الموتى وتصوير هيئة الطير من الطين والنفخ فيها فتصير طيراً باذن الله ، ولم يجر ذلك لابراهيم ولا نوح ولا موسى ، لا يقتضى ذلك تكذيب هذه المزايا لعيسى واذا انشق البحر لموسى وانقلبت عصاه ثعبانا ويده بيضاء من غير سوء ، وانفجار الحجر عن اثنى عشر عينا وغير ذلك من آيات موسى ولم يجر ذلك لنوح وابراهيم وعيسى ومحمد فهل نكذب ذلك ؟

هل ترد الأحاديث الصحيحة والأخبار القرآنية بمثل هذا الخيال الفاسد ، والاستبعاد البارد ؟ ويكذّب الصحابى الحافظ الصادق أبو هريرة لهوس أبى رية الذى قلد فيه جولد زيهر ؟

اذا جاء فى التاريخ ذكر عدّاء يسابق الخيل بعدْوه مثل سلمة بن الأكوع ، أو امرأة حادة البصر ترى من بُعد ثلاثة أيام كزرقاء اليمامة ، أو محدّث ملهم كعمر ، إلى أمثال

كثيرة مما يختص الله به بعض عباده ، فيجيء مهووس كأبى رية يقول : لماذا اختص هؤلاء بذلك دون سواهم ، فنقرأ له قول الله تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وقوله ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ وقوله ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ ولما قال الملائكة لله سبحانه حين قال لهم ﴿ انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ ، والله لم يجعل أبا رية ولا من هو خير من أبى رية مستشارا له يعدل فى خلق الله تعالى بهواه وعقله الفاسد ورأيه الكاسد

وطعن صاحب الكشاف كما نقل أبو رية آخر (ص ١٤٥) فى حديث طعن الشيطان وتوقفه فى صحته ليس لهذا الطعن والتوقف فيه قيمة ، فليس صاحب الكشاف من علماء الحديث ، وحسبه أن يبين بلاغة القرآن فى كشافه ، ويدس تحت كل حرف منه بدعة الاعتزال ، ومجانبة السنة وطريق السلف

ونقله عن الشيخ محمد عبده (آخر ص ١٤٧) فى حديث مريم وعيسى وحديث إسلام شيطان النبى ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ أنها أخبار آحاد ظنية من رواية الآحاد لا يؤخذ فيها بزعمه فى عالم الغيب ، والايمان بالغيب من قسم العقائد ، شنشنة نعرفها من أخزم ، ولوثة لاثتها فيه مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر التى تثقف بها ، ولو عاش الشيخ محمد عبده إلى القرن العشرين لرأى مادية القرن التاسع عشر وما قبله وقد صارت هشيما تذروه الرياح ، ولانفتح له باب الروحانية وتصديق الرسل والديانات على مصراعيه على يد أكابر العلماء وأساطين العلم التجريبى أمثال جينز الفلكى الطبيعى فى كتابه (العالم المستور) وغيره من أكابر العلماء الطبيعيين ككتاب الانسان لايقوم وحده الذى سمى العلم يدعو إلى الإيمان لرئيس أكاديمية نيويورك

لقد حدثنى المرحوم الشيخ عبد القادر التلمسانى التاجر الشهير بمصر وجدة قال :

رفعت للشيخ محمد عبده على يد شريكنا السيوفى باشا سؤالا وانتظرت جوابه أسبوعين أو أكثر ، ثم قلت للسيوفى باشا : أعرض على سماحة المفتى جواب سؤالى ، ورفعته اليه ، فطلب منى مصدر الجواب ومستقاه ، فقدمت له كراريس من كتاب (موافقة العقل والنقل) لشيخ الاسلام ابن تيمية و (التسعينية) له وكانا لم يطبعا حينئذ ، فات الشيخ محمد عبده رحمه الله وهو يقرأ هذين الكتابين كراريس بعد كراريس ، وقال : هذا كلام لم نر مثله ، أو نحو هذا

وذكر لنا شيخنا المرحوم السيد رشيد رضا عن شيخه الشيخ محمد عبده أنه لم يهتد للسنة والعمل بها إلا فى آخر حياته . وحسبنا من الشيخ محمد عبده مدافعا عن الاسلام حكيما فيلسوفا غيورا على الدين جملة لا تفصيلا

أما تقليده فى رد صحيح الأحاديث فليس مما نقبله منه بعد معرفتنا لما يحسن من دين الاسلام كرده على مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا ، وكرده البديع على فرح أنطون فى مجلة الجامعة فى الرسالة المسماة الاسلام والنصرانية

وشك أبى رية فى حديث نزول عيسى بن مريم (حاشية ص ١٤٥) لأنه جاء خبر عودته فى الانجيل هو من الفهم المقلوب ، فإذا جاء حديث أو قرآن بما جاء مثله فى التوراة أو الانجيل أيكون ذلك شكاً فيه أو تقوية له ؟ والرسل يصدق بعضهم بعضا ، فعيسى يقول ﴿ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ﴾ وقوله ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ وفى الحديث « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ، ديننا واحد والشرائع شتى » ولو رددنا من الدين ما لا يعجب أبا رية وأمثاله من الجهلاء المعجبين بآرائهم الفجة لأصبح الدين مهلهلا ممزقا رقعا لا تستر عقيدة ولا تدفع من باطل ، ولأصبح دينا ملفقا يقبل منه أهل الأهواء ما يوافق هواهم ويردون منه ما لايهوون ، وكفى بدين ممزق مخرق أمثال هذا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

ومن العجائب والعجائب جمة أن يعيب أبو رية فى كتابه على الصحابة فى سماعهم

من مُسلمى أهل الكتاب ككعب ووهب وعبد الله بن سلام وتميم الدارى وأمثالهم ، وقد أسلموا وقبل الصحابة ظواهرهم ، ويسمى أبو رية أبا هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص تلامذة لكعب لسماعهم بعض كلامه فى غير الدين ، ثم يجىء أبو رية (فى ص ١٤٨) فيأمرنا بالرجوع إلى كتب أعداء الاسلام من المستشرقين مثل جولد زيهر اليهودى المستشرق ومن على شاكلته فون كريمر وأمثالها وشبرنجر وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية ، وقد رجعنا إلى كتاب العقائد الاسلامية وكتاب مذاهب المسلمين فى التفسير لليهودى المستشرق جولد زيهر فاذا هو فى كتابه الأول العقائد الاسلامية يكذب نبى الاسلام صراحة ويصفه بالصرع والهستيريا وسرقة إصحاح صموئيل أو أشعيا أو غيره — من أسفار العهد القديم ويقولها قرآنا فى سورة البلد وغيرها . ويذهب فى كتابه الثانى مذاهب المسلمين فى التفسير فيجعل القراءات المنزلة من السماء فى الأحرف السبعة من اختراع القراء حسبما سمح لهم نهمهم فى الخط العربى البدائى غير المنقط ، أفهؤلاء موضع الثقة عند أبى رية فيحيلنا عليهم لنعرف الاسرائيليات والمسيحيات فى الاسلام ، وقد جعل أحدهم جولد زيهر القرآن اسرائيليا سرقه محمد من إصحاح فلان من العهد القديم ، يحيلنا على هؤلاء الأعداء لله ولرسوله وللاسلام والمسلمين فى الدين ويعيب على بعض الصحابة سماعهم من مسلمة أهل الكتاب فى غير الدين ، لاتهامه لهؤلاء المسلمين من أهل الكتاب بالغش والخديعة للاسلام والنفاق فيه ، ويأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأعداء غير المتقنعين فنقبل كلامهم فيما شرقوا به من دين الاسلام .

ولكن لا بأس فقد عرفنا من أين استقى أبو رية شكوكه فى الاسلام وفى أصله الثانى حديث رسول الله ، واذا كان لنا أن نشبه أبا رية فى تقليده لأعداء الاسلام شبهناه بالقرد الذى ذبح نفسه عندما قلد من أجرى السكين بظهرها على رقبته فأخذ القرد السكين وأجراها بحدها على رقبته ، أو نشبهه بذلك الابن الذى أراد أبوه الطبيب أن يمرّنه معه على الطب فذهب به معه إلى أحد المرضى وجس الطبيب الأب نبض المريض وقال : لعلك أكلت لحم حمام ؟ قال المريض نعم ، فسأل الابن أباه كيف عرفت أن المريض أكل لحم حمام

قال : بانتفاخ النبض فى عروقه ووجود ريش الحمام فى قمامة منزله . فذهب الابن يوما إلى مريض آخر وجس نبضه وقال : لعلك أكلت لحم حمار ، فضحك منه الناس ! ولما رجع إلى أبيه وأخبره الخبر قال له أبوه : كيف عرفت أنه أكل لحم حمار ؟ قال لأنى رأيت نبضه سريعا متنفخا ورأيت برذعة حمار معلقة فى الدهليز فعرفت أنهم ذبحوا الحمار وأطعموا المريض منه ، فضحك منه أبوه وعلم أن الكحل فى العينين ليس كالكحل .

وهكذا أراد أبو رية أن يتشبه بالنقاد الباحثين فرجع كالغراب الذى فقد مشيته ولم يحسن مشية القطا . وهذا كله دليل واضح على صحة الاسلام وصحة أصوله من الكتاب والسنة ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكفِ بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾

وذكر (ص ١٤٨) كثرة الأحاديث وتوجع من ذلك ، ونقول له ماقال الأول :

وعيرها الواشون أنى أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارُها

اذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

أبو هريرة (ص ١٥١ — ١٩٧)

يحسن بنا فى هذا المقام أن نقول ما علمنا الله سبحانه أن نقوله ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾

وفى الأثر من حديث جابر « اذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليُظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد »

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسبوهم !

وقيل : لما أراد الله دوام الحسنات لهؤلاء الأكابر قيض لهم من يسبهم ليبقى أجرهم متصلا بعد موتهم

وقال الأول :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص ... فهى الشهادة لى بأنى كامل

قدم أبو رية فى ترجمة أبى هريرة (ص ١٥١) مقدمة مفادها : لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام — كالقرآن — لا يقوم إلا عليها ولا يؤاخذ إلا منها . . . لكان أكثر الصحابة رواية لها أعلاهم درجة فى الدين الخ ، وقال : ولكنا نجد الأمر على ما بدا فى كتب الحديث المعروفة — قد جرى على خلاف ذلك . وضرب مثلا بالخلفاء الراشدين وبالعشرة المبشرين بالجنة الذين قالوا إنه ﷺ قد مات وهو عنهم راض ، فانهم مقلون فى الحديث حتى أن بعضهم لم يرو عن الرسول حديثا واحدا اهـ

وعلى هذا فليس للحديث قيمة فى الدين على رأيه ولا حاجة اليه ، وليتعبد المتعبد بالقرآن بما شاء له هواه وما تخيله خياله : صلاة بقيام وسجود واحد قبل ركوع ، ووضوء بلا استنجاء ، بل تبقى المخارج ملوثة بالغائط والبول ، والا فاين فى القرآن الاستنجاء وأين أنواع الحلال والحرام من الأطعمة والألبنة والفروج وأحكام القضاء والشهادات والعتق والكتابة والتدبير الخ

ونقول لأبى رية : إن القرآن لم يحفظه من الصحابة إلا قلة قليلة ليس منها الخلفاء الراشدون ولا العشرة المبشرة بالجنة ، وحافظوه قليل يعدون على الأصابع ، والصحابة يزيدون على مائة ألف ، فهل هذا مما يقلل من قيمة القرآن وأنه لا حاجة فى الدين اليه كما زعمت فى الحديث ؟

فأى ضرر على الحديث إذا اشتغل خالد بن الوليد بالفتوح الاسلامية ومنازلة الأقران فشغله ذلك عن القعود فى حلقة من حلقات الحديث فى المسجد النبوى أو غيره

من المساجد ، مع احترامه للحديث وقبوله ممن يحدث به من الصادقين ، وحبه للحديث النبوى وأسفه على ما فاته منه

وكذلك أبو بكر رضى الله عنه الذى خرج يوم مبايعته بالخلافة ليكتسب لعياله ، حتى رده الصحابة وفرضوا له فى بيت المال ، وقضى خلافته فى حرب المرتدين وردهم إلى حظيرة الاسلام .

ومثله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى قال : لو ضاعت سخلة بالعراق لعددت نفسى مسئولا عنها . وقد اعتذر عن حديث الاستئذان الذى رواه وعمل به أبو موسى أنه شغله عن ذلك الصفق فى الأسواق ، يعنى الاشتغال بطلب الرزق بالتجارة

هل يتصور أبو رية أن رئيس جمهورية فرنسا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة أو مستشار ألمانيا الغربية إذا لم يحط أحدهم علما بما يعلمه أحد طلبة كلية الطب أو أحد طلبة كلية العلوم أو أحد طلبة كلية الهندسة بله أساتذة هذه الكليات ، إذا تصور ذلك فهل يقول إن علوم الطب والطبيعيات والكيمياويات والهندسة لا لزوم لها فى الهيئة الاجتماعية ولا جدوى لها فى الحياة المدنية لأنها لا يعلمها هؤلاء الرؤساء ؟ يقول الله تعالى فى سورة الرعد ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

وفى حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعا « مثل ما بعثنى الله به من الحق والهدى كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها أطايب أمسكت الماء فأنبتت العشب والكلأ ، وكان منها قيعان أمسكت الماء فشرب الناس ورووا ، وكان منها أجادب لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فهذا مثل ما بعثنى الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا »

ونأسف لأبى رية أن كان من القسم الثالث الذى لم يرفع رأسا بما بعث الله به نبيه من الحق والهدى ، بل انحدر الى دركة من صد عن سبيل الله واتبع أعداء الاسلام.

جولد زيهر وفون كريمر وأمثالهما ، وكل ميسر لما خلق له . ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ ، ﴿ قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ ، ﴿ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾

اسم أبى هريرة ونشأته ص ١٥٢ — ١٥٣

لم يعرف اسم أبى هريرة ولا نشأته فكان ذلك جرحا فيه عند أبى رية ، لأنه يريد أن يخرج له بطاقة شخصية باسم أبيه كأنه مجرم متهم من أبى رية باشتغاله بحديث رسول الله ﷺ الذى يزكم منه أنف أبى رية ، وفى المثل : لم يجدوا للورد عيبا فقالوا له : يا أحمر الخدين

واشتهر أبو بكر بكنيته ، وكثير من الناس لا يعرف هل اسمه عثمان أو غيره ، وأنا من هذا الكثير ، فهل يضر هذا أبا بكر الصديق وقد طلعت كنيته مع الشمس وسارت معها شرقا وغربا

يهمز أبو رية أبا هريرة بأنه عاش فقيرا ، وخدم فى لقمة عيشه ، ونزل الصفة منزل فقراء المهاجرين ، وأنه لازم رسول الله ﷺ أو صحبه على ملء بطنه . فياللعيوب أبى هريرة عند أبى رية ! لماذا لم يخلق غنيا ؟ ولماذا يخدم بلقمة عيشه ؟ ولماذا يأكل طعام رسوله ﷺ بدعوته اليه ؟ اللهم إن كانت هذه عيوب رواة حديث رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أبو رية فليس فى الدنيا شىء عنده إلا معيب إلا طبقة الارستقراطيين والمترفين وأعداء الرسل والاصلاح فى كل زمان الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ، ﴿ وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم ﴾

قال أبو رية (ص ١٥٥) : وسجل التاريخ أنه كان أكولا نهما يطعم كل يوم فى بيت.

النبي ﷺ أو فى بيت أحد أصحابه ، حتى كان بعضهم يفر منه

ونسأل الكذاب المفترى أى تاريخ هذا ؟ أتاريخ عبد الحسين الرافضى ؟ أو تاريخ جولد زيهر اليهودى عدو الله ورسوله والناس جميعا ؟ أم تاريخ ابن الكلبى فى مثالب الصحابة ، أو تاريخ لوط بن مخنف الكذاب . وهب أنه تاريخ صحيح ، فهل فى كتب الجرح والتعديل أن الأكل والنهم تردُّ به رواية صاحبه ؟ قرأت مقدمة تقريب التهذيب فى مراتب الجرح والتعديل التى أعلاها : ثقة حافظ ، ثقة إمام ، ثقة ثقة وآخرها : كذاب ، وضاع ، يضع الحديث الخ ، وليس فى واحدة منها النَّهم وكثرة الأكل ! ولو أن شاهدا عدلا شهد أمام قاض وجرحه للشهود عليه بأنه أكول نهم لضحك القاضى والحاضرون من حماقة الجارح ، وقالوا له ليس نهمه وكثرة أكله يجرحه فى عدالته

ومثل ذلك استقراؤه الرجل الآيةَ لينقلب به ويطعمه ، قال أبو رية : ومن أجل ذلك كان جعفر هذا فى رأى أبى هريرة أفضل الصحابة جميعا ، فقدمه على أبى بكر وعمر وعلى وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم جميعا

ياللظلم وللفرية ، من أجل قول أبى هريرة فى جعفر « انه كان خير الناس للمساكين » يكون هذا تفضيلا له على أبى بكر وعمر وعلى وعثمان . هكذا يذهب الهوى والحقد بأهله حتى تقيح قلوبهم على أهل الخير . وقول أبى هريرة فى جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين وحبيب المساكين : ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطىء التراب بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب ، اعتراف بالمعروف واقرار بالجميل ، ومثله قول رسول الله ﷺ « خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده »

وحسبنا فى فضل أبى هريرة أن يلمزه الثعالبى الشيعى فى كتابة ثمار القلوب كما نقله راوية مثالب الصحابة أبو رية فى كتابه (ص ١٥٦) ، والرافضى عبد الحسين (آخر ص ١٥٧) ، ولأبى هريرة أن يتمثل بقول الأول :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

أو بقول الآخر :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى   فلا زال غضبانا علَىّ لئامها

والعجب من أبى رية الذى يشكك فى كتب الحديث ودواوين الاسلام بمثل هذه النقول عن الثعالبى وعبد الحسين الرافضى ويصدق أمثال هذه الموقوذات للنتنة الجائفة

وهب أن أبا هريرة كان يحب المضيرة كما ذكره هذا الكذاب المفترى ويأكلها مع معاوية ويصلى مع على ، فأى جرح فى هذا أيها المبغض لخيار خلق الله تعالى أن يحب حلوى معاوية ويصلى مع على ويهرب عن قتال المسلمين فيطهر سيفه من دمائهم كما فعل عبد الله بن عمر وأمثاله

ولقد عاب المشركون على رسول الله أكله الطعام ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ﴾ وأجاب الله عنه بقوله ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين . ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴾

ألا فليعلم أبو رية أنا نحب الحلوى وكل طعام طيب ، ونحب من يطعمنا ذلك ونثنى عليه ، سواء كان معاوية أو غيره ، ونقول لمبغض أبى هريرة ومعاوية رضى الله عنهما وغيرهما من خيار صحابة النبى ﷺ ما قاله الأول :

وناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وأما تعليقه على حديث « زر غبا تزدد حبا » فى آخر (ص ١٥٨) فحسابه على الله فيما تقول على أبى هريرة . وأنعم بأبى هريرة أن يكون موضع عناية رسول الله وتأديبه ، ويا ليت لنا مثل هذا التأديب ولو بالضرب ونكون قد رأينا رسول الله ﷺ مؤدبا لنا أو رأينا من رآه من خيار أصحابه

وذكر مزاحه وهذره (ص ١٦١) وعد منها حمله لحزمة حطب وهو يومئذ خليفة

لمروان على إمارة المدينة ، ويقو : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك

ما أعذب هذا المزاح ، وإن دميت منه عينا أبي رية . نائب الأمير يحمل حزمة الحطب ولا ينسى أنه أمير . اللهم أكثر من أمثال هؤلاء الأمراء المزاحين ، وإن اغتاظ منهم عبيد الارستقراطية من أمثال أبي رية وأشباهه من الرافضة كعبد الحسين وأمثاله.

وقال أبو رية (ص ١٦١) : ولقد كانوا يتهكمون بروايته ويتندرون عليها . وذكر قول القرشي لأبي هريرة هل سمعت رسول الله يقول في حلتي هذه شيئا ؟ فذكر له قوله ﷺ أن رجلا ممن كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة . وبدا لأبي رية أن الرجل لم يكن مستفهما وإنما كان متهكما اذ لم يقل له انك تحفظ أحاديث ، وإنما قال تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ . قال أبو رية : وسياق الحكاية يدل على أنه كان يهزأ به ويسخر منه !

ونقول لأبي رية : إن هذا منك ظن وافتراء على السائل ، حملك عليه بغض أصحاب رسول الله ﷺ الذي ورثته عن أعدائهم من الرافضة وأمثال جولد زيهر اليهودي عدو الاسلام ، والحساب يوم القيامة بين يدي الله تعالى ، فهل تأدبت يا أبا رية بقول الله تعالى ﴿ ولا تقفُ ما ليس لك به علم ان السمعَ والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ﴾ ولكن الهوى واتباع غير سبيل المؤمنين يأتي بالعجب العجاب

سجلُ سيئات أبي هريرة عند أبي رية أنه كان أكولا نهما يحب مضيرة معاوية ويصلي وراء علي ويهرب في الجبل عند قتال أهل الصفين ، يعني أنه كان محتاطا لدينه فلم تغره حلاوة مضيرة معاوية بالصلاة وراءه بل يحتاط لدينه ويصلي وراء علي ، واحتاط لدينه فلم يلوث سيفه بدماء المسلمين المتقاتلين من أصحاب علي أو معاوية ، فأكرِمْ بذلك الاحتياط للدين . وكان مزّاحاً يحمل حزمة الحطب وهو نائب أمير المدينة ويقول : أوسعوا الطريق للأمير . فلله دره من متواضع لم تطغه نيابة الإمارة ولم تبطره النعمة ، ولا نسي التواضع لله تعالى ولم يتكبر على إخوانه المؤمنين.

أما حب الأكل فكلنا نحب الأكل ، وأنبياء الله صلوات الله عليهم لم يجعلهم الله جسدا لا يأكلون الطعام . وليت شعري هل سلم أبو رية من تهمة الجوع ؟ والأكل اللهم إنا نحب الطعام الطيب وليقل فينا أبو رية ما شاء

وليت شعري ما يقول أبو رية في خروج النبي ﷺ من داره من الجوع ، وخروج أبي بكر وعمر لمثل ذلك ، وذهابهم إلى بستان أبي التيهان وقطعه الرطب والبسر ووضعه أمامهم قال لتتخيروا من رطبه وبسره وذهب يستعذب لهم الماء ، ونهاه رسول الله ﷺ أن لا يذبح حاملا ولا ذات در ، وشوى لهم فأكلوا وشربوا وقال لهم رسول الله : هذا هو النعيم الذي تُسألون عنه ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ وأقسم على ذلك

كثرة أحاديث أبي هريرة ص ١٦٢

قبل أن نخوض في الموضوع نعرض لما ذكر أبو رية (في ص ٣٠) عن وعيد عمر لكعب إذا لم يترك الحديث ليلحقنَّه بأرض القردة ، وذكر هنا (ص ١٦٣) أن هذا الوعيد قاله عمر رضي الله عنه لأبي هريرة ، فأي الخبرين نصدق ما في (ص ٣٠) أو ما في (ص ١٦٣) ؟ وهل الوعيد بالنفي إلى أرض القردة لكعب أو لأبي هريرة ؟

وقديما قيل « إذا كنت كذوبا فكن ذَكورا » ولكن أبا رية كذوب وغير ذكور (وقد روى أن هذا في أبي هريرة وعزاه إلى البداية والنهاية وليس بصحيح) ولا تنس ما نسب لعمر (ص ١١٨) من السقوط في هوة شرك التوسل بالعباس ونفيه عنه بعد ثلاثة أسطر (ص ١٧) أن عمر لم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا اليهودي

فقل لي بربك هل لأبي رية ذاكرة تعي النفي والاثبات لشيء واحد في صفحة واحدة وبين النفي والاثبات ثلاثة أسطر ، نفي وإثبات لشيء واحد في شخص واحد في آن واحد ، أم هو عمى البصيرة جزاء من يقع في خيار الخلق وسلف الأمة وسلك غير سبيل المؤمنين أن يضل الله سعيه فلا يدري ما يثبت مما نفاه ولا ما ينفي مما أثبته ، ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾

ونقل (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقى بن مخلد قد احتوى من حديث أبى هريرة على ٥٣٧٤ حديثا روى البخارى منها ٤٦٦ حديثا . فأنعم وأكرم بالامام أبى عبد الرحمن بقى بن مخلد حافظ الأندلس وإمامها وفخرها ، وبالبخارى فخر المشرقين حفظا وجلالة قدر ، وبأبى محمد بن حزم إمام أهل الظاهر بالأندلس وصاحب المصنفات الممتعة النافعة ، فمن الناس غيرهم ؟ أبو رية حثالة القرن الرابع عشر الذى جاء يتشبه بأعداء الاسلام من أشباه جولد زيهر ؟

قال أبو رية (ص ١٦٣) : أفزعت كثرة رواية أبى هريرة عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له : أكثرتَ يا أبا هريرة من الرواية وأحرِ بك أن تكون كاذبا على رسول الله ﷺ ، ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ فانه ينفيه إلى بلاده . ه

والجواب : أين السند لهذه الفرية ؟ قال ابن المبـــارك : لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء

ثانيا - سلمنا أن لهذا الكلام أصلا ولو فى سراب بقيعة ، وإن كان لقصة عمر مع أبى هريرة ظل من الخيال والوهم فلعمر رضى الله عنه سياسته وأسلوبه فى الاصلاح ، واجتهاداته التى يترحم عليه من أجلها ولا يقلد فيها جميعا بلا استثناء ، فقد نهى عن المتعة والقران فى الحج ليكثر زوار بيت الله الحرام ، وقد جاء الكتاب والسنة الصحيحة بمشروعيتها ، وأبى للجنب أن يتيمم ولو لم يجد الماء شهرا ، وأبى أن تكتب الصحيفة التى طلب رسول الله ﷺ كتابتها فى مرض موته وقال : إن رسول الله ﷺ هجر من شدة المرض ، وقال ابن عباس : إن المصيبة كل المصيبة فيما منع رسول الله ﷺ من كتابة ما كان يريد أن يكتب ، ولا نقول بقول ابن عباس إن فى ذلك مصيبة ولا شبه مصيبة ، إنما كانت تأكيداً لما سبق منه ﷺ مراراً لأمثالها ، ومنها وقف سواد العراق وحرمان فاتحيه من أسهمهم منه حفظا لمن يأتى بعد ذلك من ضعفاء المسلمين ، ومنها

إنكاره على حسان إنشاده الشعر فى المسجد النبوى وسكت لما استشهد حسان بأبى هريرة أنه كان ينشده فى المسجد وفيه من هو خير من عمر - يعنى رسول الله ﷺ - ومنها حديث أبى موسى فى الاستئذان واستغربه عمر حتى أيد أبا موسى فيه أبو سعيد الخدرى واعتذار عمر بأنه ألهاه الصفق فى الأسواق يعنى كسب المعيشة ، ومنها تضارب اجتهاداته فى ميراث الجد مع الإخوة

فلعمر اجتهاده ، وظنه فى أبى هريرة وفزعه من كثرة رواياته ، وللمسلمين جميعا أن يصدقوا أبا هريرة ويخالفوا عمر كما خالفوه فى كثير من اجتهاداته اتباعا لما ثبت فى السنة الصحيحة ، وحسبنا منه مصلحا كبيراً وسياسيا عظيما وعزا للاسلام باسلامه وخلافته ونصحا لله ولرسوله وللخليفة أبى بكر وإن شرق بريقه مبغضوه من الرافضة . ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ونقول لأبى رية : هل تقبل حديث غير أبى هريرة فتهون المصيبة ، أم تردّ الجميع فتعظم مصيبة المسلمين بك وبترّهاتك ؟

نقل الأستاذ أبو رية (ص ١٦٣) عن ابن عساكر عن السائب بن يزيد تهديد عمر لأبى هريرة - إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ - أن يلحقه بأرض دوس أو بأرض القردة . والعجب من أبى رية يريد جرح أبى هريرة بما ينقل من تاريخ ابن عساكر ، فهل يعرف أن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الخطيب وأمثالها عش الموضوعات ، فهل تهدم حصونا مشيدة برميها ببيض العصافير والدجاج ، أو هو الجهل والهوى مجتمعين فى نقّاد الأحاديث فى القرن الرابع عشر أبى رية ومتهم الصادقين من رواة الحديث وحملة العلم النبوى رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بعلومهم ورواياتهم

وقول السيد رشيد رضا رحمه الله (كما نقله أبو رية ص ١٦٣) لو طال عُمْر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت الينا تلك الكثرة الكثيرة ، فنقول لهما معا : اختيار الله لدينه الذى أكمله لنا وارتضاه لنا بإطالة عمر أبى هريرة بعد موت عمر حتى روى لنا هذه الأحاديث الكثيرة خيرٌ لدين الله وأبين لشريعته وسننه

ونحمد الله تعالى مع السيد رشيد رحمه الله على أن مشكلات أحاديث أبى هريرة رضى الله عنه – إن كان فيها مشكل – لا يتوقف على شىء منها اثبات أصل من أصول الدين ، ووجود مشكلات عند بعض الناس فى أحاديث أبى هريرة لا يضيرها ، فقد استشكل بعض الناس شيئا من القرآن وتشابه عليهم ، ولن يضيره شىء من ذلك ، فقد قال الله تعالى ﴿ هو الذى أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾

ودعواه على أبى هريرة (ص ١٦٤) تسويغ كثرة أحاديثه بأنه ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا فانه لا بأس من أن يروى متأيدا بأحاديث رفعها النبى ﷺ من رواية الطبرانى فى الكبير مرفوعا « اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » وحديث « من حدث حديثا هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وإن لم أكن قلته » نقله عن ابن عساكر فى تاريخه – وفى الأحكام لابن حزم مرفوعا « اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق تخذوا به ، حدثت به أو لم أحدث » و « إذا بلغكم عنى حديث يحسن بى أن أقوله فأنا قلته ، وإذا بلغكم عنى حديث لا يحسن أن أقوله فليس منى ولم أقله » أبأمثال هذه المنخنقات والموقوذات الميتات الجائفة النتنة تجرح أبا هريرة وتشكك فى دواوين السنة أيها الضال الجاهل المفترى ، فالله حسيبك ولا حول ولا قوة إلا بالله

رميه لأبى هريرة بالتدليس ص ١٦٤ – ١٦٥

وتدليس أبى هريرة عندهم أن كثيراً من أحاديثه سمعه من كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فيقول : قال رسول الله ﷺ ثقة بمن حدثه من أكابر الصحابة قبل الفتنة وظهور الكذب ، كما قال ابن سيرين : كانوا لا يسألون عن الاسناد قبل الفتنة ، فلما وقعت الفتنة قالوا : هاتوا اذكروا لنا سندكم أو من حدثكم . فأى عيب على أبى هريرة اذا وثق بمثل أبى بكر وعمر وأمثالهما فى الحديث عن رسول الله ﷺ فحدّث عنها بما حدثناه من غير ذكر لهما

هذا أبو رية يعيب على أبى هريرة ثقته بمن وثق به من الصحابة فحدث عنهم ، وأبو رية يذكر عن تاريخ ابن عساكر وعن الطبرانى فى الكبير وهو لم يرهما بعينه وإنما ينقل عمن نقل عنهما ، ثم يأتى بعد ذلك يعيب على أبى هريرة ثقته بكبار الصحابة ويذمه بذلك ، فهل قرأ أبو رية آية ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ الآية

نقل (ص ١٦٥) عن مسلم بن الحجاج عن بشر بن سعيد قوله : لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول الله . وفى رواية : يجعل ما قاله كعب عن رسول الله وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث . اهـ

وأى ذنب على أبى هريرة فى أن يحدِّث بالصواب فيخلط سامعه فيما حدث به ، هل يحمل وزر غيره عليه والله يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، أم ذنبه أنه حدث عن كعب مع ذكره أنه عن كعب ، أم هو الاتهام بالزور والبتهان وتطويل الكتاب بهذه الترهات والاتهامات الباطلة ؟

ساق أبو رية هذه القصة عن مسلم جرحا فى أبى هريره ، ولو كانت جرحا يا أهل الانصاف لما روى مسلم عن أبى هريرة هو وغيره حديثا واحداً ، أما ومرويّات الأئمة مالك والثورى وابن عيينة وأحمد والبخارى ومسلم طافحة بأحاديث أبى هريرة ثقة به وإيمانا بصدق حديثه فليضرب أبو رية رأسه فى صخور الجبال

اول راوية اتهم فى الاسلام ص ١٦٦

نقل أبو رية عن ابن قتيبة فى كتابه مختلف الحديث أن أبا هريرة لما أتى من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين اتهموه وأنكروا عليه وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك ، ومن سمعه معك ؟ وكانت عائشة أشدهم عليه لتطاول

الأيام بها وبه . ومن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلى ، وبذلك كان كما قال النابغة مصطفى صادق الرافعى : أول راوية اتهم فى الاسلام » (ص ١٦٦) . أنا لا أثق بنقل أبى رية عن ابن قتيبة[1] فانه موتور من أبى هريرة بما ورث عن أشباهه من الرافضة بغض رواة الحديث النبوى ، والمتهم كأبى رية إذا ثبت عليه الكذب — كما سيأتى فى تحريفه النقل عن ابن كثير — لا يقبل نقله ، ولو صح أن ابن قتيبة قال إن الصحابة السابقين الأولين اتهموه ، وأن عمر اتهم أبا هريرة بالكذب ، لو صح أن ابن قتيبة قال ذلك لكذبنا ابن قتيبة ومن قلده كأبى رية والرافعى ، فتكذيب هؤلاء أصوب وأهون من تكذيب صحابى جليل كأبى هريرة حفظ الله به على الاسلام ما حفظه من أحاديث نبيه

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه ... فالكل أعداء له وخصوم

ونزيد بحاسديه أبا رية وأمثاله ، لا جلة الصحابة فقد برأهم الله من الحسد

أما دخوله بين أبى هريرة وبين عائشة (آخر ص ١٦٦ ، وأول ص ١٦٧ ثم ص ١٦٨) وقول أبى رية عن أبى هريرة : وردّه عليها لما أنكرت عليه ردا لا أدب فيه فى زعم أبى رية ولا وقار بأنه شغلها عنه ﷺ المرآة والمكحلة ، وفى رواية ما كانت تشغلنى عنه المكحلة والخضاب ولكن أرى ذلك شغلك . ثم عاد أبو رية فزعم أن أبا

---

(١) اطلع أحد الافاضل على هذه الفقرة فكتب ما يأتى :

عبارة ابن قتيبة (١ : ٢٧) فى سياق مقالات النظّام :

« وذكر (النظام) أبا هريرة فقال : أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة . . . »

ثم قال ابن قتيبة ص ٤٨ :

« واما طعنه على أبى هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلى وعائشة له فان ابا هريرة صحب رسول الله ﷺ فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه . . . . اتهموه وانكروا عليه . . . . فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله ﷺ أمسكوا عنه »

فزاعم التكذيب هو النظام

هريرة عاد فشهد بأنها أعلم منه ، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها ، ذلك أنه لما روى حديث « من أصبح جنبا فلا صوم له » أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم ، وبعث اليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء وقال : إنها أعلم منى ، وأنا لم أسمعه من النبى وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، فاستشهد ميتا ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ﷺ ، كما قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث . »

ويقال لأبى رية : أنت هو قليل الأدب والوقار والاحترام لأصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم عنك ص ٦٢ ، فقليل الأدب والوقار هو أبو رية ، وضغنه على الصحابة ومنهم أبو هريرة وحقده عليهم يفيض من قلبه ويسيل على قلمه ، فقد ورث ذلك عن أعداء الاسلام جولد زيهر والرافضة والزيدى بل الرافضى ، ويتناقض ولا يحس بتناقضه . وقد سبق لنا بيان شيء من ضغنه على أصحاب رسول الله ﷺ فى ص ٦٢ ، ولو صدر هذا عن دعاة الديانات الأخرى ومبشريها لكان كثيراً ، فكيف بصدوره عن منسوب إلى الاسلام . وقد نقل فى حاشيته ص ١٦٧ أن القصة عن اختلاف الحديث للشافعى — ولعل أبا رية لم يره — أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم ، فقد قال ذلك أبو هريرة ولم يعزه للنبى ﷺ ، واعتذر أنه سمع ذلك من الفضل بن عباس لحسن الظن به وقال بقوله

ثم يأتى بعد ذلك أبو رية مبغض الصحابة ومنهم أبو هريرة فيزعم زورا وبهتانا على أبى هريرة أنه عزا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وأنه استشهد ميتا هو الفضل بن عباس

فانظر كيف يحمل بغض الصحابة أبا رية من على افترائه عليهم . والقصة كما نقلها أبو رية من اختلاف الحديث للشافعى وهى كذلك فى موطأ الامام مالك أن أبا هريرة وثق برأى للفضل بن عباس فأفتى به ثم تبين له من أعلم الناس بحال رسول الله فى مثل

هذه المسألة من أحكام الجنابة والصوم والغسل بعد الفجر ، فرجع اليه واعترف به ، وليس في ذلك إلا الاذعان للحق من أهله ، وليس فيه استخذاء أيها الوقح السفيه . فالمسألة كثيرة الوقوع ، يفتي الصحابي برأى عن اجتهاد ثم تبلغه السنة فينقاد لها ويرجع عن رأيه واجتهاده ولا ذل هناك ولا استخذاء إلا عند السفهاء أعداء رسول الله ﷺ وأصحابه ، إن أبا هريرة لم يوهم الناس أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ كما زعمته عليه في هذه الدعوى ، وأنت متهم في النقل ، فقد جربنا غشك فيه عندما نقلت عن ابن كثير فيما حدث به أبو هريرة في سد يأجوج ومأجوج ، واتهمت أبا هريرة بأن ابن كثير اتهم أبا هريرة أنه حدث به عن رسول الله ، وإنما سمعه من كعب ، ورجعنا إلى ابن كثير وإذا هو ينسب الوهم فيه إلى من سمع أبا هريرة لا إلى ابي هريرة كما سيأتي ذلك مفصلا في موضعه

وكذلك نقلك (ص ١٦٨) عن علي رضي الله عنه أنه كان سيء الرأى في أبي هريرة وقال عنه إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء عَلَى رسول الله ﷺ لأبو هريرة ، كذب مفضوح أخذته عن عبد الحسين وأمثاله من الرافضة مبغضي أصحاب رسول الله ﷺ وقلنا سابقا في المتن « أكذب وأبعد شاهدك » وكيف ساغ لعلي أن يسكت على أكذب الناس على رسول الله ؟ أما كان له حبس أو تعزير أو قتل أو صلب أكذب الناس على رسول الله ﷺ ؟

وقد أثبت الجرح والتعديل والتاريخ الصحيح أن غلاة الشيعة الذين يتشيعون لعلي هم الذين أفسدوا علم عليّ بمفترياتهم عليه ، وعلماء الحديث لا يقبلون عن علي إلا ما رواه ثقات أصحاب ابن مسعود الأسود وطبقته

وقول أبي هريرة « حدثني خليلي » يعني النبي ﷺ لا تكون شجى إلا في خلق الرافضة وغلاه الشيعة ممن يبغضون أبا هريرة والصحابة وبالتالي يبغضون نبي الاسلام ومن يحبه

وحديث غسل اليدين اذا استيقظ النائم فانه لا يدرى أين باتت يده لا يضره توقف عائشة فيه إن صح عنها هذا التوقف من غير طريق الكذابين الذين يقلدهم أبو رية

ولا عذر لعائشة في مهراسها فيمكنها أن تغترف منه باناء صغير أو إداوة ولا يخالف نهي رسول الله ﷺ

والدعوى على الزبير (آخر ص ١٦٨) أنه لما سمع أحاديث أبي هريرة قال صدق وكذب ، من نوع أمثالها من المفتريات ، وتراجع لذلك البداية والنهاية (ص ١٠٩ ج ٨) فأبو رية غير مأمون في النقل ولا برىء من تحريف الكلم عن مواضعه كساداته من اليهود أمثال جولد زيهر ، وسيأتيك مثال لذلك في موضعه حينما نقل به مايظنه شاهدا في جرح ابي هريرة ، وعمى عما هو عليه أن الغلط ممن سمع من أبي هريرة

ونقله عن مختلف الحديث عن أبي حسان الاعرج عن عائشة قولها عن أبي هريرة إنه كذب في حديث إنما الطيرة في المراة والدابة والدار (اول ص ١٦٩) يراجع مختلف الحديث في ذلك ، فان صح النقل عنه فيكون مثل حديث من الأحاديث التي توقفت فيها عائشة ، مثل حديث عذاب الميت بالبكاء عليه وحديث أهل قليب بدر « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » وحديث قطع الصلاة بالمرأة والكلب والحمار وأمثالها ، نصدقها رضي الله عنها فيما روت ونخالفها فيما ردت من أحاديث الثقات رضي الله عنها ونقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وسيجتمعون يوم القيامة على الصراط على قنطرة الصفا ويصفى ما بينهم من خصومة ويدخلون الجنة إخوانا على سرر متقابلين

ونقول للمرتاب في سنة رسول الله ﷺ : إذا محونا أحاديث أبي هريرة من دواوين الاسلام فهل تقبل أنت أحاديث غيره كأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة والخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة ـ إن قبلت أحاديث هؤلاء هان الخطب في شكك في أحاديث أبي هريرة ولم ينقص من الدين شيء كثير ، وإن كان الكل عندك سواء فأبعدك الله عن دين الإسلام وعن سبيل المؤمنين ، وألحقك بأعدائه جولد زيهر واضرابه

وحديث « من غسل ميتا فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ » إن كان انكره ابن مسعود

وقال فيه قولا شديداً كما زعم أبو رية (ص ١٦٩) فقد قبله العلماء وترضوا على ابن مسعود الذى عاش يرى تطبيق الكفين بين الركبتين عند الركوع ويقف إماما صفا واحدا بين مأمومين وصحت السنة بخلاف عمله فى التطبيق ووقوفه صفا مع مأمومين ، وأخذ العلماء بحديث الغسل من غسل الميت والوضوء من حمله وجوبا أو استحبابا ولم يعتبروا إنكار ابن مسعود له إن صح هذا الانكار عذرا فى مخالفة الحديث ، كذلك حديث الاضطجاع بين ركعتى الفجر وصلاة الفجر أخذ به العلماء ، منهم من أوجبه كابن حزم وأبطل صلاة من لم يعمل به ، ومنهم من استحبه لحديث عائشة : ان كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة اضطجع حتى يؤذن المؤذن ، ولا ضير على أبى هريرة فى روايته لحديث رواه فأدّاه كما سمعه وإن استغربه بعض ، على أن لفظ الأمر بالاضجاع استنكره ابن القيم من رواية عبد الواحد بن زياد البصرى فبرئ منهم أبو هريرة ، وأما أبو حنيفة فلو لم يستشهد به أبو رية فى المنكرين على أحاديث أبى هريرة لكان خيراً لأبى رية ولأبى حنيفة نفسه ورحم الله من رأى عيبا فستره ، ولكنا سنضطر لذكر شىء عن أبى حنيفة ما دام قد زج به أبو رية فيمن أنكر على أحاديث أبى هريرة (آخر ص ١٦٩ وأول ص ١٧٠) فلا بد لنا من كلمة عابرة فى ذلك ليظهر الحق من الباطل :

(أولا) قبل حديث أبى هريرة من الأئمة مالك والثورى وابن عيينة والحمادان ابن زيد وابن سلمة وأحمد بن حنبل والشافعى والبخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى فمن بعدهم من علماء الحديث ، فمن الناس بعدهم ؟ ومن أبو حنيفة بجانب هؤلاء الأئمة بمجموعهم وهو لم يدرك شأوهم فى هذا ، وحسبنا فى أبى حنيفة قول صاحبه ابن المبارك : كان يتيما فى الحديث . وقول مالك فيه : رأىُ أبى حنيفة الداء العضال . وقول الثورى أو غيره فيمن استشهد بأبى حنيفة : أحلتنى على غير ملىء

وتاريخ الخطيب البغدادى استوفى كلام الناس فى أبى حنيفة قدحا ومدحا ، ورجح قول جارحيه ، وأشار الحافظ ابن عبد البر فى كتابه الانتقاء إلى شىء من ذلك

ومن لطيف ما يروى عن أبى حنيفة فى رد حديث « البيعان بالخيار مالم يتفرقا » قال : أرأيت ان كانا فى سفينة ، أرأيت ان كانا فى سجن ، أرأيت أرأيت من أمثال الترهات التى لا ترد بها الأحاديث . وقال ابن عمر لمن روى له حديثا فقال : أرأيت ان كان كذا ؟ اعتذارا لعدم العمل بالحديث ، فقال له ابن عمر : اجعل ارأيت باليمن . يعنى واعمل بالحديث قدر ما تستطيع

وروى لأبى حنيفة حديث « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » فقال أبو حنيفة : من أصحابى من يبول قلتين — ولا ندرى يريد جمع بول أحد أصحابه فى أسبوع أو فى شهر حتى يتجمع منه قلتان . ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ ، واغفر لأئمة الاسلام ، وحملة العلم النبوى

ونعيد ما سبق لنا فنقول لأبى رية : هل ترفض أحاديث أبى هريرة خاصة أو سائر احاديث الصحابة عامة ؟ فان رفضت الجميع فسبيلك سبيل أعداء الاسلام من الرافضة والمستشرقين والمبشرين المرتزقين من التشويش عليه ، وإن رفضت احاديث أبى هريرة وحده هان الأمر وكانت خصومتك يوم القيامة معه ومع من شوشت عليهم فى أحاديث هذا الصحابى الجليل ، وإن غداً لناظره قريب

وقول إبراهيم النخعى عن اصحابه إنهم كانوا يَدَعون من حديث ابى هريرة (ص ١٧٠) ، وقوله الآخر ما كانوا يأخذون بكل حديث ابى هريرة ، واصحاب إبراهيم هم أهل الرأى جماعة أبى حنيفة ، ونقله عن أبى حنيفة (ص ١٧٠) عدالة الصحابة ما عدا رجالا وعدَّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك ، إن صح هذا النقل عن أبى حنيفة كان جرحا فيه ولا ينفعه قول أبى رية إنه ولد فى المائة الأولى سنة ٨٠ ، ودعواه أنه أدرك الصحابة كل هذا لا ينفعه ، فالروافض ولدوا فى المائة الأولى ، وعبد الله بن سبأ اليهودى أدرك عليا والصحابة ، وكعب الأحبار ووهب بن منبه والذين شهرتَ بهم أدركوا الصحابة

المنتزعة من طبيعة الوجود وحقيقة الواقع وعلم الفسيولوجيا والبيولوجيا.
ولا يسوأنك ماذكرت الكاتبة مكرراً من لفظ «الطبيعة» وظلها ونحوها فهى ترد باطل المدافعين عن تبرج النساء بلسانهم وتعبيراتهم لا بلسان الدين وعباراته

ولها كلمة أخرى فى آخر مقال « الاسبانيات فى المدرسة والبيت » فى هلال ديسمبر سنة ١٩٤٧ قالت

« ألا ليت قومى يعلمون أن المرأة الغربية لم تترك بيتها راضية ، ولم تحترف عن رغبة وهوى ، وانما أُخرجت من البيت تحت ضغط عنيف من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة ، واحترفت عن حاجة واضطرار ؛ وهى بعد لاتزال تحن إلى البيت الذى حُرمت منه ، وترى فيه نعيمها المفقود وحلمها الجميل

« ألا ليتهم يعلمون أن فى الغرب مذاهب سياسية واجتماعية نأت بالأنوثة عن صخب المعترك السياسى وغبار الطرقات وشذوذ المساواة ، وأبقتها فى دنياها موضع العزة وجمال البيت وصانعة الأبناء وأنثى الحياة» اه

ولو كان هؤلاء الدعاة إلى الدعارة والفجور واختلاط الجنسين يكفيهم قال الله تعالى . قال رسوله ﷺ . قال العلماء — لما احتجنا إلى كل هذه التطويلات من كلام أهل العقل والتجربة ومقررات علم منافع الأعضاء

وفى قولها فى وصف لبن الأم بأنه النبع الالهى لغذاء الطفل وكذلك استشهادها بما أقرته الشريعة الاسلامية من حقوق المرأة المدنية ، ودفاعها عما قرره الدين والفطرة والعقل من صيانة المرأة وحجابها — دليل إيمان

الكاتبة وعقلها ، وحبها للفضيلة والخلق الكريم ، على خلاف ما دعا اليه كاتب الأغلال من تبرج المرأة واختلاطها بالرجال وما يتبع ذلك من فسق وفجور وانحلال ، عمياً عن آداب الديانات والشرائع وقوانين الفطرة والحياة والوجود ، ودعائم الأخلاق والحشمة والعفة ، وما جره التبرج والفجور والاختلاط مما يندى له جبين المروءة والحياء والخلق الكريم

ولقد حدثنى وجيه جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف عن سفير إيطاليا بها أنه قال له : أحب من دينكم أمرين :

(١) تحريم اختلاط الرجال بالنساء (٢) تحريم الربا

وقال السفير : كيف أثق بامرأتى تذهب مع شاب صديق أو خليل لها فى رحلة إلى جبال الالب عدة أيام أو أسابيع : شاب مكتمل الرجولة والفتوة والحيوية ؟ ثم مدح تحريم الاسلام للربا وحثه على إقراض المحتاج وإمهاله بدون قصم ظهر معيشته بالربا

قال الوجيه : زوّج أحد اللوردات بنته فوُجدت بكراً فشكرها أبوها على محافظتها على بكارتها وقدم لها هدية لذلك . فضربت على عجيزتها وقالت له : اشكر هذه فهى سبب حفظ هذا .

وذكر لى أحد المختلطين بالانكليز عنهم أنهم لايعرفون بكارة البنت ويقولون هل تعرف بكارة للشبان فتعرف بكارة للفتيات ؟

وذكر أن امرأة سفير فرنسا كانت تعشق سكرتير السفارة فكانت تخلو به فى حجرته فاذا طرق السفير عليهم أجابت ارجع فسآتيك تمنى بعد الفراغ من خلوتها بخدنها . فهل هذا مايدعونا اليه كاتب الأغلال؟

وتهكم الصاوى الـكاتب فى أخبار الدنيا تحت عنوان هل صرنا أقل من الصين ؟ حينما منعت الرقص المزدوج ، فتهكم بغـيرة الأزواج الذين يرون زوجاتهم تتنقلن من ذراع خدين إلى ذراع آخر وهن مخمورات بخمرة الهوى وخمر المدامة . فأى إنسانية هذه ؟ أم هى حيوانية المدنيـة المادية الدهرية الفاسقة الفاجرة التى انطلقت من كل حياء وحشمـــة وخلق إنساني .

إن تعليم المرأة الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق وشيئا من قوانين الصحة وتدبير المنزل ومبادىء العلوم مع الحشمة وعدم الاختلاط ، أمر لا يجادل فى حسنه وطلبه ووجوبه عاقل . أما فن الرقص والغناء والاستحمام المختلط على الشواطىء ، دع زيارة المسارح والسينمات والمواخير والخلاعة والمجون . فهذا فلينصح به كاتب الأغلال لمن يحب ، وعليه أن يبدأ به فى بيته وذويه ليقتدى به المعجبون به وبعبقريته ونبوغه كمن ناصروه فى صحف مصر وأطروا كتابه

وقد أبان معالى عشماوى باشا فى حديثه مع مراسل الأمانة (شعبان ١٣٦٦) حيرة العقلاء فيما وصلت اليه حالة المرأة المتعلمة إذ يقول «أم أتكلم فى مشكلة المرأة المثقفة وقد وقفت عند مفترق الطرق بعد أن تهيأ لها إعداد مضطرب ارتجلناه بغير غاية معروفة أو رسالة مرسومة »

***

يريد كاتب الأغلال فى كتابه (ص١١٩) أن يصور الرسول الكامل فى جسده وروحه ،فى قواه البدنية والخلقية والروحية إنساناً فاتر الجسم

واهى القوى بليد الهمة صوفياً هندوسياً ، أو راهباً نصرانياً ، فيستبعد عليه تفوقه فى القوى الجنسيـة ويظنها منافيـة لما بعث له من جـلائل الأعمال . ولعله تأثر فى ذلك بما كتبه المضللون المغرضون من دعاة النصرانية فى رميهم للنبي الكريم بأنه شهوانى ، ولـكن الله الذى أكمل خلق رسوله وخُلقه وجسده وروحه أعلم منهم ومن كاتب الاغلال بما فطر عليه نبيه من التفوق فى كل كمال بدني وروحى إذ يقول (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن اراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) فهذه الاباحة للزواج التى لا حد لها من رب النبي وخالقه لا تكون عبثاً ولا لغواً إلا عنـد من لا يؤمن بالقرآن ولم يعرف الرسول ولا رب الرسول

وعهدنا بالـكاتب فى كتابه ذم التجرد والزهد والمعنويات والمرض وتقديس القسوة والمادة والصحة والعافية وما اليها ، فما باله اختار هنا للرسول ما هجنه واستقبحه ، وباعده عما دعا اليه وألف كتابه له ؟ وعقلاء الناس على خلاف الـكتاب يرون أن كمال القوة الجنسية والنزعات الجسدية والشهوات البدنية ، لا تتنافى مع سمو الأخلاق وعظمة العظماء ، وبطولة الابطال . وها هو ذا (جون سيتوارت ميل) الانكليزى يقول فى كتابه « الحرية » تعريب طه السباعى باشا (ص١٠٢)

« إن الشهوات والنزعات ليست إلا جزءاً متمما وركنا جوهريا من

صفات الانسان الكامل شأن الروادع والمعتقدات كحذوك النعل بالنعل .
وليس يخشى من طغيان النزعات إلا عند اختلال توازنها ، أعنى عند
ماتشتد طائفة من الميول والأغراض مع بقاء غيرها مما كان يجب أن يجاريها
فى القوة ضعيفاً معطلا . والسبب الحقيقى فيما يقترفه الناس من القبائح
ليس قوة الشهوات ولكنه ضعف الضمائر . وليس هناك تلازم طبيعى بين
قوة الشهوة وضعف الضمير ، بل الأمر على عكس ذلك ، فانك إذا وصفت
امرأ بالتفوق على غيره فى قوة العواطف وتنوع الشهوات فكأنك تسلم
بأن نصيبه من مواد الفطرة البشرية أوفر وأجزل : فهو لذلك أقدر ولا
شك على عمل الخير وإن يكن أقدر على ارتكاب الشر ، وما قوة النزعات
إلا اسم آخر للنشاط والهمة وقد تصرف الهمة إلى فاسد الاغراض ؛
ولكن لا مشاحة فى أن الطبيعة الموصوفة بالهمة والنشاط هى أبداً أقدر
على جلائل الامور ومحاسن الافعال من الطبيعة الموصوفة بالبلادة والجمود
وان توقد الاحساس الذى هو مصدر قوة العواطف وحدّة النزعات لهو
أيضاً مصدر أشد ما يعرف من حب الفضيلة وأبلغ ما يوصف من ضبط
النفس . ولن يستطيع المجتمع أن يؤدى فروضه ويصون مصالحه إلا
بتربية قوة الاحساس هذه وإذكاء جمرتها

ولا عجب فما هى إلا المادة الخام التى منها تصور طبائع الابطال
وتصاغ نفوس النوابغ فكيف يوفق المجتمع إلى غرضه إذا نبذ هذه المادة
جهلا منه بطريقة الانتفاع بها وتصوير الابطال منها . إن الشخص الذى
تكون شهواته ونزعاته خاصة بنفسه معبرة عن طبيعته جدير أن يكون من

ذوى الاخلاق . أما الذى لا تكون شهواته ونزعاته على هذه الصفة من
الاستقلال فليس له من الخلق إلا مقدار ما يكون للآلة البخارية . فاذا
كانت عواطف المرء قوية فضلا عن كونها مستقلة ثم كانت له إرادة
حازمة تتسلط على شهواته وبصيرة ثاقبة تتصرف بعواطفه فهو من ذوى
الأخلاق والعزيمة ؛ وكل من يزعم أن استقلال الشهوات والنزعات غير
جدير بالتنشيط فانما يقول بأن المجتمع ليس بحاجة إلى قوة الشكيمة ،
وشدة المراس ، وأنه لا يستفيد خيرا من ذوى الأخلاق الكبيرة ؛ وأن
علو الهمة ليس من الحسنات المنشودة »

انتهى كلام هذا العالم الاجتماعى الأخلاقى الانكليزى ، وهو جدير
بالاعتبار وهو شهادة عدل على صحة ما جاء فى الاحاديث الصحيحة مما
اختص الله سبحانه رسوله ﷺ وهو المثل الكامل من كمال خَلقه وخُلقه
وقوة عواطفه وسجاياه البدنية والروحية إذ يقول « حُبب إلىّ من
دنياكم الطيب والنساء ، وجُعلت قرة عينى فى الصلاة » فجمع له بين كمال
البدن والروح . ويقول « لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم
وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » وقيامه بحقوق أزواجه
وإعفافه لهن وهن يزدن على تسع أمر لا يشك فيه مسلم . وإباحة الله له
ماشاء من النساء وما دلت عليه الاحاديث من قوة بدنه وروحه ، وما
اختص به من تفوق القوة الجنسية : تكتسح ظلمات الكاتب وما استند
اليه من شعر الأخطل وخطله وتجنيه على علم النفس والاخلاق ، وخوضه
فيما لا يحسن سباحته لينتقص ما حبا الله به نبيه ﷺ من كمالات جسدية

وروحية ليتم له ما رمى اليه فى كتابه من إنكار فضل الله على خلقه واختصاصه من شاء منهم بما يبدد أوهام المادية الدهرية العابدة لحتمية الأسباب ، الجاحدة لآيات الله الخارقة لنظام الطبيعة المرغمة لأنوف عبادها

وإن أعجب لهوس الكاتب لتلك الخيالات التى رد بها ما اختص الله به نبيه من قوة البدن والعواطف والتفوق الجنسى ، فعجبي أشد من استدلاله على ذلك بحديث « كان إذا دخل العشر شد المئزر » فهذا هو النباء أو الهوى : سحب حكم عشر من الدهر على أيام الدهر أو الحكم بثلث شهر على ١٢ شهراً ، أو رد عدة أحاديث مشتهرة صحيحة عند أهلها بمفهوم خاطىء مخطىء لحديث شد المئزر . ثم الوقاحة والسفاهة برمى حفاظ الأمة وأمناء الشريعة بالهوس الجنسى . الى آخر ما سمح به أدبه معهم

وهذا الكاتب الاجتماعى الانكليزى — وكاتب الاغلال يطرى الانكليز فى كتابه ويتغنى بفضائلهم — قد قرر ما نقلناه عنه فهل يلحقه فى رميه بالهوس الجنسى بمن رماهم به من حفاظ الاسلام ورواة الاحاديث أو يجبن ويتخاذل عن ذلك ؟

أحب أن أسمع مايقول فيه إن كان عنده شجاعة علمية أدبية حتى نعرف أن الكاتب ثائر ناقم على كل حق حيثما كان وأينما وجد . والذى يظهر لنا أنه جن فى رد كل ما هو إسلامى دينى ليخيط بدله مزقا دهرية لوبونية طبيعية .

وقد سمعت قرار الفكر الانكليزى فى المسألة فاسمع خلاصة أمريكية فى ذلك حتى تسمع تأييد الاسلام من شرق الارض وغربها كما قال الله

تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد) (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون)

أما الأمريكى فهو مؤلف كتاب (الانسان ، ذلك العالم المجهول) وهو حائز جائزة نوبل فى العلوم الطبية ، وقد لخص المختار مقاله ، وهو أعرف وأوثق معرفة بقوى الانسان ومنافع أعضائه اذ قرر ان إفراز الخصيتين الداخلى فى الدم مما يقوى العقل ؛ وأن العظماء من القواد والساسة والحكماء كانوا أقوى فى العاطفة الجنسية من غيرهم ، وأن اثر ضعف الخصيان فى القوى العقلية أمر مشاهد : بخلاف كاتب الاغلال إذ كذب بما لم يحط به علمه ولم يتصوره فهمه ، وكذب الرواة والمحدثين فيما نقلوا من قوة النبي ﷺ (١) وكذب أنساً خادم النبي ﷺ فى روايته طواف النبي ﷺ على نسائه فى ليلة واحدة بغسل واحد (ص ١٢٠) ورمى الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ بالهوس الجنسى وتلفيق الروايات فى قوة جماعه ﷺ الخ البذاءات التى تليق بأدب هذا الكاتب وتربيته ومنبته وتمرده على المجتمع الاسلامى وليس الحافظ ابن حجر بأعظم من البخارى امام الدنيا فى حفظ حديث رسول الله ومعرفة صحيحه ، فقد رماه الكاتب بالجهل بالحديث ، وأنه يروى

(١) كقوته ﷺ فى سائر المواهب الجسدية والروحية والخلقية فهو الانسان الكامل فى كل المواهب الانسانية حسية ومعنوية ولو عقل الكاتب حكمة إباحة الله له التزوج بعدد لا يحد من النساء لما استبعد وكذب ماجاء من الروايات فيما خصه الله به من القدرة الجنسية التى فاق بها الناس حتى أبيح له من النساء مالم يبح لغيره . حكمة تتعالى عن العبث والسفه .

الحديث الموضوع — المكذوب — وهو لا يعرف وضعه وكذبه. صرح
بهذا شفاها فى دار وجيه جدة الافندى محمد نصيف بحضور صاحب الدار
وولده الأديب حسين افندى نصيف وغيرهم من حاضرى المجلس حينما انجر
بحثى معه فى مسألة سأذكرها بعد إلى الاستدلال بحديث رواه البخارى،
فما تلكأ ولا تلعثم عن وصف البخارى بما نقلته عنه حرفياً — بلى ليس
البخارى بأعظم من صحابة النبى ﷺ الذى فضل عليهم الاستعمار الانكليزى
بشهادة كاتب شهد عليه بذلك فى داره هو سيد افندى قطب رئيس قلم
التأليف بوزارة المعارف المصرية، بل الصحابة ليسوا بأفضل من أنبياء بنى
إسرائيل وأنبياء المتدينين عموماً على اختلاف أجناسهم إذ رماهم بتأخير
الانسانية وعرقلة سير الحياة الخ. بله أن الايمان بالله الذى جعله نكبة على
البشر والايمان بالآخرة الذى جعله مؤخرا للمؤمنين بها عن اللحاق بركب الحياة

وهذا كله كان غريبا قبل أن نعرف اهدافه ومراميه التى كشف عنها
كتابه (الأغلال) من مادية لا روح فيها ودهرية لا خالق لها، ونواميس
صارمة لا آيات ولا خوارق ولا معجزات ولا قدرة خالق ولا اختيار
له فيها. والديانات التى تقول بغير هذا أغلال تؤخر سير الحياة وتعرقل
ركب الأحياء عند الكاتب .

وبالجملة تلخيص مشوه أو مبسط لالحاد لوبون وأضرابه من ماديى
القرن التاسع عشر وما قبله ثم تمزيق دين الاسلام خرقاً ورقاعاً لتلبسه تلك
الفلسفة العفنة التى عافها الناس واستهجنوها وعدوها آراء صبيانية أطفالية.
وسأحاول اختصار تلك الكلمة العجلى التى شغلتنى عن أعمالى زهاء أسبوعين

فليس من غرضى استيعاب الكتاب الطويل الممل فقد كشفت عن
أساسه ودعائمه، وعمده وأركانه التى تتلخص فى هاتين الحكايتين — ومن
أعطاك مفاتيح دار فقد أمكنك من معرفة ما فيها :

(١) ذهب أديب لموادعة صديق امريكى مسافر بطائرة فكان
فى الوداع أن قال له : تصحبك السلامة باذن الله ومعونته ، فقال الأمريكى :
الله ماله شغل فى هذا ! ! قال المودع : يحفظ الطيارة من السقوط ومن
العواصف مثلا . قال الأمريكى إن سقطت فمن هذا المغفل — وأشار إلى
سائقها — الله ماله شغل فى هذا . فكتاب الأغلال تبسيط وشرح لهذه
الحكاية الأمريكية .

(٢) ذهب جحا (١) لشراء حمار من السوق فسئل أين تذهب ؟ قال
أشترى حماراً من السوق قيل له قل ان شاء الله قال ليه ولماذا أقول ذلك ؟
الحمار فى السوق والثمن فى جيبى . ولما دخل السوق رزىء بلص سرق
نقوده فلما رجع قيل له أين الحمار ؟ قال إن شاء الله ضاعت النقود، فقيل له
كان ذلك من أول . وضحك الناس عليه .

وفلسفة كتاب الأغلال هى فكرة جحا وهو ذاهب لشراء الحمار
ولكن جحا انتبه إلى الحق بعد ضياع دراهمه فهل يرجع صاحب الأغلال
ولو بعد خراب مالطة وبعد ما أفسد ما أفسد من أفكار قراء كتابه ؟

---

(١) جحا اسم لشخصية هزلية مجونية تنسب إليها حكايات مضحكة لها
مغزى أدبى خلقى واختلف الناس فيه هل شخصيته خرافية أو له وجود تاريخى
وفى سوق الوراقين تباع كتب باسم نوادر جحا .

الله أعلم بشؤون خلقه ولله فى خلقه واضلالهم حِكم كحكمه فى خلق إبليس وإنظاره لاضلال خلقه .

فات أحد كبار الانكليز شىء عزم عليه فقيل له لو قلت إن شاء الله لحصل ، فكان يقول إن شاء الله حتى فيما مضى فيقول عملت كذا أمس إن شاء الله تعالى ، وأظنه المستر كوكس مهندس خزان أسوان الشهير بمصر

أقول سأختصر الكلمة بذكر فرع من فروع مادية الكاتب وهو إنكار تمثل الجن وتصورهم بصور ، وقد جرى بينى وبينه بحث فى ذلك نخصه فى كتابه ص ٢٠١ س ٢٩

« ومنذ شهور قليلة قام بينى وبين انسان عالم نزاع فى هذا وقد زعم هو بأن العفاريت يتصرفون فى هذه الدنيا وأنه يعرف إنسانا كانوا يخدمونه ويحضرون له الفاكهة من بلاد أخرى فى أوقات تفقد فيها الفواكه وانهم ـ أى العفاريت ـ نقلوا له البراميل من بلدة إلى أخرى »

أقول : أنا ذلك الانسان العالم الذى عناه ، والذى قام بينى وبينه ذلك البحث الذى رواه مشوهاً ، ولم يذكر ما استدللت به من آيات وأحاديث منها حديث البخارى « إن شيطاناً تفلّت على النبى ﷺ ليفسد عليه صلاته فأمسكه الرسول وخنقه حتى أحس برد لسانه وهمّ ليربطه فى سارية المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة ، فذكر دعوة أخيه سليمان (وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى) فأطلقه » فما كان من الكاتب إلا أن رمى البخارى بالجهل بالأحاديث ، وأنه يروى فى صحيحه الحديث الموضوع وهو لايعرف أنه موضوع . وانفصل الحديث عند هذا الحد إذ لم نكن

ندرى ما وراء الأكمة وما يخفيه الكاتب فى أغلاله من الكفر بالله واليوم الآخر والملائكة والجن والرسل والديانات كلها حتى أعلنه فى كتابه الأغلال . وسواء آمن بتمثل الجن وتصورهم أو لم يؤمن ، وصدق ما أخبر الله عنهم فى عصر سليمان وغيره ، وان منهم البنائين والغواصين والمقرنين فى الأصفاد ، ومن عرض على سليمان نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين أو لم يصدق . وسواء صدق الأحاديث فى ذلك أو لم يصدق ، وما توارثه الناس قديماً وحديثاً مما بلغ مبلغ التواتر الذى لاينكره إلا مكابر مباهت حتى فى عصر المادة هذا يوجد فى عقلائه من يروى ما وقع من غرائب الحوادث التى لا يعقلها من لم يؤمن بعالم الغيب ويصدقها المؤمنون به

ولقد كان عقلاء الماديين أعقل من كاتب الأغلال وأبعد عن السخف فاذا رأوا شيئاً لا يفهمونه ، أو صحت عندهم رواية لا تنطبق على قواعدهم المادية ، قالوا : هذا شىء لم نعرف وجهه ، ولم يكذبوا به ولا بروايته ، واستحيوا من العناد والمكابرة والبهت وإغماض العين لانكار ضوء النهار. ولك أن تطلع على ما يختاره « المختار » من حين إلى آخر ، آخرها مقال « قصة شبح » فى عدد يوليو (سنة ١٩٤٧) وراويه عن نفسه رجل من عظماء الانكليز معتمد الحكومة الانكليزية فى فرنسا . فصدقه أو كذّبه . وقبلها فى عدد مارس (سنة ١٩٤٧) من مجلة المختار بعنوان (رأيت ملك الجحيم) فيها تمثل الشياطين فى غابة من غابات التبت .

وكل ذلك فرع المسألة الأصلية : الايمان بالغيب ، بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، جنته وناره وحشره ونشره ، وقضاء الله وقدره على

ألوجه الذى آمن به المؤمنون الأولون : الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان إلى يوم القيامة . أم الكفر بذلك وتفسيره تفسيراً ماديا دهريا لوبونياً طبيعياً وجودياً على ظلمات فلسفة القرن التاسع عشر ،وإن ظن أنه يخدع الناس بذكر الأسماء الدينية وينزلها على مراده الذى اخترعه وحرفه من دين المادة والطبيعة والكون الآلى (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

قال آخر (ص ٢٠٥)

« وليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح وبالجان ، وبكل ماجاء عن الله ورسوله ، ولكننا ننكر الفوضى وننكر أن يكون الله قد ترك خلقه بلا نظام وبلا قانون يلزمهم الحدود ويريهم السبيل ، أو أن يكون قد تخلى عنهم للفوضى والطغيان »

فرحى لهذا الاعتراف ، إذاً فليؤمن أن الشياطين سخرت لسليمان (كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد) (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.. قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءى الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم إنى أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) تمثل الشيطان بسراقة بن مالك الجعشمى يوم بدر وقال لهم ما حكى الله عنه فلما رأى الملائكة مدداً يزعهم جبريل ولى هاربا فلما نادوا ياسراقة كيف تفر وتنهزم أجابهم الشيطان متمثلا بسراقة إنى أرى مالا ترون .

وحديث تفلت الشيطان على النبى ﷺ ليفسد عليه صلاته وتمكنه منه وخنقه حتى أحس ﷺ برد لسانه وهم بربطه فى سارية من سوارى المسجد لولا تذكره دعوة أخيه سليمان (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) وسارق تمر أبى هريرة مرارا وأعلمه النبى انه شيطان . ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة فى أحوال الجن وعلاج من يصيبونه بمرض ونحوه، وكيفية اتقاء شرهم مفعمة بالأحاديث فى ذلك طبعها الشيخ منير الدمشقى بمطبعته المنيرية سماها (إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة)وقد ساق البخارى فى كتاب بدء الخلق من صحيحه أحاديث على شرطه فيما جاء فى الجن وأحوالهم ، وفى القرآن سورة الجن وفيها وفى الاحقاف استماعهم لقراءة الرسول القرآن فى صلاته الفجر حينما كان ذاهبا إلى عكاظ بنخلة اليمانية (قرية بطريق الطائف) وأحاديث إسلام طائفة منهم وسكناهم المدينة . وتمثلهم فى صورة حيات وقتلهم لمن قتل منهم حية . والحديث بذلك فى صحيح مسلم وأبى داود وغيرهما

وفى تمرد الجن وطيشهم وعبثهم من الفوائد ما لايقل عن نظيره من تمرد المتمردين من بنى آدم من تعليمنا كيف نصارعهم ولا نخافهم وننازلهم ولا نهيبهم ، ونزداد إيمانا بقدرة الله على خلق مخلوقات لا ترى ثم ترى ونوعا حياً عاقلا على أسلوب غير أسلوبنا فى الحياة والمعيشة ، فاذا تمردوا على ما ألزموه من النظام قاومناهم بما فطرنا الله من قوة ، وما هدانا اليه من عقل وتدبير مع الاستعانة به وازددنا علماً بما وراء المحسوس فوق مانعلمه من المخلوقات التى نحسها ، وأن هنالك أحياء غير ما نعرف من

الحيوانات ؛ وأن وراء ما نبصر أمم تحيا وتعيش بطراز غير ما نعرف من طرز الحياة التى ألفناها رغم أنف الدهريين والماديين ، وإن كان فى الناس من يجبن عن مصاولة هذه المخلوقات الضعيفة من الجن وهو أرقى منهم عقلا وحولا وطولا ؛ فهناك من يخاف الفأر والهرة فضلا عن النمر والأسد مع أنه أقوى منها حيلة وفكراً ومعرفة بطرق اتقائها بل صيدها وحبسها فى أقفاصه . فليس فى وجود هؤلاء الجبناء من النـاس وعبث الجن بهم أحيانا قليلة للعبرة مايخدش حكمة إقدار الجن على التمثل والتصور ، ولا فيه فوضى ولا خلل ، ولا ترك الله لخلقه وتخليه عنهم كما تصوره الكاتب

أنا أومن بتمثل الجن وتصورهم ، وأصدق الصادقين ممن يحكى شيئا من تلك الأحوال الغريبة التى تصدقها القرائن ولوائح الأحوال وشواهد الصدق ومع هذا لا أهاب الجن فى خلاء وظلام ووحدة ولا تشوشت علىّ حالة من حالات معيشتى ولا جرى علىّ فوضى ولا طغيان وأصدق من يحكى انه رآهم أو قاومهم وانتصر عليهم وفروا منه هاربين كسفهاء لصوص بنى آدم .

ومن شاء باهلته على ذلك أن ينزل الله لعنته على الكاذبين .

وليس فى تمثل الجن وترائيهم للناس فوضى ولا طغيان مطلق ولا ترك الله لخلقه وتخليه عنهم كما زعم الكاتب ، وفى تمرد المتمردين من الانس والجن وخروجهم على النظام والقانون حكم وفوائد كثيرة من التوجه لمقاومتهم والهدايه إلى قمعهم وعقوبتهم والزامهم النظام والقانون ، وتعلم طرق اتقاء شرهم وفضح حيلهم وأطرهم على الحق والنظام والشرع .

وهل هناك من فائدة لنظام البوليس والادارة ولقانون الجنايات وبحاكمها وقضاتها لولا وجود الأشرار العابثون بالقانون والنظام من بنى آدم

والعجب لكاتب الأغلال أن يظن فيما جاء فى النصوص الدينية من تمثل الجن وظهورهم بأعمال تهويشية أو عبث ومجون : فوضى أو تخلّ لله عن خلقه أو نحو ذلك من التمويهات التى يرد بها ما جاء فى كتب أنبياء الله تعالى ، وما تواتر فى أخبار الناس عن ذلك . وهل فات الكاتب أن الحياة كلها كفاح وجلاد وصراع ؟ فهذه الوحوش تفترس ، وهذه تدافع أو تهرب أو تقع فريسة ، وهذه الجراثيم المرضية تهاجم جسوم الحيوان والانسان وهذه تدافعها . والغلب لهذه تارة ولتلك أخرى . وفى هذا الكفاح من علوم الحياة ومن التجارب ، ورقى العلوم والصنائع مايعرفه أهله . وقد ذكرنا ما فى عصابات اللصوص وقطاع الطريق ومقاومة القائمين على حفظ النظام والقانون لهم من حكم وفوائد . فهل يعد الكاتب ذلك كله فوضى وتشويش وتخلياً لله عن خلقه ، وفساداً للنظام ؟ أو الجدال والاجتهاد فى رد نصوص الدين بأوهام وسفسطات وبهرج من القول ، وجرى وراء المادة المنكرة لما وراء المحسوس والطبيعة ؟

إذاً فليبك الكاتب على عقله ودينه

ونسأل الكاتب الفاضل إذا كان يؤمن بما أخبر به القرآن من إرسال الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ومن نزغ الشيطان للانسان ، ومن إنظار الشيطان إلى يوم الوقت المعلوم لاغواء بنى آدم : هل فى ذلك كله فوضى وأن فيه ترك الله لخلقه بلا نظام ولا قانون يلزمهم الحدود ؟

إن كان يؤمن بذلك وأنه لا فوضى فيه ولا تخلى لله عن خلقه ولا تشويش ولا طغيان فليضف إليه تمثلهم أحيانا وعبثهم ، مما فيه مصالح لبنى آدم مما ذكرنا بعض فوائده ، وإلا فليعلم أن شياطين دين المادية والناعقين بإنكار ما لايحسونه بحواسهم المقيدة المحدودة لما نقض مذهبهم بمشاهدات الناس لحوادث الجن ، ومشاهدة الانبياء والرسل للملائكة وتمثل ما وراء المحسوس من عالم الغيب من الملائكة والجن بصور تُرى وتسمع وتحس ، باهتوا التاريخ والتواتر والوقائع ليقوم لهم مذهبهم الحيوانى فى إنكار ماوراء مايعرفون — وما أقل مايعرفون — من الوجود ظاهره فضلا عن خفيه وغيبه . وجاء كاتب الأغلال يهرف بما لا يعرف جهلا أو غباء أو انخداعا بهذه الدهرية المادية التى تكذب بما لم تحط به علماً ولما يأتها تأويله

وإنا لنرجو اليوم الذى ترق فيه مشاعرنا وحواسنا وتتقدم الصناعة والاختراع حتى يرق ما بين المحسوس وغير المحسوس من حجاب ، فيرى هؤلاء العمى من الماديين ما لم يكونوا يرونه قبل ذلك . ولسنا نطمع حينئذ فى إيمانهم لانه بيد الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون. ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولـكن أكثرهم يجهلون)

***

ومن فروع الأصول المادية الدهرية التى اعتنقها الكاتب وفسر بها

ماجاء فى الدين ، مسألة إنكار العين وتأثيرها فقد قال (ص ٢٠٦)

« ومما يتصل بمسألة الأرواح المتعدية مسألة الاصابة بالعين أو النظرة أو ما يسمى عند العامة بالحسد فان الحاسد عندهم إنما يصيب بروحه الخبيثة ومسألة الاصابة مسألة ذات ذيول طويلة وحواش ضافية ولاعتقادها أثر جسيم فى حياة الكثيرين وفى عقولهم وأفكارهم وتصرفهم العام ولها فعل سحرى فى قوتهم العصبية والارادية والعقلية . . .

ثم سرد ماهو منتشر بين الناس فى تأثير العين من حق وباطل وماهو مبالغ فيه أو أوهام ، وهزأ بكل ذلك وبالروايات فيه صحيحها وسقيمها ، ومن ذلك رواية الموطأ والطلب من العائن أن يغتسل للمعين فقال ص ٢٠٧

وذكروا انه عليه السلام أمر أن تغسل عورة العائن والمواضع القذرة من بدنه ثم تجمع الغسالة ثم تصب على المعين ويسقاها . . . .

وقد كذب على الرواية بذكر عورة العائن تشنيعاً لها وتشويهاً وإنما الرواية فى غسل أعضاء الوضوء من العائن : وجهه ويديه وداخلة إزاره ، وفسروها بطرفه الملفوف على وسطه أو بحقويه اللذين يلف عليهما الازار . فحرفها الكاتب إلى عورة العائن إمعاناً فى التشنيع على الحديث ، وخيانة فى النقل ، لانه يكتب لقوم فتنوا بالخوف مما يسمونه الجراثيم والمكروبات حتى أورثهم هذا الهوس جبناً فاقوا فيه النساء والأطفال ، وهلعاً خلع قلوبهم فقدوا به شجاعة الرجال ، فضلا عن الأبطال ، وجُنّوا بما يسمونه النظافة والوقاية من الأمراض ، حتى أن الواحد منهم يتقذر من فم جليسه وصديقه الذى قد يكون أصح منه وأنظف فلا يشرب من كوبه فضلا عن خلطته به فى طعامه ، بل يتقذرون أصابعهم الطاهرة

فأراد الكاتب أن يظهر لهم الدين هـذا المظهر القذر المحتقر تنفيراً وتقبيحاً ، فزعم أن الرواية جاءت بغسل عورة العائن ، والله حسيبه فيما كذب وافترى على الرواية ، ولو جاءت بهذا اللفظ لكان فى حمله على أحسن محامله الأدب معها ، فالعورة عند الفقهاء ماتحت السرة وفوق الركبة ، وليست خاصة بالقبل والدبر ، أو السوأتين

اعترف الكاتب بما جاء فى بعض الروايات ثم أخذ يحرفها حتى تطابق أصوله المادية فقال ص٢٠٨:

نعم جاء فى الأحاديث التى رواها المحدثون الثقات « أن العين حق وأنه لوكان شىء سابقا القدر لسبقته العين » ولـكن هل هذه الأحاديث فى سبيل من جهل هؤلاء الجاهلين وفى صدد مما قالوا واعتقدوا كلا فان كلام النبوة أضخم وأسمى معنى وهدفا وغاية مما يتوهمون فالعين حق فان الانسان الشرير يرى بعينه فيحقد ويحسد بقلبه ثم يضيف بأعماله وكيده ، والعين حق أيضا فان فى كثير من العيون قوة آمرة ناهية بل قاتلة آسرة وأن الرجل الموهوب هذه القوة لينظر أحيانا إلى من حوله فيخضعهم بمجرد النظر ويسلس لنظرته وعينيه أشمس خلق وأعصى طبع ويبلغ من أنفسهم أقصى ما يريد وأبعد ما يرجو ، فيصبحون طوع مشيئته ورهن إشارته فيصبح بينهم الآمر الناهى المتصرف ويصير فيهم الزعيم المعبود أو الشيخ المعبود أو الأستاذ المعبود ، القول قوله ، والتفكير تفكيره والهوى هواه والدنيا دنياه . . .

ثم ذكر عجبه من استعباد شخص لأمة ، وعبادة أمة لشخص وفسره بسرّ عينيه . وضرب مثل ذلك الشيخ الجاهل السفيه الوقح فى كل جانب من جوانبه — كأنه يعنى محمود خطاب السبكى رئيس ومؤسس جماعة السبكية المتسمين بالسنية — ونجاحه فى أتباعه ، وتصرفه فيهم تصرف

الراعى فى قطعان غنمه ، أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وصاغهم فى القالب الذى يريده منهم ؛ أو كأنهم أموات بين يديه ، لايتحرك منهم عضو حتى يحركه ، وفرض عليهم أن يخشعوا بين يديه خشوع العابدين فى صلاتهم ، أو ذلة المشركين أمام أصنامهم ؛ وألزمهم أن يدخلوه بينهم وبين الله فى أقرب موقف يقفونه منه تعالى ، وألزمهم أن يضعوا خياله وصورته بينهم وبين الله وبين القبلة حين الصلاة ، وفرض عليهم أكثر مما فرض الله على عبيده ، وكتب لهم هذه الفروض فى كتاب من كتبه « يعنى العهد الوثيق » زورتها يداه ثم أمرهم أن يتعلموا هذه الفرائض وأن يستذكروها حفظا ليعملوا بها أينما كانوا

وفسر الكاتب نجاح هذا الشيخ الجاهل السفيه الوقح بسر عينيه .

ثم فسر حقية العين أيضاً بأنها مفتاح شخصية صاحبها ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة ، ففيها يتجلى الحب والبغض والعداوة والصداقة ؛ والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباء ، والقوة والضعف والحزن والسرور ، والصحة والمرض والهدوء والقلق . الخ

وأقول للكاتب الفاضل: ماذكرت من الأمثلة والشواهد والاستنتاج صحيح ولكنه ليس مراد حديث « العين حق » بدليل بقية الحديث « ولو كان شىء سابقا القدر سبقتـه العين » وبدليل الأحاديث المتواترة المعنى . المملوءة بها كتب الثقات من المحـدثين الذين وثقت بروايتهم لحديث « العين حق » التى تدل على تأثير العين التأثير الذى تنكره أنت وتهزأ به ، كحديث « استرقوا لآل جعفر فانهم تصيبهم السفعة » وحديث رقيـة

الحسن والحسين « أعيذكما بالله من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »
وكحديث الموطأ فى المعين الذى لبط حينما قال له العائن « ما رأيت ولا جلد
مخبأة قبل اليوم » ولما اغتسل له العائن فكأنما نشط من عقال .

والأحاديث فى هذا كثيرة يؤمن بها المؤمنون ويجحدها الماديون .
وآية (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) فيها إشارة إلى تأثير
العين ، ونصيحة يعقوب لبنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ولا
يدخلوا من باب واحد كذلك

ونسأل الكاتب عن معنى ما اعترف به من بقية حديث « العين حق »
وهو « ولو كان شىء سابقا القدر لسبقته العين » ما معناه ؟ وهل عنده
تحريف له حتى يتفق والمادية التى اعتنقها الكاتب ؟

ولعله خانه حذره حينما ساقه معترفا به ثم حصر عن تحريفه فسكت
عنه فلم يضحكنا بما عودنا من تحريف وتسخيم

وليس اعتقاد الناس فى تأثير العين اتباعا للأحاديث الصحيحة المروية
فى ذلك بمخذل لهم ولا عائق عن سبل النجاح كما زعم الكاتب (ص ٢٠٧)
ولا مما يفسد الهيئة الاجتماعية ، ولا مما ينشر الفوضى والخيال المضطرب
القاتل كما زعم (ص ٢١٠) وإن وُجد إنسان هستيرى المزاج كالذى عرفه
الكاتب (ص ٢٠٨) أكلته الأوهام والظنون من هذه الناحية ، يحسب
عيون الناس سهاماً مصوبة اليه ، فتخاذل وتمارض ليدفع عنه العيون
المصوبة اليه ، فليس هذا المهستر هو كل الناس ، ولا هو القياس الصحيح
لجميعهم . فالناس سائرون على جوادّ أعمالهم ، جادون فى مهماتهم ، بلا تلكؤ

ولا تخاذل ولا توقف ، فان ظنوا فى أحد تأثيراً عينيا تعوذوا بالله منه ،
وتحصنوا بالتحصنات الالهية والرقى النبوية التى لا يصدقها الكاتب ولا
يؤمن بها . فماذا يضرهم إيمانهم هذا ؟ بل لقد أفادهم الايمان بالله واللجأ اليه
والاحتماء بحماه مما يكفر به الكاتب ويسفهه ، ويريد بكتابه أن يقلعه من
قلوب الناس ليستبدلوا به مادية قاحلة مجدبة مميتة قاتلة مبعدة عن الله كافرة
به، منزلقة فى أوحال المادة

ماذا يبقى للناس إذا فقدوا فى وسط محيط الحياة المضطرب وأمواجه
المصطفقة ثقتهم بالله وإيمانهم به وسفينة رحمته بهم ، وفلك حنانه وشفقته
عليهم — إلا الحيرة القاتلة ونار اليأس المحرقة ، والقلق والاضطراب الذى
أودى بذلك الحيران الذى أغرق نفسه فى شاطىء بحر الاسكندرية ،
ووجد فى جيوبه اعترافه أنه ملحد زنديق لا يستحق أن يدفن فى مدافن
المسلمين ، وأظنه اسمه « على أدهم »

فى إحدى افتتاحيات مجلة الثقافة للكاتب الشهير الأستاذ أحمد أمين
مقال قيم فيما فقده الناس من الايمان ولم يعوضوا خلفاً عنه ، وما أصابهم
من جراء ذلك من مصائب نفسية ومادية الخ

والعجب أن كاتب الأغلال ينكر تأثير العين بالمعنى الذى يعرفه سائر
المسلمين ، ثم يخترع لها تأثيراً يضرب له الأمثال بتأثير بعض الزعماء على
الدهماء بما أوتوا من نجاح فى التأثير عليهم بسبب دعايات أو إقناع دينى أو
سياسى أو مذهبى ونحو ذلك . وإذا كان للعين ما ادعاه الكاتب من هذا
التأثير فى الجماعات ، فما الذى يكفره من تأثيرها الآخر الذى جاءت به الشرائع

وما الفرق ؟ اللهم إلا الاغراق فى المادية والكفر بما جاءت به الشرائع من أسرار وحقائق تجحدها المادية .

**

يتهكم الكاتب بثقة المسلمين بدينهم مع أنهم لا يعملون به الآن فيقول آخر (ص ٢١٠)

وهناك مسألة كبرى نشأت أيضا من الجهل بسنة الله وسنة الحياة ومن الاعتقاد بأن العالم ليس محكوما بالنواميس

ذلك أن الناس ظلوا مئات السنين يعتقدون أن المسلمين لن يُغلبوا، لأن دينهم حق ، والحق يجب أن يكون أهله منتصرين أبدا وإن قصروا وأهملوا ونسوا أنفسهم وأن الاسلام لن يهزم أمام الأديان الأخرى لأنه الدين المرضى لله والله لن يترك مايرضاه للخذلان والهزيمة ،وقدعملوا على أن يصححوا هذه الأغلوطة بالاستدلال بآيات قرآنية مطلقة مجملة نسوا قيودها وشرائطها ،فأمعنوا ضربا فى متاهات الأوهام واستمتاعا بأضغاث الاحلام، وظلوا سادرين حتى فجأهم العالم فانتبهوا مذعورين لا يدرون من أين ولا كيف . وقاموا يتلمسون الطريق وقمنا معهم ولكننا وجدنا بعد هذه النومة الطويلة والأحلام الثقيلة أن أعلام الطريق قد عفت أو كادت ،وأن الرقاد الطويل الثقيل الذى هنئنا به قد باعد بيننا، وبين الأمم اليقظى التى لم يغمض لها جفن فكيف ومتى اللحاق ؟.

أقول : إن اعتقاد المسلمين ان دينهم حق ، وان الله تعالى ارتضاه ، وأنه لن يُغلب ولن يهزم ، كل هذا حق أيدته الآيات القرآنية ،والشواهد التاريخية ، والتجارب الواقعية الكثيرة . وإلا فماذا يقول الكاتب فى فتوحات الاسلام شرقا إلى حدود الصين ، وغربا إلى المحيط الأطلسي فى عهد خلفائه الراشدين وعهود بنى أمية وبنى العباس وبنى عثمان ؛ وفى

الانتصارات الصليبية فى عهد محمود زنكى وصلاح الدين الأيوبى وفى فتوح أوربا من غربها فى الأندلس ، ومن شرقها فى العهد العثمانى إلى أواسطها حيث أسوار فينا، كل هذا ما كان إلا بدينهم والعلم به والعمل به ،فكانوا بذلك سادة الدنيا قوة وغلباً ونصراً وفتحاً

ثم لما صار الدين عندهم اسماً بلا مسمى ، وعصبية جنسية ، بلا علم ولا عمل ،وناموا كما قال الكاتب نومة ثقيلة أضاعوا فيها دينهم ودنياهم ، واستيقظ الغرب بفضل ما استفاد منهم باحتكاكه بهم غربا فى الأندلس ومدارسه وعلومه وصناعاته ، وشرقا فى الحروب الصليبية ، استفاد من المسلمين حرية الرأى والبحث الحر ، وتقويم الحكام وإرشادهم ، وردّ أهوائهم وباطلهم ، والقيام عليهم للصالح العام ، إلى غير ذلك من أصول الاصلاح والخير ، ورجع إلى بلاده فبذر بذور الاصلاح فيها بالجمعيات العلنية والسرية ، وبالنشر والدعاية ،والصبر على الأذى والاضطهاد ، والقتل والصلب فى سبيلها حتى أثمرت مدنية أوربا الحالية التى خطف بريقها بصر الكاتب وأصمت رعودها آذانه ،فلم يعد يرى ولا يسمع غيرها

لقد أبدع الكاتب القدير سعادة عبدالرحمن عزام باشا فى رسالته «الخالدة » فى بيان محاسن الدين الاسلامى وعرضه على عقلاء الناس عرضا فائقا لإنتشال المجتمع الانسانى من شرور المدنية الأوربية وأوحالها وأوضارها ، والحفر العميقة التى تردت فيها وأردت الناس معهم ممن اقتفى أثرهم ، ثم قال وأمل فى رحمة الله :

وبعد فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين والمسيحيين الذين

تتعلق نفوسهم دائما برحمة الله ، وترقب هـداه إذا اشتدت الـكروب والظلمات ، أن ينهضوا مرة أخرى بميراثهم السامى الذى يُقوم من عوج النزاع الفـكرى والاقتصادى والعنصرى ؛ ويلطف من حدة المزاج الغربي حتى يؤمن بالأخوة الانسانية ، ويعمل لخدمة السلام العام باخلاص نية ؛ وحسن توجه بما مكن الله له فى الأرض . ذلك ما نسأل الله رب العالمـين أن يعجل بتهيئة أسبابه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم

وقد كتب المستشرق النمساوى «ليوبولد فايس» المسمى محمد أسد الله رسالة سماها (الاسلام على مفترق الطرق) وصف حال الاسلام ، ومهاجمة المدنية الغربية له من كل النواحى ، وماذا يجب على المسلمين للنجاة من شرور هذه المدنية المادية ، وماذا يلزمهم منها وماذا يضرهم ، بحجج واضحة ، وغيرة صحيحة ونصائح نافعة ، فاقرأها فانها مفيدة قيمة تدل على تفكير عميق وتحقيق صاف رائق ونصح خالص عن تجربة وبصيرة.

وليس اعتقاد المسلمين فى دينهم الحق وأنه لا يُغلب ولا يهزم ، بوَهم قاتل ، ولا فضحه الواقع كما زعمه الكاتب (ص ٢١١) ولكن الوهم القـاتل هو الجهل بهذا الدين والإعراض عنه ؛ وابتغاء العزة فى غـيره من مادية القرن التاسع عشر التى أفسدت على الناس أديانهم وإن كانت أفادتنا ـ على حد المثل «رُبَّ ضارة نافعة» أن نراجع ديننا وأن نمحو منه ما لصق به من بدع وخرافات ، وأن نفهمه على وجهه الصحيح ؛ ونعمل على الوجـه الذى يريده الله ويرضاه ، فنجنى منه ما جنى منه المسلمون الأولون من عز وقوة ، وغلبة ونصر ؛ ونضرب للعالم المثل العالى فى أن الدين نور وقوة هـداية

وعمل حياة روحية ومادية .

والزمن كفيل أن يظهر لنا إن كان تألم الكاتب من انتشار الجمعيات الدينية الكثيرة التى تنادى بعز الاسلام ومجده الذى سماه الكاتب أغلوطة تاريخية كبرى (ص ٢١١) هل سببه الغيرة على الاسلام أو ألمه من الاسلام وخادميه والساعين فى إعزازه ونصره لاعتقاده فيه تأخيره لأهله عن ركب الحياة وموكب الجماعة

أما تعليله لنجاح هذا المخبول الذى يهذى بالمستحيلات الناعب بالآمال الناعق للجماهير المضللة حتى أخذ برقاب آلاف أو مئات آلاف أو ملايين من هذه القطعان البشرية يقودها كما يشاء « يريد بفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، تلك الجماهير المضللة والقطعان البشرية عند الكاتب » بأنه قد هاجم أضعف جانب فيهم وهـو جانب الرجاء والأمل ؛ فانتصر عليهم بدون عناء فلا يعد نجاحه دليلا على أن له قيمة كشأن أمثاله من المخادعين المستولين على الجماعات بالتـلويح لهم بالآمال (ص ٢١٢) فنترك الحكم على صحة هذا التعليل لتلك الجماعات من الاخوان المسلمين وفيهم الكتاب الأذكياء والمتعلمون النبهاء

وأما تهكمه بقول الحافظ ابن كثير « إن مدينة دمشق لا سبيـل للأعداء من الكفرة عليها لأنها المحلة التى أخبر الرسول عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم وبها ينزل عيسى ابن مريم » تهكمه عليه بقوله (ص ٢١٥) ولا نعرف ماذا يقول لو عاش بعد أن كتب هـذا فرأى الجيوش الفرنسية ثم الانجليزية تدخل هذه المدينة الاسلامية الجميلة فازية منتصرة أتراه يستطيع أن

يقول إن الاسلام أعطى هذا الضمان الجليل أم تراه يدعى ان ما أورده هنا فى
كتابيه يصلح أن يكون برهانا على وجود هذا الصك الالهى المحمدى المزعوم.
لا ريب فى أن الذى جمل مثل هذا الشيخ الجليل الحافظ يهم هـذا الوهم هو
الغفلة عن سنن الله الصارمة التى لا محاباة فيها ولا فوضى ولا محسوبية.

أقول : لقد أخزى الله شماتة الكاتب بهذا الامام الحافظ الواثق بما
روى عن النبى ﷺ وبعز الاسلام ، فهذه دمشق الآن تتمتع على مرأى
الكاتب وسمعه بحكومة وطنية تنفيذية وتشريعية بوزراء وبرلمان ، وبجيش
وطنى من أبنائها ، وطرد الله عنها ما كان أدبها به من جيوش أجنبيـة :
فرنسية أو انجليزية تأديباً عارضاً مؤقتاً كسحابة صيف . فماذا يقول
الكاتب الآن وقد رأى وسمع ، هل يعترف بفضل الاسلام ويعود إلى
حظيرته ، ويؤمن بما جاء عن نبيه من أخبار الغيب ويحترم العلماء المحدثين
الذين رووا ذلك وآمنوا به ؟ أو يبقى مصراً على النواميس الصارمة والمادية
الدهرية التى عجّز الله تعالى بسببها ، وكذب رسله وآياته لأجلها ، ومشى
وراء صنمه غوستاف لوبون الذى يتبجح بانكار الله وآياته وخوارق
العادات التى أيد بها رسله وأنبياءه الداعين إلى طراطه المستقيم ؛ ودينه
القويم ، إذ قال فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩ « ومع أن علم الحياة
الحديث أصاب فى نقصه مبدأ علة العلل (يعنى واجب الوجود : الله)
فاننا نرى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ ؛ يؤيد ذلك كون
الشروح العقلية التى أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور
الغامضة فى الكون — إلى أن قال : ولا نأسف على ذلك لأن كشف

المصير يحمل الحياة شقية، فالبقر لا يرعى الكلأ مطمئناً إذا علم أن مصيره
إلى الذبح ، وأكثر الموجودات تتقهقر جزعا لو اطلعت على نصيبها »
وقال ص ١٤٨ « لعل أهم ثورة ظهرت فى عالم الفكر هى الثورة التى
أدى اليها العلم باثباته إن الحوادث تصدر عن نواميس مهيمنة لا عن
أهواء الآلهة » إلى أن قال « فلو أن الحادثات التى يخبر بها أولو الكرامات
فى الوقت الحاضر ممكنة لتقهقر العلم طائعاً إلى قرون الأساطير الخ — إلى
أن قال : وإن كان البحث الدقيق فى خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن
هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت فى نفوسنا »

**

اغتر الكاتب بما يُذكر فى الأوراق والكتب من آراء تقال رهن
التمحيص والبحث ، فظنها حقائق راهنة وقطعيات لا تتبدل ولا تتحول ،
فتراه يقول (ص ٢١٠)

وقد استطاع العلم الانسانى أن يصعد إلى الشموس وإلى المجرات يمددها
ويقدرها ويعلم ما هنالك . . .

وأهل العلم بذلك لم يغتروا هـذا الغرور فهذا نقولا حداد وهو من
المغرقين فى المادية يقول فى كتابه «هندسة الكون بحسب ناموس النسبية »
آخر ص ١٥٦

﴿ حاشية ﴾ نلفت نظر القارىء إلى أن هذا البحث وأمثاله من
المباحث التى يطمح فيها العقل البشرى إلى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر
فى حكم المؤكد لأن المعلومات العلمية والأرصاد والاكتشافات التى بنيت

عليها ليست حقائق راهنة بل هى تقريبية ، أو ربما تيسر لأهل العلم أن
يؤكدوها أو ينقحوها أو ينقضوها بنظريات أصح منها بما يستجد عندهم
من معلومات أقرب إلى الحقيقة وفوق كل ذى علم عليم . ا هـ

وذكر مشرفه باشا فى رسالته النسبية الخاصة بعد ما ذكر قضاء
نظرية النسبية على المذهب المادى ص ٤٤ — ٥٠ قال : والذين يقولون
بالنسبية لا يرتكبون الخطأ الذى ارتكبه علماء القرن الماضى وهو خطأ
الجزم باستحالة الخلق والفناء بل بالعكس فهم أبعد مايكون عن الجزم
بشىء أو القول باستحالة شىء وإن كان هناك صفة يتصف بها فلاسفة
النسبية فهى البعد عن إلقاء أى قول فصل فى أية مسألة من المسائل التى
يتعرضون لبحثها ، وهناك صفة أخرى ظاهرة فى أبحاثهم وأقوالهم ألا وهى
الاعتراف بحدود المباحث التى يتعرضون لها . فالسير ارثر دانجتون مثلا
وهو من زعماء فلاسفة النسبية يذكر فى كتابه عن « كنه العالم الطبيعى »
إن العلوم الطبيعية محدودة فى دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج
عنها ويترك الباب مفتوحا إلى المعرفة من غير طريق العلم . ا هـ . ص ٥٠

يقول الكاتب ص ٥٨

انه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده ، وذهب يحدث حديث
الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور
ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشموس وغيرها من الشموس ثم
كيف راحت هذه الشموس نفسها تلد الأتباع والبنين ليحيطوا بها . .

أما كاتب مجلة المقتطف ـ وهو من نعرف اشتغالا بهذه المسائل ـ

فيقول فى عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ (ج ٣ مجلد ٩٣) فى هذه المسألة :
موضوع عمر الكون يختلف فى أركانه عن موضوع حجمه وسعته . وثم
طرق لتقدير هذا العمر ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد
وهى تفضى إلى نتائج متضاربة ؛ والمسألة تدور على قدرتنا على النفوذ
بأساليب علمية إلى ما كان عليه الكون فى الماضى السحيق ، ولا عجب إن
قلت دقتنا كلما تغلغلنا فى الماضى ا هـ

ثم ذكر الطرق التى بحثوا بها المسألة من قياس سرعة النور والمدة التى
قضاها حتى وصل إلينا من أبعد المجرات والسدم . وتحليل الصخور المحتوية
على مواد مشعة ـ كالراديوم ونحوه ـ ونظرية النسبية وتمدد العوالم الكونية
وتباعدها ومبدأ توزع الطاقة المتعادل بين الذرات فى الغاز أو بين النجوم

ثم ختم المقال بقوله : لم يكن تصور رحاب الكون بالأمر السهل
وأشق من ذلك تصور سعة الزمن الفلكى .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل المسألة موضع الجزم والمشاهدة بقوله
« راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتوالده » وذهب يحدث حديث
الحاضر المشاهد الخ

وأهل العلم بذلك يقولون عن طرقهم ليس بينها طريقة يصح الاعتماد
عليها كل الاعتماد ، وهى تفضى إلى نتائج متضاربة ؛ ويعترفون بقلة دقتهم
فى هذه المسائل ، بخلاف صاحب الأغلال الذى يطالع هذه المسائل مطالعة
سطحية ويجزم فيها بالآراء الظنية عند أهلها

ويقول الكاتب ص ٥٩ س ٢

« ثم لم يقف عند هذا الحد بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقه، وذهب يخبرنا عما بقى من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذى سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه وعما بقى من عمر هذا الانسان وغيره من الأحياء ويخبر عن الأحداث والحوادث التى لا تزال فى طريق الوجود والتى لا تزال تترقب لتنب وثبتها .

ويقول السير جيمس جنز فى كتابه «النجوم فى مسالكها ص ١٠٦» (الترجمة العربية) الطبعة الأولى :

فالذرات المدخرة فى الشمس فى الوقت الحاضر تكفيها ١٥ مليون مليون سنة على المعدل الذى تتناقص الآن لكنها قبل أن تأتى على آخر ذرة فيها بزمن طويل لابد أن تكون قد وصلت إلى حالة النجوم الأضعف الأصغر حجما..

« وإذا أدخلنا فى حساباتنا اعتبارات من هذا النوع ترجح فيما يظهر أن يكون لمعظم النجوم مئات من ملايين الملايين السنين ترجو أن تعيشها قبل أن يخيم عليها الظلام آخر الأمر — وسواء استتبت هذه التقديرات فى النهاية أم لم تستتب فهناك شىء واحد يبدو لنا مؤكدا ـ هو أن الأعمار البشرية تتلاشى تلاشيا تاما إذا قيست بالزمن الفلكى ـ لقد رأينا أن الأرض ليست إلا هباءة فى الفضاء والآن نرى أن أعمارنا بل وتاريخ البشر كله ليس إلا هباء فى الزمن » اهـ

فترى جنز العالم الفلكى الطبيعى أحد أعضاء المجمع العلمى البريطانى يقول ترجح فيما يظهر — سواء استتبت هذه التقديرات فى النهاية أم لم

تستتب — شىء واحد يبدو لنا .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل العالم : ماضيه وباقيه ،عند الانسان كبناء ساعة ، يخبر عما مضى خبر حاضر مشاهد ، وعما بقى من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود ،خبر خالقه وصانعه ، لان الانسان ـ عنده ـ خُلق لينازع الله فى علمه وقوته وقدرته

وقال السير جيمس جنز فى كتابه المذكور فى ختامه تحت عنوان (عمر العالم) «لانستطيع أن نقول شيئا موثوقا من صحته عن عمر العالم حتى نعلم الحق عن التباعدات الظاهرية للسدائم ، فاذا تبين أنها واقعية كان من الضرورى أن نجمع الحوادث الفلكية كلها بطريقة من الطرق فى ماض طوله بعض آلاف الملايين من السنين

أما الآن فالشواهد الفلكية العامة تبدو كلها كأنها تصيح احتجاجا على أن يكون الماضى قصيرا إلى هذا الحد ، إنه لايكاد يكون من الممكن تعليل الترتيب الحالى للنجوم إذا كانت أعمارها بهذا القصر . لهذا أرى من الراجح جداً أن التباعدات الظاهرية للسدائم سيثبت أنها زائفة ، وفى هذه الحالة يدل ترتيب النجوم على أن ماضيها يمتد إلى ملايين الملايين من السنين ،كما يمتد مستقبلها إلى نحو ذلك أو إلى ما هو أطول منه . أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جدا بل متناقضة ، ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم.

« ومهما يكن الرأى الذى يكتب له النصر فان الكون إذا حكمنا عليه بمقاييسنا البشرية للزمن قديم جداً تتلاشى بجانبه أعمار الناس والامم ، بل

كل تاريخ البشر فقد كانت النجوم قريبة جداً مما هى عليه الآن قبل أن يظهر الانسان على الارض ، وستكون على الراجح قريبة جدا مما هى عليه الآن حين يغادر آخر إنسان . إن تاريخ الجنس البشرى كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم . اه

فتأمل قوله (لانستطيع أن نقول شيئاً موثوقا بصحته) (لهذا أرى من الراجح) (أما الآن فالشواهد على مايظهر مضطربة جداً بل متناقضة ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم) الخ — مع قول كاتب الأغلال : إنه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده ، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت — بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقه ، وذهب يخبرنا عما بقى من عمر هذا الكون وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذى سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه ، وعما بقى من عمر هذا الانسان وغيره من الأحياء . الخ

قل لى بربك : أليس هـذا هو الغرور الصبيانى ، والجرأة السفيهة الحمقاء ، وقفو ما لا علم به .

وفى مداعبة لطيفة وحوار فكه نسأل الكاتب : هل درس شيئاً من العلوم الرياضية المتوسطة كهندسة إقليدس وحساب المثلثات المستوية والكروية ؛ وحساب اللوغارتمات الطبيعية والعادية ، والجبر الابتدائى والعالى والفلك العلمى والعملى . وكلها ماعدا اللوغارتمات من علوم الأوائل الذين يحقرهم ، فضـلا عما توسع فيه المتأخرون من علوم الرياضة العالية ، وحسابات النسبية .

المسألة اليهودية

عُنى كاتب الاغلال بالمسألة اليهودية فى أغلاله عناية خاصة تسترعى الانتباه والحذر ، فكتب فيها عشر صفحات (٢١٦ — ٢٢٥) وساق فيها من الآراء والاحتمالات ما يـدل الاشتباه والحيرة على غرضه الذى يرمى اليه : أهو نصح محض وإيقاظ وتحذير من مستقبل الصهيونية وشرورها ووطنها القوى الذى تسعى له سعياً حثيثاً متواصلا فى فلسطين ، فساق الانذار تلو الانذار كأنه النذير العريان يقول : صبحكم مساكم ، إن العدو بأسفل الوادى يريد أن يغير عليكم فيصبحكم — أو هى دعوة صهيونية مستأجرة لتفتير العزائم وتوهين القوى ينشر بأس الصهيونية وذكاءها ، وعلمها وخبرتها وصناعها وعالميتها ، على حد قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ومن ذلك تحريف الآيات فى ضرب الذلة على اليهود ؛ وإطفاء نارهم ، وبعث الذين يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وتقطيعهم فى الارض أمماً (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)

سأترك الحكم على غرضه وما انطوت عليه دخيلة نفسه ، وذات صدره حتى تظهره الايام أجلى ظهور ، وحينئذ يكون الحكم للايام وللعقلاء وللقضاة العدل . وإنما المناقشة معه للفهم المقلوب ، والتحريف الشاذ لمدلولات آيات كتاب الله ودفع معانيها الظاهرة فى الصدور والاعجاز وقلب مفهومها رأساً على عقب ، فهذا ماأخوضه .

قال الكاتب ص ٢١٦

هذا ما كان يقوله المسلمون فى العصور الخالية فى سيادة النصارى عليهم .
أما اليوم فقد حل محل هذا الوهم وهم آخر ، وصاروا يقولون هذا القول ويهمون مثل هذا الوهم فى خطر اليهود وفى ملكهم ومحاولتهم إعادة وطن قومى لهم . . .
فقد أكثروا من الادعاء بأن اليهود لاخطر لهم ذاتى ، وأنه لايخشى منهم منفردين على المسلمين ولا على الأوطان الاسلامية لا على فلسطين ولا غيرها . ثم زعموا كما زعموا منـذ ٥٠٠ سنة بأن الله قد دفع إليهم بعهـد مكتوب بأن اليهود لن يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود هذا العهد فيه وراحوا يتلون الآيات منزليها فى غير مواضعها .

والآيات التى استدلوا بها هى قوله فى سورة البقرة (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) ثم قوله من آل عمران (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) ثم قوله من سورة المائدة (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) ثم قوله فى الأعراف (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك)

وقد حسبوا أن هذه الآيات قواطع فى أن اليهود لن تقوم لهم دولة ، ولن تكون لهم صولة . ولكن هذا غير صحيح لا بالنظر إلى سنة الله ولا بالنظر إلى كتاب الله . أما سنة الله فانها قد علمتنا بأن من أخذ بأسباب الملك ناله واليهود من أعمل الناس اليوم لهذا الغرض ومن آخذهم بالأسباب

ونقول للكاتب : إن السنن وحـدها ليست كافية فى نوال المطلوب إلا على قاعدته المادية الدهرية ، فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من آلية الكون وحكمه بالنواميس الطبيعية ، مع إنكار القدر والاختيار الالهى ، وقد قدمنا الرد على ذلك من كلام أساطين القرن العشرين وما

وصفوا به الفلسفة الآلية المادية أنها أفكار أطفال وصبيان ، وارجع إلى ما نقلت سابقاً من كلام مشرفة باشا عميد كلية العلوم ، وكلام السير جيمس جنز العالم الانكليزى من كتابه « الكون الغامض »

ونقول لكاتب الاغلال : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان لم يدخروا وسعاً فى الأخذ بأسباب السيادة على العالم من قوة عسكرية وحربية وصناعية ، فهل نالوا ما أخذوا بأسبابه ، أم هو القدر الذى جمع عليهم مالم يكن فى حسبانهم ؟

وأيضاً : فهل الأسباب التى أخذت بها مصر والعراق أقل مما هى فى اليمن وبلاد العرب وسوريا حتى استقلت هذه وفشلت الأوليان ؟ إن القدر الذى آمن به طبيعيو القرن العشرين وأدخلوه فى تفكيرهم العلمى لايؤمن به الكاتب ، ويعد الايمان به عجزاً وغلا يعوق التقدم والرقى .
لذلك يعد الكاتب أخذ اليهود بالسنن التى يظنونها تصل بهم إلى أهداف الملك والوطن الصهيونى منيلا لهم ماسعوا اليه وإن خالفت النصوص القرآنية . ألا فلينتظر الكاتب نتائج أخذ اليهود بسننهم فإنا مع جهادهم وإعداد العدة لصدهم وإذلالهم ، مع التصديق بما أخبر الله عنهم منتظرون .
ولا يخيفنا ما ذكر عنهم من ذكاء وغنى وخبرة وصناعة وعلم ، وها هى المسألة قد دخلت فى طورها العملى (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

قال الكاتب ص ٢١٦

« وأما كتاب الله فان هذه الآيات ليست صريحة فى صدق هذه الدعوى أما

(ضربت عليهم الذلة) فى الآيات كلها فان الذلة عند أكثر المفسرين هى الجزية فيكون تفسير هذه اللفظة أن الجزية قد فرضت وقت نزول القرآن على اليهود وفرضها عليهم فى وقت من الاوقات لا يلزمه أن تكون مفروضة عليهم كل الأوقات بدليل أنها الآن مرفوعة عنهم مع صدق القرآن بأنها قد ضربت عليهم وإذا قدر بأن المراد بالذلة فى الآيات هو المعنى الأول السابق إلى الافهام لم يلزم منه صدق هذا الوهم ،ذلك لان أخبار القرآن بأن اليهود أذلة فى وقت نزوله لا يقتضى أن يبقوا أبد الآبدين كذلك . وما من أمة من الأمم إلا قد مرت بها عصور ذلة وضعف مهما كانت اليوم عزيزة منيعة وفى الكتاب (لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبة على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ولكن لا يمكن الزعم بأنهم سيبقون أذلة أبدا . .
وأما المسكنة عند أشهر المفسرين فهى الفقر والمراد هنا الفقر القلبى لشدة حبهم المال وقيل المسكنة هى ضرب الجزية وقيل الخراج وكل هذه التفسيرات لا تنافى أن يكون لهم ملك وأن يكونوا يوما ما خطرا مرهوبا .

أقول : فى هذا ألوان من غرائب التلاعب بفهم كتاب الله وتحريفه بقلة حياء (منها) كذبه على أكثر المفسرين أنهم فسروا الذلة بضرب الجزية. والمفسرون يعلمون أن أكثر يهود العالم حتى الذين فى الحجاز حول المدينة لم تؤخذ منهم الجزية وقت نزول هذه الآيات ، فكيف يفسرونها بما لايؤيده الواقع ، والجزية نزلت فى سورة التوبة فى السنة الثامنة من الهجرة بعد إجلاء يهود المدينة عنها بله يهود العالم كله . ومن فسرها بالجزية فقد فسرها باللازم .

والذلة والصغار والحقارة والمهانة والمسكنة وعدم العزة والأنفة ؛ كلها معان متقاربة لائقة بحالى اليهود أينما كانوا وحيثما قطنوا ، سواء

بأوربا او بأمريكا أو بغيرهما. وأما المعنى الثانى الذى وهنه الكاتب بقوله « وإذا قدّر أن المراد بالذلة هو المعنى السابق للأفهام » مما ذكرناه من حال اليهود — فهو المعنى الحق، وهو صادق على اليهود وإن كذبه الكاتب وعدّه وهماً .فالآيات لفظها «ضربت» الذى يدل على الالزام وعدم الانفكاك من ضرب السكة والنقش على وجهها ما تلزمه ولا تزول عنها . ثم أكدت ذلك بعبارة (أينما ثقفوا)المستلزم لعموم الأمكنة ومن لازمه عموم الأزمنة ثم أكدته تأكيداً آخر بالاستثناء الذى هو من أدوات العموم فيما عدا المستثنى بقوله (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وفسر الحبل بالعهد والميثاق، فهم أذلاء صاغرون أينما كانوا وأيان وجدوا إلا تحت حماية عهد إلهى ومحالفة من الناس ، لا بقوتهم الذاتية التى يخيفنا منها الكاتب

فدعوى الكاتب على القرآن إخباره بذلة اليهود وقت نزوله فقط — كذب على القرآن الذى وصمهم بضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وقد عرفت معنى الضرب والعموم فى (أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)

وذكره أن أمماً مرت عليهم عصور ذلة ثم عزت بعد ذلك، لايفيده شيئاً فى دعواه ، فالمسألة فى اخبار الله أنهم ضُربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، لا مرور عصور ذلة على أمم بعدها عزة . وشتان بين المسألتين (الأولى) خبر الله القطعى بضرب الذلة على اليهود أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس (والثانية) مرور عصور مختلفة على أمم. فأين هذا من هذا ؟ ثم استشهاده على ذلك

بقول الله تعالى (لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) مما يدل على أن معرفته بالعربية فسدت إلى حد العجمة الشائنة أو هو الهوى وفساد النية فقول الله (وأنتم أذلة) جملة حالية والأحوال تتجدد وتزول (ودوام الحال من المحال) وأما (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) فخبر جزم عام لا يتخلف حتى تزول السموات والأرض ولو تبجح ترومان رئيس أمريكا وهدد بنصره لليهود تزلفا لهم لانتخابه رئيسا أصليا فيما يرجوه فى الدورة الانتخابية فستكذبه الأيام وتخونه الأماني (وليغلبن مغالب الغلاب) وقول الكاتب (وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبه على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه) فقد أملاه عليه بغضه للاسلام حتى لم يعد يفرق بين الذلة والضعف . نعم فى المسلمين اليوم ضعف لا ذلة حتى المحكومين بالأجانب منهم فيهم عزة بقدر ما فيهم من دين وفيهم ذلة بقدر ما تركوا من دينهم ألا فليخبرنا الكاتب عن الذلة بمعناها الصحيح أين هى فى اليمن وبلاد العرب ومصر والشام والعراق على تفاوت بينهم فى الضعف والقوة بقدر تمسكهم بالدين ، أما الذلة المضروبة على اليهود أيام دول النصرانية من عهد قسطنطين وما جرى عليهم من تشريد وقتل أفاقوا منه فى العصر الإسلامى قليلا مع ذلة يستلزمها خبثهم وماضيهم وما قدموا ، ثم جاء العهد الهتلرى وما صبه عليهم وإنا لنتوقع لهم تكرار التاريخ عليهم إذا لم يقلعوا عن خبثهم ونواياهم الشريرة (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

ونسأل الكاتب متى احترم المفسرين وأخذ بأقوالهم حتى يأخذهنا عنهم أن الذلة هى الجزية ويعزوه إلى قول أكثرهم كذبا أو قلة فهم لما قالوه أو هوى وسوء نية ليعبر من ذلك على ما يناقض خبر القرآن ووعيده لليهود فيقر بذلك عين اليهود وينال منهم ما يبغيه؟ قال الكاتب ص ٢١٧

وأما قوله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) فالمراد أن دسائسهم ومكايدهم التى حاكوها بإحكام واستمرار للقضاء على الرسول ودعوته قد أخذها الفشل من كل جانب وأنهم هزموا فى كل حروبهم التى شبوها مريدين القضاء على الاسلام وهذا لا ينفى أن يكونوا خطرا فى المستقبل .

وأول الآية (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)

فأنت ترى أن الآية فى وصف اليهود أينما كانوا وحيثما ثقفوا ليست خاصة بما فعلوه مع النبى ﷺ فأحبطه الله وأطفأه كما قيده الكاتب بذلك من

عنهم ليتوصل بذلك إلى ما يريد من تهديدنا بهم . والعموم فى الآية ظاهر من قوله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن لفظ كلما الذى يسور به المناطقة قضاياهم الكلية الموجبة، فمن أين جاء للكاتب هذا التخصيص الذى استنتج منه أن يكونوا خطرا فى المستقبل .

وتنبه إلى عبارته فى مكائدهم ودسائسهم :أخذها الفشل وأنهم هزموا .والله يقول :أطفأها الله ،فكأن الكاتب يعادى اسم الله ويتنفر من نسبة فعل إلى الله تعالى ولو نسبه الله لنفسه حتى لا ينخرم تلازم أسبابه ومسبباته وحتى لا يؤمن بقدر إلهى فوق الأسباب والنواميس أو يهدم ما بناه من مادية القرن التاسع عشر وآلية الكون وصرامة النواميس

قال الكاتب ص ٢١٧ س ١٦

وأما بعث الله عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة فانه لا ينافى الملك أيضا لأنه إذا كانت لهم دولة وبقيت الحروب بينهم وبين الآخرين مستعرة فان فى هذا أشد أنواع العذاب وأشد سوم لهم بالعذاب ولا ريب أن المتحاربين كل منهم يسوم الآخر ويصليه العذاب .

وهذا من جنس ما قبله تحريفا وتمويها ، فالآية وعيد من الله تعالى وإخبار منه أنه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وسومهم سوء العذاب فسره نظيره مما سامهم إياه آل فرعون فى قوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فسوم سوء العذاب الذى جرى لهم فى عهد آل فرعون هو الذى أخبر الله عنه أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يفعل بهم نظيره ، وبعثه عليهم من يفعل بهم ذلك هو نظير ما بعث عليهم

من عباده الكلدانيين والأشوريين فى تاريخهم الماضى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) فهذا البعث هو نظير ما أخبر الله أنه سيفعله بهم إلى يوم القيامة فمن أين تأتيهم الدولة ويكون لهم الملك مع هذا حتى يتوقعه الكاتب لهم ويشبهه بما يكون بين المتحاربين مع أن المتحاربين لا يقال فيهم عرفا ولغة أنهم يسومون بعضهم بعضا سوء العذاب إلا للمنتصر منهم على المخذول المدال عليه ، ثم فى قول الله (عليهم) ما يدل على الاستعلاء والتحكم والاذلال لمن يذوق طعم الأسلوب العربي، ثم الغاية بقوله (إلى يوم القيامة) تعود لغواً على ما توقعه الكاتب لهم من قيام دولة وملك لهم ويمسى هذا الخبر لغوا وذلك مما لا يعز على الكاتب ولا يستغربه ؛ لأن دينه الذى يقدسه واستبدله بالاسلام هو مادية القرن التاسع عشر وما قبله من كون آلى لا اختيار لخالقه ولا قدر بل نواميس طبيعية صارمة إن تخلفت بقدرة خالقها وإرادته دل ذلك عند الكاتب على أن الخالق قوة مجنونة أو كالمجنونة تقف فى سبيلها ، وأنى لها ذلك كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . سبحان الله وتعالى عما يقول الكاتب فيه علواً كبيراً

قال الكاتب (ص ٢١٧)

فالقرآن لم يقدم لنا صكا بالضمان من خطر هذا الشعب الذكى الغنى الماكر بل قدم إلينا الأوامر الصارمة الصريحة بأن نحذر ونستيقظ ونقف وقدجاءتنا

الأحاديث الصحاح بأن حروبا عظيمة ستضطرم بين المسلمين واليهود وقد يكون في هذا مايعطى بأن اليهود قد تكون لهم دولة وجيوش يحاربون بها ودفاعا عنها .

فليهنأ يهود صهيون فقد مزق لهم الكاتب وعيدات القرآن فيهم من ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ومن الخبر الأكيد من بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مستعليا عليهم ومن إطفاء حروبهم التى يوقدونها لأغراضهم كإعادة ملك داود الخ وتوقع لهم ملكا ودولة يحاربون بها المسلمين ، فياقرة أعين الصهيونية بهذه الدعاية السافرة لهم .

وإذا كان الكاتب يؤمن بما جاء فى الأحاديث الصحاح الواردة فى ذلك ففيها أن المسلمين ينتصرون عليهم حتى يختبئوا وراء الأشجار والأحجار وحتى يقول الحجر يامسلم : هذا يهودى ورائى . وتخبر بهم الأشجار إلا شجر الغرقد فانه من أشجارهم . وفيها نزول عيسى بن مريم ولا يقبل من أحد إلا الاسلام سواء من اليهود أو النصارى وهذا هو أحد الوجوه فى تفسير الآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى أن أهل الكتاب وقت نزول عيسى يؤمنون به كلهم قبل موت عيسى عليه السلام . والوجه الآخر فى معنى الآية أن كل كتابى سواء فى وقت عيسى أو قبله يؤمن بعيسى وقت احتضار الكتابى تعرض عليه حقيقة الأمر فى مسألة عيسى فيؤمن بالحق فيه سواء كان يهوديا أو نصرانيا والمحتضر تختصر له صفحات حياته اختصارا بليغا سينمائيا

قال الكاتب ص ٢١٨

ومما يجب الالتفات إليه أنه لا يحسن منا أن نحكم بأن القرآن قد جهر بأن اليهود لن يكون لهم ملك فى عصر من العصور فاننا لو حكمنا هذا الحكم ثم أبطلت الأيام حكمنا هذا لخشينا أن يكون فى ذلك شىء من توجيه الاتهام إلى القرآن ونصوصه وقضاياه .

ونقول للكاتب : إذا حكم القرآن بحكم قطعى جزمنا به ، وأنه لاتنقضه الايام والليالى ، ولا تبطله الأعوام والعصور ، لأنا نعلم علما لاشك فيه أنه من عند علام الغيوب (الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان حليما غفورا)

بقى : هل حكم القرآن على اليهود هذا الحكم أنه لن يكون لهم مُلك فى عصر من العصور ؟ فقد رأيت النصوص التى حرفها الكاتب ومزقها شر ممزق ، ليخرج منها بهذه النتيجة التى يقر بها أعين اليهود وينال بها حظوتهم ، وإن كان يُظهر بذلك الغيرة على صدق القرآن ، ويزعم إبعاد الأتهام لنصوصه وقضاياه ، وستظهر الأيام حسن فهم المسلمين لكتابهم وصوابه ، وإن ارتاب المبطلون ، وتشكك المتشككون (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ونصيحة الكاتب لنا بقوله (ص ٢١٨)

وأن أشد ما يفزعنا وأشد ما حملنا على أن كتبنا هذا الذى كتبنا فى هذه المسألة هو أننا نخاف أن نبقى متوهمين أنفسنا وبلادنا بمنجاة من هذا الخطر

المخيف الفاغر فاه اليوم كما كنا نظن أننا بمنجاة من الخطر المسيحى حتى قضى القضاء . . . وحينئذ لا يجدى الندم كما لم يجد فيما فرغ . وقد لاحظنا أن هـذا الغرور — وهو خليق بأن يسمى غرورا — مستول على تفكير إخواننا المقصودين بهذا الخطر الذى يكاد يحاط بهم (يعنى العرب فى جزيرتهم) فهم يرون أنهم لو خلى بينهم وبين اليهود جامعة اليهود ما جمعت من الأموال والقوات ومن العلم والمكر والدهاء لكانت لهم الغلبة ، وإن فقدوا كل شىء من هذه الأمور التى من ملكها فهو المنتصر ومن فاتته فلا شىء له .

وقوله ص ٢١٩ س ٦

ولهذه النتيجة — فتح فلسطين لليهود — نتيجة أخرى ، هى أشد هولا وأشد لغزاما لمن يفكر فيها ويدريها هى الامتداد العسكرى والاقتصادى والثقافى الذى سيكون أثرا محتوما لاحتشاد القوى اليهودية المخيفة فى ساحة ضيقة مثل فلسطين . . . ومن المعلوم أن هذا الامتداد لن يكون إلا فى بلاد العرب (قلت ومصر والعراق والشام ولبنان حتى اليمن) ومعنى هذا أن الآلة اليهودية لا محالة من أن تتحدى الآلة العربية وتصطدم بها ، ولا ندرى كيف تتكافأ الآلتان مع ما بينهما من الفروق العظيمة ، والقول بأن العزة للكاثر قول كان يصدق أحيانا لما كانت الأمم والجماعات يتنازعون ويتقاتلون بالأكف والحجارة والسهام والنبال ، وأمثال ذلك ولكنه لا يجب أن يصدق فى الزمان الذى يكون العلم فيه هو الفاصل والحكم والعدة .

وقوله ص ٢٢٠ س ٢٢

وأما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهى عاجزة عن الامرين : عن تدمير اللصوص الواغلين أو إجلائهم وعن منافستهم تجاريا أو صناعيا أو زراعيا ، فما أطيبهم إذن مغنما وما أسعد من ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ، ومن السهل عليك أن تبسط يدك آمنا مطمئنا فتجتذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها

لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا — يريد أن هذا مثلنا مع اليهود — ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعرين الأسود معنى هذا أن بعض الشعوب فيها مناعة ذاتية تقيها الفناء والعدوان وبعضها ليست فيها هذه المناعة فهى محتاجة إلى حماية خارجية والا ذهبت فى الهالكين واليهود يعلمون أننا فاقدون لهذه المناعة ولهذا فانهم لا يخشون وغولهم علينا ولا غزوهم إيانا . لن يهاجم اللصوص منزلك وأنت موجود فيه يقظان إلا متى وثقوا من ضعفك وهوانك

ثم نصح (ص ٢٢١) لفلسطين وغيرها من البلدان العربية لنجاتها من جميع الغزاة والدخلاء بتعلم كيفية إيجاد هذه المناعة الذاتية التى تكون فى استطاعتها تدمير الغازين ومنافستهم منافسة تمنعهم من أن يتلمسوا لأقدامهم بيننا موضعا ثم قال

أما مالم توجد فينا هذه المناعة فسنظل عرضة لضروب الغزوات وصنوف الغازين ولن يمنعنا من ذلك صراخ ولا احتجاج ولا شىء مما نصنعه من هذا القبيل .

ولم يشرح لنا تلك المناعة الذاتية هل يريد بها إصلاح خلقنا وديننا وبالتبع له دنيانا أو هو رفض ذلك كله والاستبدال به مادية طبيعية لا روح ولا خلق ولا دين فيها كما أعاده وكرره فى كتابه

وقال ص ٢١٩ س ١٤

وأما الاحتمال الآخر الذى يرضينا معشر العرب والذى نعمل له والذى هو أقصى أمانينا — أعنى إيصاد الأبواب كلها فى سبيل كل يهودى يريد دخول فلسطين — فهذا الاحتمال — على أنه أفضل احتمال — ليس فى استطاعته أن يرد عنا الخطر الصهيونى الذى أنشب أنيابه حقيقة فى جانب من جوانب هـذا الوطن العربى وذلك أن اليهود حينئذ — وهم أهل الذكاء والحيلة والتصميم والتعصب القوى العجيب — سيلجأون إلى وسائل كثيرة هينة عليهم وعلى من

لهم مثلهم ثقافة وعلما ونشاطا ومالا وشأنا دوليا ملحوظا . من هـذه الوسائل تنظيم عمليات التهريب برا وبحرا وجوا والتحايل على الوصول إلى ما زعموه وطنهم الذى لن تثنيهم عن دخوله قوة من القوى ومنها محاولة تكثير مواليدهم وتوالدهم بطرق فنية مبتكرة مفزعة . وهكذا حتى يصيروا عددا جسيما فى هذه البلاد وحينئذ ينطلقون فى سبيل تحقيق أغراضهم الكبرى التى أرصدوا لها أضخم الذهنيات العالمية يمدها ذلك الخيال اليهودى الذى ألهبته عبر التاريخ القاسية الطويلة ومعارف هذا العصر الفذ ، ثم تلك الشهية المتيدة التى شهر بالتمتع بها حفدة شيلوك وقارون إزاء المال والحياة وإزاء المنافسة فى تحصيلهما ' وإذن فالخطر اليهودى قد صار حقيقة واقعة على كل الاحتمالات والحالات فلو ظفرنا بأجل ما يلعب بآمالنا ـ وهو وقف الهجرة الصهيونية نهائيا ـ لما كان فى ذلك شىء من الضمان إلا عند من اعتادوا أن يناموا تحت مطارق الأقدار، فكيف الخلاص إذن .

(ثم تساءل) لماذا يحاول اليهود أن يتركوا أوربا مهبط النشاط الانسانى الرائع ومجلى العبقرية البشرية وأن يتخذوا كل صعب وذلول ليتجمعوا فى هذا الوطن الشرق العربى الذى يكاد يكون من الناحية الزراعيه والصناعية والعلمية فطريا بدائيا والذى لا قيمة لموارده الطبيعية بالنسبة للبلاد التى يفرون منها .

ثم نفى عنهم أن يكونوا قد خدعوا فاعتقدوا أن مجال العمل والنشاط والحياة فى فلسطين أعظم منه فى الأوطان التى تركوها كما أنه من غير الممكن أن يكون المبدأ الدينى قد خالط رءوسهم فاختاروا هذا المكان من الدنيا انقياداً لعاطفة دينية وطاعة لنص وجدوه فى كتبهم المقدسة. كل هذا لا يمكن أن يكون ـــ وإن جوزه على الجماهير المضللة ولكن الرءوس التى نظمت هذا الغزو وأوفت به على الغاية ليس من الممكن أن يكون قد ألم بها هذا الخيال أو الخيال فالأمر إذن غير ذلك فما هو ؟

ثم افترض أن بريطانيا وأمريكا ـــ أقوى قوتين تحكمان العالم اليوم ـــ طلبتا إلى اليهود أن يختاروا لهم أغنى وأفضل منطقة فى المانيا أو اليابان أو إيطاليا ليصيروها وطنا قومياً بقوة السلاح فهل من الممكن أن يرضى اليهود بهذا الوطن المفروض المعروض وأن يقدموا على تجربته؟ أجاب بالنفى البات ثم سأل ولكن لماذا لا يفعلون

ثم أجاب بقوله ص ٢٣٠ س١٨ .

بالجواب عن هذا نعرف لماذا اختاروا بلدا عربيا وهان عليهم تحدى أهله وتحدى جيرانهم وإخوانهم انهم لا يقبلون مثل هـذا الوطن لأنهم يعلمون أن أهله سيدمرونهم فى يوم من الأيام أو يجلونهم على الأقل لا محالة هذا من جهة ولأنهم يعلمون من جهة أخرى أن هذه الشعوب ليست هينة المنافسة ولا سهلة القضم والبلع أما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهى عاجزة عن الأمرين معا عن تدمير اللصوص الواغلين وإجلائهم وعن منافستهم تجاريا وصناعيا وزراعيا فما أطيبهم إذن مغنما وما أسعد ما ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ! من السهل عليك أن تبسط يدك آمنا مطمئنا فتجتذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعرين الأسد .

ثم حضنا على المناعة الذاتية ولم يبينها لنا بما عودنا من بيانه المسهب الطويل المكرر فلماذا ؟ أجبن وهو الشجاع المغوار الذى هاجم المسلمين فى صميم دينهم أم ماذا وراء الأكمة ؟ وليس فى فم الكاتب ماء فلماذا لم ينطق. أطنبت فى نقل ما وصف به الكاتب اليهود وما وصفنا والأمثلة التى ضربها لنا ولهم من الطيور الشهية المأكل السائغة المضغ والبلع ومن خلونا من

علوم العصر وصفاته ومكره ودهائه وغناه وماله بجانب تفوق اليهود حفدة شيلوك وقارون فى الذكاء والدهاء والشأن العالمى ليتفكر فى ذلك ساسة العرب وزعماؤها وقوادها وحكماؤها إن كان للتفكير موضع من عنايتهم فى ذلك حتى يبرهنوا أنهم أهل للحياة فى العصر عصر العلم والآلة والصناعة وحتى يكونوا جزءا من قافلة الجماعة وركب الحياة وأننا نهيب بهم كما أهاب بهم الكاتب مع فارق جوهرى بيننا وبينه إذ هو يلغى الدين ونحن نعده كما يعده سائر العقلاء أساس النهضة وعمود الحياة التى لا تقوم إلا عليه ، الدين الذى يقوم على حياة الروح والجسد على المعنى والمادة على الخلق والخلق ، على الزهد والغنى ، على القناعة والسعى والكسب ، على الايمان بقدر الله واختياره مع الأخذ بالأسباب ، على جريان الأسباب فى دنياها مالم تر العناية الألهية تحويلا لحكمة عالية قد نعلمها وقد لانعلمها. لقد كان من شهوة كثير من الناس انتصار المحور ، وتدمير الحلفاء تدميرا عسكريا — وإن كان رأسهم قد تدمر معنويا واقتصاديا — ولكن العناية الالهية لها من الأغراض والحكم ما هو فوق هوى الكثير (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)

وختم الكاتب مقاله بقوله ص ٢٢٥ س ١٤

والذى نريد أن نقوله هنا هو أنه لا محاباة ولا نسب بين الله وبين أحد من خلقه وقد وضع نواميس وسننا وقوانين تحكم هذا العالم على وفق حكمته العليا وعدله الشامل . فمن وفق لاستخدام هذه النواميس والسنن والقوانين وسار معها بلا اصطدام ولا خروج فقد نال ما يبغى ومن عاند هذه النواميس والقوانين

وحاول الخروج عنها فقد هلك ولا محالة ، ولن ينفعه أن يقول انه مسلم وأنه يصلى ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه كما أن هذه الأقوال والدعاوى لن تجـدى من ذهب يتحـدى سنة الله ، فترك الطعام والشراب والمحافظة على الصحة والحياة زاعما أنه مسلم مؤمن وزاعما أن المسلم المؤمن معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية .

ونحن مع الكاتب نقول إن الأقوال بلا أعمال لا تفيد ولا تجدى ولا قيمة لها عند الله ولا عند خلقه ، ولكن نقول ان المسلم حقا الذى يعرف الاسلام من كتاب ربه وسنة نبيه وسيرة الراشدين من خلفائه وسيرة صحب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم ومن تبعهم على أثرهم فى فهم الاسلام والعمل عليه والسير على صراطه فهذا معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية : لا تعارضه السنن والنواميس بل تخدمه بمعونة العناية الربانية وبالهداية الالهية وبالتوفيق السماوى ورحمة أرحم الراحمين والشواهد من الواقع والتاريخ أعظم البراهين .

فما غزا الرسول ﷺ غزوة ولا انتصر على عدو ولا فتح الصحابة شرق الأرض وغربها وصاروا سادة العالم وبيدهم صولجان العز والسيادة إلا بالايمان الصحيح والاسلام الحق الذى كان نور هدايتهم وشمس سيرهم وبه تقدموا علما وعملا وسياسة وسيادة . ان خالدا بن الوليد بطل الاسلام وسيف الله الذى لم يغمد فاتح العراقين وبطل الشام ما شرب السم سم الساعة الذى كان مع مفاوضه الفارسى فلم يضره إلا بقوة الايمان والاسلام . وذلك اليماني — وأظنه أبا خالد الداراني — الذى ألقى في النار فلم تحرقه وفرح به عمر بن الخطاب حينما رآه وقال ما معناه : الحمد لله الذى أراني في أمة محمد

من صارت عليه النار بردا وسلاما كابراهيم ما أطفئت عنه النار إلا بقوة الايمان وصدق الاسلام . وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية من أعرف الناس بالمعقول والمنقول ماتحدى شيخ الرفاعية فى زمانه بدخول النار وإياه ليتبين الصادق من الكاذب فى دعوى الولاية والكرامة إلا بالايمان الحق والاسلام الصحيح .

وختاما هل كان الكاتب جادا حينما مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كتابه بالنجاح ومعرفة الحياة ثم وصف أتباعه الذين نجح فيهم ص ١٤ «بأنهم يعدون بين الشعوب نموذجا رائعا للهوان والضعف والجهل والمسكنة» وعناهم بقوله ص ٧٦ « وكلنا يعلم أن بلدا إسلاميا مستقلا لا يزال اليوم يعيش على هامش الحياة وعلى الفطرة الأولى يعنى أنهم بكونهم على هامش الحياة ليسوا فيها حقيقة بل هم إلى الموت أقرب من الحياة وكذلك مدح جلالة الملك ابن السعود — وهو أهل للمدح ثم قال ص ٧٨ بعد ما وصف بعض قادة الأمم وأن كثيرا منهم كانوا يعملون على أن يحولوا بين شعوبهم وبين العلم ويحرمونه عليهم لأنهم يخافون امتناعهم عليهم وعسر طاعتهم لهم إذا تعلموا، ثم قال : « وحتى فى هذا العصر لا يزال يوجد فريق من هؤلاء القادة الذين يخشون العلم . ومما يؤلم أنه يوجد اليوم فى إحدى البلاد العزيزة علينا من لا يكافئون المتعلمين إلا بالسجن والعذاب والمطاردة » فمن يعنى الكاتب بهذا وهل يظن الناس لا يفهمون مغامزه ولماذا هذا الابهام والتستر بالغلائل التى لا تستر والرمى من وراء جدران الجبن؟

وقف القلم هنا ليعود فى فرصة أخرى والحمد لله أولا وآخرا

الفهرس